

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1

رقم الإيداع:.....
رقم التسجيل:.....

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

التوابع في الربيع الأول من القرآن الكريم

- دراسة تحويّة بلاغية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د (L M D) في اللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور

أحمد غرس الله

إعداد الطالبة

مريم بوالعيش

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ عبد الوهّاب شيباني	جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1	رئيسا
أ.د/ أحمد غرس الله	جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1	مشرفا ومقررا
أ.د/ إدريس حمروش	المدرسة العليا للأساتذة- قسنطينة 3	عضوا مناقشا
أ.د/ ذهبية بورويس	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د/ عبد الناصر بن طناش	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	عضوا مناقشا
د. شهرزاد بن يونس	جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1441هـ - 1442هـ / 2020-2021م

إهداء:

...إلى من أوصاني بهما ربي، إلى من تحملا مشاق الدنيا حتى أنال هذا اللقب ... إلى من أوّمن أنّهما يملكان أعلى الشهادات والديّ أطال الله عمرهما وأمدّهما بالصحة والعافية ورزقني برهما ورضاهما.

...إلى من رافقني في مسار هذا البحث خطوة خطوة، وغداني بدعمه لإتمام هذا العمل، إلى من سهرت عيناه مع عيناّي وتحملّ الصبر والمشقة مناصفة معي، إلى زوجي العزيز رزقه الله الصحة، وجعله من علماء تخصصه.

... إلى من قاسمهما البحث العلمي اهتمامي إلى مهجة روعي ابنيّ أفنان ومحمد منيب رزقني الله رؤيتهما في أعلى المراتب.

... إلى شقائق روعي إخوتي و أخواتي أدام الله سعادتهم ونجاحهم.

... إلى عائلتي الكبيرة عائلة زوجي كل باسمه لما وجدت فيهم من دفء العائلة وحب الأهل متعمهم الله بالصحة والعافية.

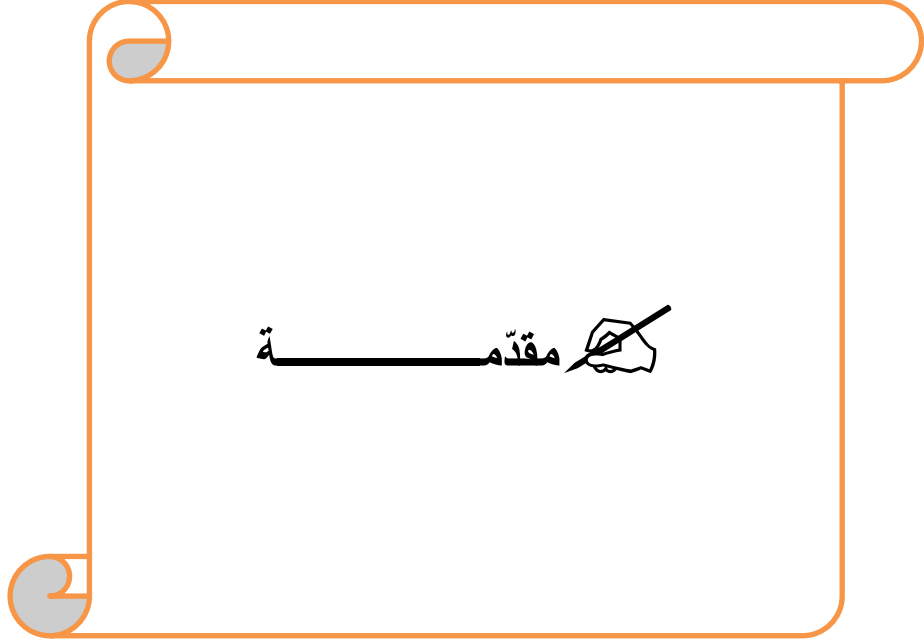
... إلى جدتي أطال الله عمرها إلى أعمامي وعماتي وأخوالي.

... إلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد أهدى ثمرة مجهود سنوات من الأمل والصبر.

شكر وتقدير

لأنّ من تمام شكر الله شكر النَّاس، وبمناسبة إنهاء العمل في هذا البحث وتقديمه للمناقشة، لا يسعني إلا أن أتقدّم بأسمى عبارات الشكر وخالص العرفان إلى الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور أحمد غرس الله؛ وذلك نظير مجهوداته الكبيرة في مرافقة هذا العمل من خلال توجيهاته القيّمة.

كما لا يفوتني في هذا المقام التقدّم بجزيل الشكر والعرفان للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل. والشكر الموصول لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور سواء من بعيد أو قريب.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على معلّم العلماء وأفصح العرب سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أما بعد:

إنّ من المعروف أنّ السبب الأوّل الذي استدعى العلماء لوضع علم النحو، هو ما لاحظوه من لحن في قراءة القرآن خاصة بعد اتّساع الرقعة الإسلامية، ودخول الأعاجم تحت راية التوحيد، فانبرى بذلك العلماء يجمعون اللّغة ويضعون القواعد حفاظا على الذكر الحكيم من وجهه، وحفاظا على اللّغة التي أنزل بها من وجه آخر.

هذه الأسباب جعلت علماء اللّغة يتناولون في كتبهم اللّغة العربية وما تتكون منه، ولم يركّز العلماء على جزء من اللّغة مع إهمال الآخر، فقد تناولوا مكوناتها، من أصوات وكلمات ووصولاً إلى الجملة، والجملة عندهم تتكون من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وما زاد عليهما فهو فضلة.

فالجملة العربية إذن تتركب من الناحية الشكلية من المسند والمسند إليه أو ما اصطلح عليه علماء البلاغة بالعمدة، وهما الركنان الأساسيان، ويضاف إليهما أركان ثانوية هي الفضلة أو القيود.

وعلى الرّغم ممّا يبدو في هذه المصطلحات للوهلة الأولى، من أنّ العمدة ما لا يمكن الاستغناء عنه، وأنّ القيود أو الفضلة هي أركان يمكن الاستغناء عنها، فإنّ الاستعمالات اللغوية تثبت نقيض هذا، بل إنّ بعض السياقات الكلامية لا يتمّ المعنى المراد فيها إلا بذكر ما اصطلح عليه بالفضلة أو القيد، وهي المفاعيل والتوابع والتمييز والحال والشرط والنفي.

ومن هذه المقامات قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (النساء/142) فالملاحظ أنّ لفظ (كسالى) ليس بمسند ولا مسند إليه، ورغم هذا فإنّ حذفه يؤدي إلى خلل في المعنى، بل إنّ معنى الآية قائم على ذكره، وهنا ينتفي الفهم القائم على أنّ الفضلة يمكن الاستغناء عنها في جميع التراكيب دون إخلال بالمعنى، فالحال (كسالى) في الآية الكريمة ورغم كونه في البناء التركيبي ليس عمدة إلا أنّه من الناحية الدلالية هو المقصود من الكلام بل إنّ حذفه يحمل المعنى على وجه خاطئ، وغير مقصود.

ولعلّ ما تمّ إيرادُه حول البنية التركيبية والدلالية للجملة في اللّغة العربية يُوصل إلى أنّ البنية البسيطة للجملة تتكون من المسند والمسند إليه، وما أُضيف إلى هذه البنية، فهو توسيع للمعنى، بل يكون في كثير من السياقات هو المقصود من الكلام.

وإنّ ما تقدّم جعلني ألّفت إلى ضرورة تسليط الضوء على العناصر الي ليست عمدةً في الجملة العربية؛ وذلك لأجل الوقوف على بنيتها الشكلية من الناحية النحوية، وربطها بما تضيفه إلى البنية الدلالية البلاغية في الرّبّع الأوّل من الذكر الحكيم؛ وإنّما وقع اختيارنا لكلام الله كمدونة تطبيقية؛ لأنّه الكلام الذي أحكمت آياته، فأذهلت جهاذة الفصاحة وأساطين البيان لأنّها معجزة في لفظها ونظمها.

ولما كانت التوابع إحدى المقيدّات في الجملة العربية؛ وبسبب ما قرأت من كلام عبد المتعال الصعيدي في كتابه البلاغة العالية (علم المعاني) في معرض حديثه عن النّعت باعتبارِه، مقيداً ضاربا المثل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (النحل/51)، حيث يرى أنّ لفظ النّعت (واحد) إنّما أتى لتأكيد الوجدانية.

فإنه سبحانه وتعالى استعمل النَّعْت (واحد) لنعت اللفظ (إله) رغم دلالاته على المفرد لتأكيد على الوجدانية إلى جانب إثبات الألوهية، فكان ذكر النَّعْت في هذا المقام واجبا لاجتماع الصفتين في الله (الألوهية والوجدانية)، فلو حذف النَّعْت لأصبح الكلام يحتمل اتِّصاف الله بالألوهية فقط، وفي هذا ابتعاد عن المقصود من الكلام.

ويذهب عبد المتعال الصعيدي أبعد من هذا، إذ يرى أنَّ الدرس البلاغي لا يهتم بالنَّعْت إذا كان ذكره في الكلام واجبا لتمام المعنى بقدر ما يهتم به عندما يستقيم المعنى دونه، فيبحث في سرِّ إضافته.

ولما كان القرآن الكريم هو ذلك الوحي الإلهي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه بلغة وبيان أذهلت أفصح العرب وأكثرهم بيانا؛ فإنَّ كلَّ كلمة فيه إنَّما قيلت لغرض أو لسبب، فإذا ذكر الله للكلمة بدلا، أو نعتا، أو توكيدا، أو عطف عليها كلمة أخرى، فإنَّما يكون كلُّ ذلك لغرض.

لهذه الأسباب ورغبة مني في البحث في أسلوب القرآن الكريم، ومكمن بلاغة استخدام التَّوابع في آياته؛ ارتأيت البحث في هذا الباب النحوي الذي سمَّاه النَّحاة تابعا وسماه البلاغيون قيادا، واخترت كمدونة تطبيقية الرَّبْع الأوَّل من القرآن؛ لما وجدت في آياته بعد عملية الإحصاء من استعمال واسع للتَّوابع، وبذلك جاء عنوان هذا البحث على هذا النحو:

" التَّوابع في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم - دراسة تحوية بلاغية - "

وقد كانت الانطلاقة للبحث في هذا المشروع من إشكالية هي:

كيف أسهمت التَّوابع في تشكيل البنية الدلالية البلاغية لآيات الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم؟.

- وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات هي:
- ما هي أنواع التّوابع الواردة في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم؟
 - ما أكثر التّوابع استعمالاً في هذا الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم؟
 - ما هي الدلالات البلاغية التي أضافها التابع إلى الآية القرآنية؟
 - هل وافق الاستعمال الفعلي للتّوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم ما سنّه علماء اللغة من قواعد؟

ولعلّ أهمية هذا البحث تكمن في جمعه بين الدرس القرآني، والدرس النحوي والدرس البلاغي، كما تكمن أيضاً في تسليطه الضوء على جزء من الجملة قد يظن القارئ البسيط أنّ حذفه لا يخل بالمعنى رغم ما بيّناه سابقاً من خطأ هذا، بل إنّ ذكره في الكثير من السياقات الكلامية هو المقصود من الكلام .

وقد رسمت لهذا البحث خطة تتكون من مقدّمة، ومدخل، وأربعة فصول، وخاتمة.

المدخل: يضم في ثناياه مفاهيم حول التابع سواءً من الناحية اللغوية كما أوردته المعاجم، أو من الناحية النحوية، والبلاغية كما ورد في مصادر النحو والبلاغة.

الفصل الأوّل: وقد خصصناه لدراسة أوّل نوع من أنواع التّوابع وهو النّعت، وقد جعلناه في مبحثين:

المبحث الأوّل: وتناولنا فيه المفاهيم العامة التي ترتبط بمصطلح النّعت.

المبحث الثاني: وهو لبّ هذا البحث والهدف منه، وجعلنا محور الدراسة فيه النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم؛ وتمت الدراسة في هذا المبحث عن طريق إيراد آراء العلماء في هذا الموضوع وربطها بآيات الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم.

الفصل الثاني: والبحث فيه كان خاصاً بالنوع الثاني من أنواع التّوابع، وهو التوكيد وقد قسمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول: وقفنا فيه على مفهوم التوكيد وأنواعه، وما يتطابق فيه التوكيد مع المؤكّد.

المبحث الثاني: وهو مخصص لنتبع أنواع التوكيد وأغراضه في الدرّسين النحوي والبلاغي وربط هذا وإسقاطه على استعمالات التوكيد في الرّبّع الأوّل من كتاب الله.
الفصل الثالث: وهو فصل خاص بالنوع الثالث من التّوابع وهو البدل، ويتكون من مبحثين:

المبحث الأوّل: وفيه فصلنا الحديث في حدّ البدل وأنواعه.

المبحث الثاني: وسلّطنا الضوء فيه على استعمالات البدل في الرّبّع الأوّل من الذكر الحكيم، ببيان أنواع البدل فيه، وأغراض استخدامه.

الفصل الرّابع: وهو الفصل الأخير وقد خصص لدراسة العطف، والعمل فيه كان في مبحثين:

المبحث الأوّل: وتناولنا فيه ما تعلّق بمفهوم العطف وأنواعه.

المبحث الثاني: وخصصناه لنتبع أنواع العطف وحروفه في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم رابطين استخدامها بسياقاتها المختلفة في القرآن الكريم؛ وذلك للوصول إلى أغراضها البلاغية المختلفة.

خاتمة: وتضم أهم النتائج التي وصل إليها البحث.

والواضح من خلال هذه الخطة أنّ فصول البحث جاءت بعدد التوابع، وأننا راعينا في ترتيبها الترتيب الذي وضعه علماء اللغة للتوابع إذا اجتمعت.

وقد فرضت طبيعة الموضوع استعمال المنهج الوصفي الذي يقوم على استقراء المسألة اللغوية موضوع البحث، ثمّ تحليلها تحليلًا علميًا لبلوغ الأهداف المسطرة للبحث، إذ انطلقنا

من استقراء موضوع التّوابع في مصادر النحو والصرف، ثمّ انتقلنا انطلاقاً من هذا الاستقراء إلى تحليل ما ورد من استخدام فعلي لها في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم. وإضافة إلى المنهج الوصفي، فقد تمت الاستعانة ببعض آليات المنهج الإحصائي وذلك لرصد نسب استخدام كلّ تابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم. ولا أزعّم أو أدّعي أنني حُزّت قَصَبَ السبق إلى هذا الموضوع؛ موضوع التّوابع، فإنّ مبدأ الإنصاف يقتضي مني الاعتراف بأنّه قد سبقني إليه بعض الباحثين، وإن اختلفت جوانب الدراسة بين بحوثهم وبحثي، أذكر منها: أسلوب النّعت في القرآن الكريم لقاسم محمد سلامة الشبول، ولعلّ المشترك بين هذا البحث وبحثي هو تناولهما للتابع، ويكمن الاختلاف في أنّ بحثي هو دراسة لجميع أنواع التّوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم، أما هذا البحث، فقد خصصه صاحبه لتابع فقط، وهو النّعت وقد جعل القرآن الكريم مدونة له، كما أنّ بحثي يجمع بين الدرس النحوي والبلاغي معاً.

كما أنّ فهد خليل زايد قد تناول التّوابع جميعاً في كتاب عنونه بـ "التّوابع بين الألفية والواقع"، ورغم جمع الكتاب للتّوابع جميعاً إلا أنّ الكتاب يخلو من مدونة تطبيقية توضّح الاستعمال الفعلي للتّوابع في الكلام.

إضافة إلى هذا فقد تنوعت مصادر البحث ومراجعته بين كتب النحو وكتب البلاغة وكتب التفسير التي أعانتنا على فهم آيات الذكر الحكيم، وهذه بعض المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

أما كتب النحو فمنها الكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، وأما كتب البلاغة فمنها

دلائل الإعجاز للجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، وأما كتب التفسير، فمنها الكشاف للزمخشري، والتحرير والتنوير لابن عاشور، ومعاني القرآن للفرّاء.

وإضافة إلى هذه الكتب، فقد استخدمنا في ثنايا هذا البحث بعض المعاجم على غرار لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وكان استخدامها في ثنايا هذا البحث، ونحن بصدد شرح بعض الألفاظ، أو لأجل إيراد المعاني اللغوية لبعض المصطلحات.

وكلّ البحوث العلمية، فقد واجهت هذا البحث مجموعة من الصعوبات منها قلة المادة العلمية التي عالجت موضوع التوابع من الناحية البلاغية، والتداخل بين بعض التوابع كعطف البيان وبدل كلّ من كلّ، واختلاف علماء التفسير والقراءات في بعض الآيات مما جعل أوجه الإعراب فيها مختلفة؛ فتحتاج بذلك إلى مجهود ووقت طويل.

ورغم هذه الصعوبات إلا أننا حاولنا أن نخدي هذا العمل بعصارة صبرنا آملين أن يكون ولو جزءا بسيطا من الأبحاث التي أسهمت في خدمة اللغة العربية.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدّم بخالص الشكر وجزيل العرفان إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أحمد غرس الله؛ نظير توجيهاته القيّمة وصبره الطويل معنا من أجل إنجاز هذا البحث، فجزاك الله عني أفضل الجزاء يا أستاذ، كما لا أنسى التوجه بأسمى عبارات الشكر لكلّ من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

ميلاد: يوم السبت 28 جمادى الثانية 1441هـ

الوفات: 22 فيفري 2020م

مدخل:

مفهوم التابع

كمدخل:.....مفهوم التابع

إنّ مصطلح التوابع من المصطلحات التي حظيت باهتمام علماء النحو وعلماء البلاغة؛ وذلك بالتفصيل في مفهوم التابع، وذكر أنواعه، وما تضيفه هذه الأنواع من دلالات للجملة العربية.

ولذلك ارتأينا ونحن في بداية هذا البحث، وقبل الانطلاق في البحث عن التوابع في الربع الأوّل من القرآن الكريم البحث عن المفاهيم لتحديد النقاط الأساسية التي يدور حولها هذا البحث؛ ولذلك سنتناول في هذا المدخل مصطلح (التوابع) عند علماء النحو، ثمّ سنقف عند هذا المصطلح أيضا عند علماء البلاغة؛ وذلك انطاقا من أنّ الدراسة في هذا البحث نحوية بلاغية.

أولا / التابع في اللغة:

لقد جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد وهو يعالج مادة (ت ب ع): «التابع التالي ومنه التتبع والمتابعة والاتباع، يتبعه: يتلوه، تبعه يتبعه تبعا والتتبع: فعلك الشيء بعد الشيء نقول: تتبعت علمه، أي اتبعت آثاره»¹.

ومن خلال كلام الخليل نجد أنّ من معاني لفظ (تابع) في اللغة، الدلالة على الشيء الذي يأتي بعد شيء آخر، فهو في المرتبة الثانية، وإضافة إلى هذا المعنى، فهو شيء يتبع سابقه في أثره.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ). العين. ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي. مادة(ت ب ع). دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1 . 2003. ج:1. ص:179.

كمدخل:.....مفهوم التابع

أما صاحب القاموس المحيط، فقد أورد ضبط الفعل (تبع) بالشكل، فهو عنده كالفعل (فَرِحَ)، كما أنه أورد هذه المعاني لكلمة (تابع)، إذ قال: « تَبِعَهُ كَفَرِحَ تَبَعًا وَتَبَاعَةً مَشَى خَلْفَهُ»¹.

والملاحظ أنّ الفيروزأبادي ينطلق في شرحه لكلمة (تابع) من المنطلق نفسه الذي انطلق منه الخليل في كونه يتعلق بمتبوع قبله يمشي خلفه، فهو يتمثل صورته وأوصافه وآثاره.

أما المعجم الوسيط، فقد عالج هذه المادة بالقول: « (التابع): التالي. و- الخادم. وما من يتبع غيره(ج) :تُبِعَ، وَتُبِّعَ، وَتَبِعَ، وَتَبِعَهُ، وَتَبِعَ. و- (في اصطلاح النحاة) لفظ يتبع ما قبله في إعرابه»².

وكخلاصة لما ورد وقيل في معاجم اللغة، فإنّ التابع في اللغة متعلّق بعنصرين تابع ومتبوع، يكون الأوّل قدوة والثاني مقتدٍ، فما الثاني إلا تابع للأوّل يتلوه ويتبع آثاره وصفاته.

ثانيا / التابع في الاصطلاح :

لقد كان موضوع التوابع من بين المواضيع التي اهتم بها علماء النحو والبلاغة على حد سواء، فقد وقف علماء النحو عند هذا الموضوع، فخصصوا له أبوابا من كتبهم مسطّين الضوء على حدّه، مفصّلين القول في أنواعه، ومتناولين أحكامه ومسائله، مشيرين إلى فائدة كلّ نوع في الكلام.

¹ - مجد الدين بن يعقوب الفيروزأبادي (ت 817هـ). القاموس المحيط. مادة(ت ب ع). الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. د ط. 1979. ج:3. ص:8.

² - مجمع اللغة العربية. الوسيط. مادة (ت ب ع). مكتبة الشروق الدولية . مصر . ط: 4 . 2004 . ص: 81 .

كمدخل:..... مفهوم التابع

أما علماء البلاغة فقد انطلقوا من كون التوابع قيّدًا يضيف للجمل معانٍ لن يتأتى للمتكلم إبلاغها للسامع بالمسند والمسند إليه فقط، وانطلاقاً من هذا فقد اهتموا بهذه المعاني الإضافية؛ وهذا ما جعلنا ننتبع مفهوم التابع في الدرس النحوي بدايةً، ثمّ ننتبع مفهومه عند علماء البلاغة.

1- التابع في اصطلاح النحاة :

لقد ارتبط مصطلح التوابع في الدرس النحوي بأبواب نحوية هي: النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبدل، وهذا ما أشار إليه ابن جني في كتابه اللّمع في العربية وهو يعالج هذه القضية النحوية إذ يقول: «معرفة ما يتبع الاسم في إعرابه، وهو على خمسة أضرب : وصف وتوكيد وبدل وعطف بيان، وعطف بحرف، فأربعة من هذه تتبع الأوّل بلا توسط حرف، وواحد منها يتبع الأوّل بتوسط حرف، وهو العطف المسمى نسقاً»¹.

وهذا الكلام من ابن جني يجعلنا نقف عند حقيقة هي أنّ التابع عنده يكون تابعا لاسم قبله في إعرابه، كما أنّه جعل التوابع خمسة أنواع، هي: النعت (الصفة)، والتوكيد، والبدل وعطف البيان، والعطف بالحرف، كما أنّه قسم هذه الأنواع إلى قسمين، قسم يتبع بلا توسط حرف ويضمّ النعت والتوكيد والبدل وعطف البيان، وقسم يتبع بتوسط حرف، وهو عطف النسق .

¹- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت392هـ). اللّمع في العربية. تحقيق : سميح أبو فغلي. دار مجدلاوي. الأردن. د. ط. د. ت.

كمدخل:..... مفهوم التابع

وإضافة إلى ابن جنبي، فقد ذهب ابن عصفور وهو بصدد شرح جمل الزجاجي إلى الانطلاق في تعريف التوابع من تقسيمها إلى نوعين، الأول يخص الأسماء فقط، والثاني للأسماء والأفعال معا حيث قال: إنَّ «التوابع تنقسم قسمين، قسم تنفرد به الأسماء وهو النعت والتوكيد، نحو: جاءني زيدٌ العاقلُ، وجاءني زيدٌ نفسهُ، وقسم يشترك فيه الاسم والفعل، وهو العطف والبدل، ومثالهما من الأسماء: قام زيدٌ وعمرٌ، وقام زيدٌ أخوكَ، ومثالهما من الأفعال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان /68-69)»¹.

والشاهد في هذه الأمثلة أنّ الاسم يعطف على الاسم (زيد وعمر)، وأنّ الفعل يعطف على الفعل (يضاعف...ويخلد)، كما أنّ الاسم يبدل من الاسم (أخوك أبدلت من زيد)، وأنّ الفعل يبدل من الفعل (يضاعف أبدلت من يلق)، وعلى هذا الأساس قسم ابن عصفور التوابع إلى توابع تختص بها الأسماء فقط (النعت، والتوكيد)، وتوابع تشترك فيها الأسماء والأفعال (البدل والعطف)، وسن فصل في هذه المسألة ونحن ندرس كلّ تابع، بمشيئة الله وتوفيقه.

ولعلنا إذا عدنا إلى التعريفين نجد أنّ ابن جنبي جعل التوابع مقسّمة إلى نوعين نوع يتبع بتوسط حرف، ونوع دون توسط حرف، أما الزجاجي فقد صنّفها حسب نوع المعطوف والمعطوف عليه إلى توابع تختص بالأسماء، وتوابع تختص بالأسماء والأفعال، وإضافة إلى هذا فقد فصل ابن جنبي في العطف، فجعل عطف النسق وعطف البيان منفصلين، فكلّ منهما يُعدّ نوعا مستقلا من التوابع، بينما عدّها الزجاجي نوعا واحدا سمّاه العطف .

¹ - ابن عصفور الإشبيلي علي بن مؤمن (ت 669هـ) . شرح جمل الزجاجي . تحقيق: صاحب أبو جناح . د م . د ط .

د ت . ج : 1 . ص : 192 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

أما ابن الحاجب، فيركّز في حدّ التابع على الناحية الشكلية والحركة الإعرابية إذ يقول: «كلّ ثانٍ أعرب بإعراب سابقه من جهة واحدة».¹

ولعلّ قوله كلّ ثانٍ يتفق مع ما جاء به ابن جني، ولكنه أضاف وقال: (من جهة واحدة) وقد شرح الرضي هذا التعريف بالقول: «كلّ ثانٍ يشمل التوابع وخبر المبتدأ وكلّ ما أصله خبر المبتدأ كما يشمل الحال وثاني مفعولي أعطيت».²

فكلّ من الخبر، وما أصله خبر والحال وثاني مفعولي أعطيت هي ثانية، أي تأتي بعد اسم تتعلق به، فالخبر يتعلق بالمبتدأ والحال بصاحب الحال، وثاني مفعولي أعطيت بأولهما أما قوله: أعرب بإعراب سابقه، « فقد أخرج بهذا القول الكلّ إلا خبر المبتدأ وثاني مفعولي ظننت وأعطيت، والحال عن المنصوب، والتمييز عن المنصوب».³ فكلّ هذه الأسماء لها علاقة في إعرابها بما سبقها .

وقد أخرج كلّ هذه الأبواب النحوية من باب التوابع عند قوله: (من جهة واحدة)، أي أنّ العامل في التابع والمتبوع واحد، وهذا ما لا يتوفر في خبر المبتدأ وثاني مفعولي أعطيت والحال عن المنصوب، والتمييز عن المنصوب.

1 - الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ). شرح الكافية في النحو . تحقيق: عبد العال سالم مكرم. عالم

الكتب . مصر. ط:1 . 2000. ج:3. ص:03 .

2 - المصدر نفسه .الصفحة نفسها.

3 - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

كمدخل:.....مفهوم التابع

وقد فصل الأسترابادي الحديث في هذه المسألة، أي الفرق بين علاقة التابع بالمتبوع وعلاقة المبتدأ بالخبر والعلاقة بين المفعولين، وعلاقة الحال بصاحب الحال، إذ قال: «لأنّ ارتفاع المبتدأ من جهة كونه مبتدأ وارتفاع الخبر من جهة أخرى، وهي كونه خبر المبتدأ.

وكذا انتصاب المفعولين الأوّل من جهة كونه أولهما، وانتصاب الثاني من جهة كونه ثانيهما، وانتصاب الأوّل في: ضربت زيداً قائماً من جهة كونه مفعولاً به، وانتصاب الثاني من جهة كونه حالاً. كذا في: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ (القمر/12)، انتصاب الأوّل، من جهة كونه مفعولاً به والثاني من جهة كونه تمييزاً¹.

وبهذا وبالاعتماد على ما ذهب إليه علماء النحو يمكن الوصول إلى خلاصة، وهي أنّ التابع لا بد له من شروط هي :

- أن يكون ثانياً أي لا يسبق متبوعه .

- أن يرتبط إعرابه بإعراب سابقه .

- أن يكون العامل في التابع والمتبوع واحداً.

وقد أشار ابن السّراج إلى الأمور التي يتبع فيها التابع متبوعه، وهو يعالج هذا الباب النحوي في كتابه : "الأصول في النحو " مركزاً على الجانب الإعرابي في التابع والمتبوع أي الحركة الإعرابية، إذ قال : « التوابع خمسة: التوكيد والنّعت وعطف البيان والبدل والعطف بالحروف، وهذه الخمسة أربعة تتبع بغير توسط والخامس وهو العطف لا يتبع إلا

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 3.

كمدخل:.....مفهوم التابع

بتوسط حرف، وجميع هذه تُجري على الثاني ما جرى على الأوّل من الرفع والنصب والخفض¹.

ومن خلال هذا الكلام ندرك أنّ التوابع عند ابن السراج خمسة أنواع، وهي نوعان كبيران الأوّل تابع بلا توسط حرف، والثاني تابع بتوسط حرف، وكلّهما أسماء تتبع ما قبلها في الإعراب سواء في الرفع أو النصب أو الجر.

أما الفاكهي فقد جمع في تعريفه للتابع بين قضية التبعية في الإعراب والاتحاد في العامل، إذ قال: «هو اللفظ المشارك لما قبله في إعرابه وعامله مطلقاً وليس خبراً»².

وهذا التعريف لا يخرج عن الذي قبله، فهو يركّز على قضايا هي:

- التابع يتبع اسماً قبله في إعرابه.

- التابع يتبع اسماً قبله في عامله.

- أن هذه المشاركة بين التابع والمتبوع في الإعراب والعامل تكون مطلقة، وهذا ما يخرج الخبر من باب التوابع.

¹ - ابن السراج أبو بكر (ت316هـ) الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان. ط: 3. 1996. ج: 2. ص: 19.

² - الفاكهي عبد الله بن أحمد. شرح كتاب الحدود في النحو. تحقيق: المتولي رمضان أحمد العميري. مكتبة وهبة. القاهرة - مصر. ط: 2. 1993. ص: 245.

كمدخل:.....مفهوم التابع

وفي الأخير وبعد هذا العرض وهذا الانتقال بين آراء علماء اللغة، وقبلها من خلال الوقوف على المعنى اللغوي لكلمة (تابع) في بعض المعاجم اللغوية، يمكن القول إنّ المفهوم اللغوي الذي تمّ تبيانه، وما قُدّم من مفهوم اصطلاحي للتابع يوجب تأكيد فكرة هي أنّ مصطلح التابع يدلّ على ركن في الجملة يتبع ما قبله من الناحية التركيبية؛ أي ما تعلق بإعرابه وعامله.

ولا بد من الإشارة إلى أنّه إذا كان علماء اللغة من نحاة وبلاغيين قد أجازوا تقدّم المسند على المسند إليه، وبيّنوا ما ينتج عن ذلك من دلالات بلاغية بسبب هذا التغيّر في البنية التركيبية للجملة، فإنّ التابع اسم شديد الارتباط بالمتبوع من الناحية الدلالية؛ ولذلك فإنّه «لا يتقدّم على متبوعه؛ لأنّه ملحق به لا ينتقل بصورة انفرادية، ولكنه مع متبوعه يمكن أن يتقدّم ويتأخّر في الجملة لأغراض معينة يقتضيها المعنى، إذ يجوز أن تقول: قابلت رجلا كريما، أو تقول: رجلا كريما قابلت».¹

وهذا الشاهد يؤكّد خروج الخبر من باب التوابع، فالخبر يمكن أن يتقدّم على المبتدأ في حين يمنع تقدّم التابع على متبوعه، فإنّ وجد تقدّم وجب أن يكون للعنصرين معا، وهذا التقدّم لا يكون إلا لأغراض بلاغية تدلّ عليها السياقات الكلامية المختلفة.

¹ - سناء حميد البياتي . قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم . دار وائل للنشر والتوزيع . عمان - الأردن .

ط:1. 2002 . ص: 256 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

وكخلاصة لما قيل حول موضوع التوابع ، يمكن إيراد قول ابن مالك فيها، إذ قال :

«يُتَّبَعُ فِي الإِعْرَابِ الأَسْمَاءُ الأَوَّلُ * * * نَعْتٌ وَتَوَكِيدٌ وَعَظْفٌ وَبَدَلٌ»¹

وقد ذهب ابن عقيل في شرحه لكلام ابن مالك إلى ما أورده علماء اللغة من تعريف للتابع سواء في تبعيته للاسم قبله في الإعراب أو اختلافه عن بعض الأسماء التي تتبع ما قبلها كخبر المبتدأ وحال المنصوب، والتابع عنده: «هو المشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً فيدخل في قولك: الاسم المشارك لما قبله في إعرابه سائر التوابع، وخبر المبتدأ، نحو: زيدٌ قائمٌ، وحال المنصوب، نحو: ضربت زيداً مجرداً، ويخرج بقولك مطلقاً: الخبر وحال المنصوب؛ فإنهما لا يشاركان ما قبلهما في إعرابه مطلقاً، بل في بعض أحواله بخلاف التابع»².

وبهذا الكلام من ابن مالك يتضح أنّ شرط التابع أن يتبع الاسم الذي قبله مطلقاً، وهذا يُخرج خبر المبتدأ و حال المنصوب من باب التوابع؛ لأنهما لا يتبعان ما قبلهما بشكل مطلق إذ قد يرد المبتدأ ومرفوعا والخبر منصوباً إذا دخل على الجملة الاسمية ناسخ من النواسخ كما أنّ صاحب الحال قد يكون فاعلاً مرفوعاً في حين لا يكون الحال إلا منصوباً، فالتبعية الإعرابية في الخبر والحال ليست مطلقة كالتبعية بين التابع والمتبوع.

¹ - ابن مالك عبد الله (ت672هـ). ألفية ابن مالك في النحو والصرف. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

د.ط.د.ت.ص:40.

² - ابن عقيل عبد الله (ت769هـ). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان .

ط:1. د ت . ج:3. ص: 190 .

كمدخل:..... مفهوم التابع

وفي الأخير وبعد هذا التنقل بين آراء النحاة حول مفهوم التابع، وانطلاقاً من التحليل الذي قمنا به لهذه الآراء يمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج، وهي:

- التابع اسم مشارك لما قبله في إعرابه مطلقاً .
- التابع اسم مشارك لما قبله في العامل .
- لا يمكن أن يتقدم التابع على متبوعه .
- يجوز تقدم التابع والمتبوع معاً على عناصر الجملة الأخرى، ولا يكون هذا إلا لأغراض بلاغية، وفي هذا إشارة من علماء النحو إلى قضية من القضايا البلاغية المرتبطة بالتوابع .

2- التابع في اصطلاح البلاغيين :

لقد اهتمت البلاغة العربية منذ نشأتها الأولى بعناصر الجملة المختلفة، فاهتمت بركنيتها الأساسية (المسند والمسند إليه)، وما يلحقهما من ذكر أو حذف، وتعريف وتكثير وتقديم وتأخير، وما يتعلّق بكلّ هذا من أغراض بلاغية انطلاقاً من مبدئها المشهور: (لكلّ مقام مقال)، فيختلف ترتيب عناصر الجملة حسب أغراض المتكلم، والسياقات الكلامية المحيطة به.

ومن المعلوم أيضاً أنّ البنية التركيبية الأساسية للجملة العربية تتكون من المسند والمسند إليه، فبذكرهما يتمّ المعنى غالباً، «فأصل الإسناد في الجملة يتحقق بأقلّ ما يطلق عليه أنّه حكم شيء على شيء كقولنا: هذه شجرة، سعيدٌ رجلٌ، القمرُ بازغٌ، الشمسُ غائبةٌ

كمدخل:.....مفهوم التابع

وكلّ زيادة على ذلك ذات دلالة في الجملة تعتبر زيادة في إفادة معنى أو أكثر، ويقصد البلغاء إلى الإتيان بها لتتمية الفائدة وتربيتها لدى متلقي الكلام»¹.

فالزيادات في الجملة العربية لا تكون إلا إذا قصد بها غرض معين، أو معنى محدد كالتوضيح، أو التخصيص، أو التوكيد، أو المدح، أو الذم، أو غيرها من الأغراض التي تتنوع بتنوع السياقات الكلامية، «فقولهم عبدُ الله قائمٌ، إخبار عن قيامه، وقولهم: إنَّ عبدَ الله قائمٌ جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إنَّ عبدَ الله لقائمٌ؛ جواب عن إنكار منكر قيامه؛ فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني»².

وإنّ هذا القول يجعلنا ندرك أنّ البلاغيين إنّما اهتموا بالزيادات اللغوية التي تلحق المسند والمسند إليه ، ولم يقصروا عملهم على ركني الجملة الأساسيين فقط؛ وذلك لما تحمله هذه الزيادات من إضافة إلى معنى الجملة والكلام. وهذه الزيادات ترتبط بالسياق الكلامي وما يريده المتكلم، أو ما يطلبه المتلقي، فقد اختلفت مكونات الجملة في المثال السابق باختلاف السياق بين إخبار، وإجابة عن استفهام، ودفع للشك والإنكار .

فلما كان المقام مقامَ إخبار اكتفى المتكلم بالمسند والمسند إليه، فقال: (عبدُ الله قائمٌ) لكن لما تعلّق الأمر بالإجابة عن السؤال زاد المتكلم على المسند والمسند إليه أداة التوكيد (إنّ) فقال: (إنّ عبدَ الله قائمٌ)؛ وذلك تأكيداً منه قيامَ عبد الله لمن يستفهم عن هذا، ثم قام المتكلم بتغيير مكونات جملته في مقام إنكار المتلقي، فلم يكتف بالمسند والمسند إليه، بل أضاف إليهما أداتي التوكيد (إنّ، واللام)؛ وذلك لأنّ سياق الإنكار يوجب تعدد المؤكّدات.

¹ عبد الرحمن حسن حبنكة . البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها . دار القلم و الدار الشامية . دمشق و بيروت . ط:1. 1996 . ج: 1 . ص: 451 .

² - عبد الله أحمد جاد الكريم. المعنى والنحو. مكتبة الآداب. السعودية. ط:1. 2002. ص: 23-24.

كمدخل:.....مفهوم التابع

إنّ ما أوردناه حتى الآن في هذا الموضوع يوجب أنه ورغم أنّ البنية الأساسية للجملة العربية تتكون من المسند والمسند إليه، فإنّ السياقات الكلامية عادة تجبر المتكلم على استعمال إضافات لإيصال المعنى المراد من الكلام، وهذا يجعلنا نقول: إنّ « المسند والمسند إليه هما ركنا الجملة الأساسيان وما زاد عليهما غير المضاف إليه وصلة الموصول، فهو قيد والقيود هي: أدوات الشرط، وأدوات النفي، وحروف الجر، والمفاعيل الخمسة: المفعول به والمفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول لأجله، والمفعول معه والحال، والتمييز، والتوابع الأربعة: النعت، والتوكيد، والعطف، والبدل»¹.

وبذلك نجد أنّ التوابع في اصطلاح البلاغيين مرتبطة بمصطلح القيد أو التقييد. والمقيّدات عندهم هي ما زاد على عناصر الجملة الأساسية، وهي كثيرة، وهي الشرط النفي، المفاعيل، الحال، التمييز، التوابع.

ولا يمكن أن نذكر مصطلح (القيد) إلا بذكر المصطلح الذي ارتبط به في الدرس البلاغي، إذ يقابل مصطلح التقييد في الاصطلاح البلاغي مصطلح (الإطلاق)، وهما وصفان للحكم... فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه؛ لأغراض بلاغية، إذ يتم بذكر المسند والمسند إليه حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، مثل: الحياة كفاح²، ففي هذا المثال حصرت الحياة في الكفاح، والجملة لا تحتوي إلا على مسند(كفاح) ومسند إليه(الحياة).

¹ - عبد العزيز عتيق . في البلاغة العربية (علم المعاني) . دار النهضة العربية . بيروت- لبنان. د ط . 1985 . ص: 121 .

² - انظر: وليد عبد المجيد إبراهيم. في البلاغة العربية (علم المعاني). مؤسسة الوراق. عمان - الأردن. ط:1. 2000 . ص: 41 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

وبهذا يكون الإطلاق هو قصر المتكلم كلامه على المسند والمسند إليه؛ لأن وجودهما كاف لأداء المعنى المراد، وبهما يتم الغرض المقصود من الكلام، ويكون هذا مرتبطاً بسياقات الكلام، فالتكلم لا يكتفي بالمسند والمسند إليه إلا إذا كان ذكرهما دون تقييد يؤدي الغرض الذي يريده، وباقتصاره عليهما ينزع إلى الإطلاق في الحكم.

وقد عرف ابن فارس الإطلاق منطلقاً من أنه مرتبط بعدم استخدام أي مقيد من المقيدات في الكلام، فقال عنه: « بأن تذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة، ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك ».¹

إذن فالإطلاق في الجملة هو أن يقتصر على ذكر ركنيها الأساسيين (المسند والمسند إليه)؛ «وذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع كل مذهب ممكن».² وبذلك يكون الحكم والمعنى في المطلق واسعاً غير محدود، يحدده السامع حسب ما يشاء إذ لا يوجد ما يحصر المعنى أو يضيقه، وذلك هو الغرض من الكلام؛ أي أن السياق يتطلب التوسيع.

والتكلم يغير البنية التركيبية لكلامه حسب السياق الكلامي، فقد يكتفي بالمسند والمسند إليه، وقد يزيد عليهما أركاناً سماها البلاغيون قيوداً، وهذا ما جعل الكلام عندهم بين الإطلاق والتقييد، والتقييد هو «أن يزداد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة أو كان الحكم كاذباً، مثل: الطالبُ المجدُّ يسرُّ أهله».³

¹ - ابن فارس أحمد (ت390هـ). الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العربية في كلامها . تعليق : أحمد حسن بسج . دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان . ط:1 . 1997 . ص: 146 .

² - السيد أحمد الهاشمي . جواهر البلاغة . تعليق: سليمان الصالح . دار المعرفة . بيروت - لبنان . ط: 2 . 2007 . ص: 144 .

³ - وليد عبد المجيد إبراهيم . في البلاغة العربية (علم المعاني) . ص: 41 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

وإن دلّ هذا الكلام على شيء، فهو يدلّ على أنّ ما زاد على المسند والمسند إليه في الكلام من مقيدات لا يزداد إلا لأغراض، بل إنّ نقصانها من الكلام قد يؤدي إلى خلل في دلالاته، وفوات الفائدة المقصودة منه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (الأنبياء/ 16)، فلو حذف الحال، وهو (لَاعِبِينَ) لكان الكلام كاذبا بدليل المشاهدة والواقع.¹ وهذا دليل على أنّ المقيدات لا ترد في الكلام إلا لفائدة معينة ومقصودة من المتكلم، ولا تكون هذه الاستعمالات من باب التوسيع والإطناب وإطالة الكلام فقط، وإنما هي زيادات أوجبتها السياقات الكلامية، وفرضتها الدلالة المرجوة .

وإذا عدنا للوقوف على مصطلح القيد في علم البلاغة، فنسجد أنّ المقصود بالقيد هو ما عدّه البلاغيون بعد استيفاء ركني الإسناد ركنا غير أساسي في التراكيب، «ويطلق عليه النّحاة مصطلح الفضلة، وذلك مثل: التوابع والمفعولات وأدوات الشرط وضمير الفصل والحال والتمييز وغير ذلك».² وبهذا ارتبط مصطلح القيد والتقييد بما زاد على ركني الجملة الأساسيين، وهو ما يطلق عليه النّحاة مصطلح الفضلة ومنه التوابع.

والتقييد حسب ابن فارس هو ما يحمل للكلام معان إضافية، ويكون ذكره بعد ذكر المسند والمسند إليه، فهو عنده: «أن يذكر قرين، ويكون ذلك القرين زائدا في المعنى من ذلك أن يقول القائل: " زيدٌ ليثٌ " فهذا إنّما شبهه بليث في شجاعته، فإذا قال: "هو كالليثِ الحَرَبِ" فقد زاد " الحَرَبَ " وهو الغضبَان الذي حُرِبَ فريسته، أي سُلِبَهَا ، فإذا كان كذا كان أدهى له «.³

1 - انظر: السيد أحمد الهاشمي . جواهر البلاغة . ص 144 .

2 - أحمد سعد محمد . الأصول البلاغية في كتاب سيويوه وأثرها في النص البلاغي . مكتبة الآداب . مصر . ط: 2 .

2009 . ص 197: .

3 - ابن فارس . الصاحبى . ص: 146 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

وبهذا تكون لفظة (حَرْبٍ) وهي كلمة زائدة في النظام الشكلي للجملة فهي نعت للفظ (ليث) قد زادت المعنى وضوحاً، وحملت له تقييداً ، وبذلك يكون «المُقَيَّد هو ما دلَّ على الماهية بقيد»¹.

ومن كلام ابن فارس يتضح أنّ كون الفضلة أو القيد زائداً في الجملة أو الكلام لا يعني عدم أهميته، بل إنه يضيف إلى الجملة معان جديدة ومهمة.

والتقييد كما سبق يكون بعناصر لغوية محددة، فيكون «بالمفاعيل ونحوها من الفضلات وبالنعت وغيره من التوابع، وبالشرط لأنه قيد في الجواب، فإذا قلت: إن جنّتي أكرمك كأنّ معنى هذا هو: أكرمك وقت مجيئك»².

وبذلك تكون التوابع في الدرس البلاغي إحدى المقيدات التي تضاف إلى ركني الجملة الأساسيين، فتضيف للمعنى إضافات معينة تؤدي إلى تقييده وتوضيحه؛ وذلك لأغراض بلاغية معينة يحددها المقام .

ولا بد أن نشير هنا إلى قضية مهمة استوقفنا ونحن نبحث في هذا الموضوع، وهي أنه ورغم أنّ كتب البلاغة قد أشارت إلى باب التوابع، وهي تنطرق إلى المقيدات في الجملة العربية، إلا أنها لم تسلط عليها الضوء، وتعتني بها دراسةً وتحليلاً كما اعتنت بالمسند والمسند إليه، وهذا ما جعل الدكتور فضل حسين عباس يذهب إلى القول: «هناك قيود غير

¹ - فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الروميّ . دراسات في علوم القرآن الكريم . مركز الدراسات القرآنية . السعودية . ط: 14 . 2005.ص:560 .

² - عبد المتعال الصعيديّ . البلاغة العالية . تقديم ومراجعة : عبد القادر حسين . مكتبة الآداب . القاهرة . ط: 3 . 2002 . ص: 91 .

كمدخل:.....مفهوم التابع

الشرط تقيّد بها الجملة كالتوابع والمفاعيل، وهي مقحمة في علم البلاغة؛ لأنّ ما ذكره لا يزيد عما ذكره علم النحو»¹.

فهو يتجه من خلال هذا الكلام إلى نتيجة هي أنّ البلاغة العربية القديمة إنّما ركزت اهتمامها على الشرط كمقيّد للجملة العربية، وقامت بإهمال المقيّدات الأخرى كالتوابع وغيرها، ولا يتعدى كلام كتب البلاغة العربية القديمة في هذا الموضوع أن يكون تكرارا لما أورده كتب النحو في هذه المباحث من الناحية النحوية.

وقد وقفنا في كتاب (من أسرار اللغة) لإبراهيم أنيس على ما يؤيد هذا الرأي، إذ قال: «يمرّ البلاغيون مرا سريعا بكلّ ما ليس مسندا ومسندا إليه في الجملة العربية، ويطلقون على تلك الحالات المتعددة المتباينة كلمة (المتعلقات) تاركين تفصيل أحكام هذه الحالات لكتب النحو»².

وعلى الرغم مما في هذا الطرح من نسبة صحة، إذ وجدنا – فيما اطّلنا عليه من كتب البلاغة – عدم توسّع في قضية التوابع في كتبهم، إلا أنّ الموضوعية تأبى تعميم هذا الكلام على كتب البلاغة جميعا، فقد وجدنا بعضها يتناول هذا الموضوع بشكل من التوسّع منها كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني والذي خصص مساحة كبيرة من كتابه للحديث عن عطف الجمل (الوصل)، وإضافة إلى كتاب دلائل الإعجاز وهو من أهم كتب البلاغة فقد وجدنا عبد المتعال الصعيدي يتوسّع في الحديث عن التوابع في كتابه البلاغة العالية.

¹ - فضل حسين عباس. البلاغة العربية فنونها وأفانينها(علم المعاني). دار النفائس. عمان - الأردن. ط:12. 2009. ص: 367.

² - إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة- مصر. ط:7. 1994. ص: 331.

كمدخل:.....مفهوم التابع

وإذا كان الكلام بصفة عامة يرد مطلقا كما يأتي مقيدا بواحد من القيود التي تمّ ذكرها ولما كان القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله بلسان عربي مبين، فلا شك أنّ هذه الظاهرة أي تقييد الكلام ستستعمل في آيات الذكر الحكيم.

فإننا «إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم فإننا نرى بعضها جاء مطلقا وبعضها جاء مقيدا؛ أي أنّ النص قد يقيد بأحد المقيدات اللغوية كالصفة أو الحال»¹. وهذا ما سيتم الوقوف عنده من خلال هذا البحث انطلاقا من التوابع؛ أي أننا سنبحث في زاوية من زوايا تقييد النصّ القرآني وهي الزاوية المتعلقة بتقييده بالتوابع؛ وذلك من أجل الوقوف على دلالات هذا التقييد، وذلك في ربع منه وهو الربع الأوّل.

وكخلاصة لما أوردناه عن التوابع في الدرس البلاغي، يمكن أن نقول إنّ مصطلح التوابع عند علماء البلاغة قد ارتبط بمصطلحي الإطلاق والتقييد، والإطلاق في الكلام الاكتفاء بذكر طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه)، ويكون هذا لأغراض بلاغية معينة، أما التقييد، فيكون بإضافة عناصر أخرى إلى هذين الطرفين، ولا يكون هذا إلا لأغراض بلاغية خاصة إذا تعلّق الأمر بكلام الله تعالى، ومن بين هذه المقيدات التوابع، والتي ستكون موضوع هذا البحث، إن شاء الله .

¹ - أحمد عرابي . أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 2010 . دط

كمدخل:.....مفهوم التابع

ثالثاً/ ترتيب التوابع إذا اجتمعت:

لقد جعل علماء اللغة للتوابع إذا اجتمعت ترتيباً خاصاً يوافق أحكام كل نوع من أنواع التوابع، وسنتبع هذا الترتيب في ترتيب فصول هذا البحث- إن شاء الله-. وترتيبها كما قال أبو حيان في حال اجتماعها: «بدأت بالنعته، فعطف البيان، فالتوكيد، فالبديل، فعطف النسق فنقول: مررت بأخيكَ الكريم محمدٍ نفسه رجلٍ صالحٍ ورجلٍ آخرٍ، وأجاز بعضهم تقديم التأكيد على النعته¹، وسنعمد في ترتيب الفصول الترتيب الأول، إذ سنبدأ بالنعته ثم ننتقل إلى التوكيد، وبعده سنتناول البديل، لنختم البحث بالعطف، بمشيئة الله.

¹ - أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ). ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد. مراجعة: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة- مصر. ط:1. 1998. ج:4. ص: 2025. وانظر: ابن عصفور. شرح جمل الزجاجة. ج: 1. ص: 271.

✍️ الفصل الأول: النَّعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن

الكريم

المبحث الأوَّل: النَّعْت مفهومه وأنواعه:

أولاً/ مفهوم النَّعْت.

ثانياً/ التطابق بين النَّعْت والمنعوت.

ثالثاً/ أنواع النَّعْت.

المبحث الثاني: أنماط النَّعْت واستعمالاته في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم:

أولاً/ أنواع النَّعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

ثانياً/ تعدد النَّعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

ثالثاً/ حذف النَّعْت والمنعوت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم .

رابعاً/ الفصل بين النَّعْت والمنعوت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

الفصل الأول:.....النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم

إنّ النّعت هو التابع الذي استهل به أبو حيّان - كما رأينا في المدخل- ترتيبه للتوابع ولذلك سنخصص الفصل الأوّل من هذا البحث لتناوله بالدراسة والتحليل- بإذن الله-؛ وذلك اعتماداً منّا لهذا التقسيم في ترتيب فصول هذا البحث.

وسيضم هذا الفصل - بإذن الله- مبحثين، أما المبحث الأوّل فسنجعله خاصاً ببعض الجوانب النظرية المرتبطة بالنّعت من المنظور النحوي؛ أي ما تعلّق بتعريفه وأنواعه والتطابق بينه وبين المنعوت.

أما المبحث الثاني فسنخصصه لدراسة الاستعمال القرآني للنّعت في الرّبّع الأوّل من الذكر الحكيم، أين سنتتبع أنواعه، وأنماطه، وأشكاله مستعينين في هذا بما ستسفر عنه الدراسة الإحصائية في هذا الموضوع.

وبسبب طبيعة الدراسة؛ أي كونها دراسة نحوية بلاغية فإننا لن نكتفي بالإشارة إلى أنواع النّعت وأنماطه وأشكاله فقط في المدونة موضوع الدراسة، بل سنقوم في هذا المبحث أيضاً بالتنقيب عن أغراض الاستخدام القرآني للنّعت من خلال رصده ضمن السياقات التي ورد فيها.

وفي ختام هذا المبحث سنقف - بحول الله- على قضايا حذف النّعت والمنعوت وما يجوز أن يفصل به بينهما.

المبحث الأول: 

النعت مفهومه وأنواعه

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

أولا / مفهوم النعت:

1- النعت لغة:

لقد أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه، وهو يعالج مادة (ن ع ت): «النعته وصفك الشيء بما فيه، ويقال: النعت وصف الشيء بما فيه إلى الحسن مذهبه إلا أن يتكلف متكلف، فيقول: هذا نعت سوء، أما العرب العاربة، فإنما تقول لشيء إذا كان على استكمال النعت، والنعت كل شيء كان بالغاً، تقول: هو نعت أي جيداً بالغاً، والنعت الفرس الذي هو غاية في العتق... وأهل النحو يقولون: النعت خلف من الاسم يقوم مقامه، نعتة أنعتة نعتا، فهو منعوت»¹.

وبهذا الكلام تبين أن الأصل اللغوي لكلمة (نعت) هو الدلالة على الحسن والكمال والبلوغ والجودة، ولا يستعمل للدلالة على القبح إلا من باب التكلف، وهو عند النحاة للدلالة على الاسم الذي يأتي خلف آخر فيقوم مقامه.

وقد أورد الفيروز أبادي في معجمه في هذه المادة: «النعته كالمنع: الوصف كالانتعاع والفرس العتيق السباق... واستنعته استوصفه، وأنعت حسن وجهه حتى يُنعت»².

وبهذا نجد أن ما أورده صاحب القاموس المحيط من معان يطابق ما جاء به صاحب العين من دلالة (نعت) على الحسن والجودة، وهذا يجعلنا نصل إلى نتيجة هي أن معنى كلمة (نعت) في اللغة تدور دلالتها حول معاني الحسن والجمال والجودة والبلوغ، والله أعلم.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي. العين. مادة (ن ع ت). ج: 4. ص: 239.

² - الفيروز أبادي. القاموس المحيط. مادة (ن ع ت). ج: 1. ص: 156.

2- النّعت في الاصطلاح:

إنّ ما تقدّم حول بيان مفهوم التّوابع يجعل أوّل ما يُعرّف به النّعت، هو أنّه تابع لاسم قبله، لكنّ قبل التفصيل في مفهوم النّعت تجدر الإشارة إلى أنّ: «مصطلح النّعت هو مصطلح استعمله الكوفيون، وربما قاله البصريون والأكثر عندهم الوصف والصفة»¹.

فمصطلح النّعت إنّ مصطلح كوفي يرادف ما اصطلح عليه البصريون الوصف أو الصفة، وقد استعمل ابن جني المصطلح الأخير، وهو يعالج هذا الباب من الأبواب النحوية مدرجا إيّاه ضمن باب التّوابع، جاعلا الغرض منه تحلية الموصوف أو تخصيصه فالنّعت أو الوصف عنده هو: «لفظ يتبع الموصوف تحلية له وتخصيصا ممن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه، ولا يكون الوصف إلا من فعل أو راجعا إلى معنى فعل»².

ويتّضح من هذا أنّ النّعت عند ابن جني هو تابع لاسم قبله، وبذلك ينطبق عليه ما ينطبق على التّوابع في تبعية الاسم الذي قبله في الإعراب والعامل، إضافة إلى هذا فالنّعت عنده يأتي لأغراض منها تحلية الموصوف وتخصيصه، أي أنّه: «يخصّصه ويخرجه من الإبهام والعموم إلى حدّ يتميز به ويصير خاصا»³، وهذه بعض أغراض النّعت، والتي سيتمّ التفصيل فيها أكثر، إن شاء الله.

¹ - انظر: السيوطي جلال الدين (ت911هـ). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة. سوريا. دط. 1992. ج:5. ص:171.

² - ابن جني. اللّمع في العربية. ص:171.

³ - الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللّمع لابن جني. تحقيق: علاء الدين حموية. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان - الأردن. ط:1. 2006. ص:271-272.

الفصل الأول:.....النعّت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم
والنعّت أيضا عند ابن جنّي قد يبيّن معنى في الموصوف، وهو ما اصطّح عليه النّحاة
بالنعّت الحقيقي، وقد يبيّن معنى في شيء من سبب الموصوف، وهو ما اصطّحوا عليه
بالنعّت السببي، وهما نوعا النّعّت، والنّعّت عنده أيضا لابد أن يكون من فعل أو راجعا إلى
معنى فعل؛ أي أنه يكون مشتقا أو مؤولا بمشتق.

أما الزجّاجي فقد عرفّ النّعّت انطلاقا من كونه اسما أو ما هو في تقدير الاسم رابطا
إيّه بما يرد لأجله من أغراض، فقال: «عبارة عن اسم أو ما هو في تقدير اسم يتبع ما قبله
لتخصيص نكرة وإزالة اشتراك عارض في معرفة أو مدح أو ذم أو ترحم أو تأكيد مما دلّ
على حلية أو نسبة أو خاصة من خواصه»¹.

والواضح أنّ الزجّاجي لم يبتعد عن الدائرة التي رسمها ابن جنّي للنّعّت، فقد ركّز في
تعريفه على أنه تابع، وأنه يكون اسما أو ما هو في تقدير الاسم، وأنه يرد لأغراض مختلفة
فإنّ كان المنعوت نكرة كان النّعّت للتخصيص، وإن كان معرفة كان النّعّت لإزالة الاشتراك.

وقد يكون النّعّت لأغراض أخرى كالمدح، والذم، والترحم، والتأكيد، ويكون دالا على
حلية المنعوت، ونسبته، أو خاصية من خواصه، وفي هذا تفصيل كبير من الزجّاجي في
أغراض النّعّت، وهذا يدلّ على أنّ النّحاة اهتموا بالشق الدلالي للنّعّت إلى جانب اهتمامهم
بالشق الشكلي الإعرابي له.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجّاجي. ج:1. ص:193.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

أما النَّعت عند ابن هشام، فهو يرتبط بقضية الاشتقاق واختلاف لفظ النَّعت عن لفظ المنعوت، فهو عنده: «التابع المشتق أو المؤول به المُباين للفظ متبوعه»¹، وقد انطلق ابن هشام في تعريفه للنَّعت بأن صنفه ضمن باب التوابع، وجعل شرط الاسم حتى يكون نعتاً أن يكون مشتقاً أو مؤولاً بالمشتق.

وبالعودة إلى شرح هذا الكلام والتفصيل فيه، فسندقف على أنواع النَّعت المختلفة أي ما تعلق بالنَّعت المفرد، والجملة، وشبه الجملة، «فأما قوله مشتقاً، فالمراد به أربعة: اسم الفاعل كضاربٍ، واسم المفعول كمضروبٍ، والصفة المشبهة كحسنٍ، واسم التفضيل كأعلمٍ وأكبرٍ، والمراد بالمؤول به أربعة: الاسم الجامد الدال على معنى في ما أجري عليه كأسد فإنه دال على معنى الشجاعة، والظرف، والجار والمجرور، والجملة بعد النكرات»².

فشرط النَّعت إذن أن يكون من الأسماء المشتقة، أو الأسماء الجامدة التي تؤول بمشتق وهذا هو النَّعت المفرد، وهو النوع الأوَّل، والنوع الثاني هو شبه الجملة، والنوع الثالث هو النَّعت الجملة، ولا تكون الجملة نعتاً إلا إذا كانت بعد النكرات.

ومن الشروط التي وضعها ابن هشام للنَّعت أيضاً أن يكون مبايناً أو مخالفاً للفظ منعوته، وذلك حتى يفرِّق بين النَّعت والتوكيد اللفظي «كما في قولنا: جاء زيدٌ الفاضلُ الفاضلُ، فالأوَّل نعت والثاني توكيد لفظي»³.

¹ - ابن هشام عبد الله (ت 761هـ). شرح قطر الندى وبل الصدى. المكتبة العصرية. لبنان. دط. 2004. ص:316.

² - هادي نهر. شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام. دار اليازوري. الأردن. دط. 2014. ج: 2.

ص:277.

³ - ابن هشام. المصدر السابق. ص:317.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

ومما تقدّم يتضح أنّ النعت هو التابع المشتق أو المؤول بمشتق (جامد، أو شبه الجملة أو جملة) المخالف للفظ متبوعه، ويرد لأغراض كثيرة كالتخصيص، والتوضيح، والمدح والذم، والترحم، والتوكيد، وغيرها.

ولعلنا بعد هذا التحليل الذي قمنا به لآراء النحاة حول مصطلح النعت نقف على جمع النحاة بين الجانب الإعرابي والجانب الدلالي المعنوي، وهذا يؤكد عدم إهمالهم لجانب المعنى في دراساتهم، «فالنحاة لم يهملوا المعنى في هذه الأبواب بل كشفوا عن المعاني التي ترتبط بهذه الأبواب، أو تفرّق بعضها عن بعض، كما كشفوا عن المعنى الحقيقي الكامن وراء تبعيتها»¹.

وهذا الكلام يشير إشارة واضحة إلى أنّ النحو العربي لم يسقط المعنى من مباحثه، فقد تعرّض علماء النحو في وضعهم لحدّ النعت إلى أغراض استخدامه بشكل من التفصيل، إذ عرضوا الغرض من نعت النكرة ونعت المعرفة، إضافة إلى إشارتهم إلى أغراض أخرى كالمدح والذم، ولعلّ هذا التفصيل هو السبب الذي يعزى إليه ما أوردناه سابقاً² من أنّ ما جاء في كتب البلاغة حول موضوع التوابع ما هو إلا إعادة لما أوردته كتب النحو، والله أعلم.

¹ - كريم حسين ناصح الخالدي. نظرية المعنى في الدراسات النحوية. دار صفاء. عمان - الأردن. ط: 1. 2006.

ص: 247.

² - انظر: ص: 17. من هذا البحث.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

ثانيا/ التطابق بين النعت والمنعوت:

من المسائل التي أقرّها علماء اللغة تبعية النعت للمنعوت، فالنعت يتبع المنعوت في الإعراب، والتعريف، والتكثير، والعدد، والجنس، غير أنهم استثنوا من هذه التبعية بعض الحالات التي أوجبها ورود النعت في بعض المقامات كمقامي المدح والذم، وهذا ما دفعنا للتفصيل في هذه المسألة معرّجين على مواطن الاستثناء من التبعية مستعرضين أسبابه:

1- التبعية في الإعراب:

التطابق بين النعت والمنعوت في الإعراب من الأمور التي يفرضها كونه تابعا له «فالصفة أو النعت تابعة للموصوف في رفعه ونصبه وخفضه»¹.

2- التبعية في التعريف والتكثير:

يطابق النعت منعوته في التعريف والتكثير، فنُتعت المعرفة بالمعرفة، والنكرة بالنكرة أما نعت المعرفة، فقد اشترط علماء اللغة كي تتعت المعرفة بالمعرفة شروطا تتعلق بنوع المعرفة من جهة وبطبيعة النعت؛ أي كونه تابعا يقلل الاشتراك في المعارف من جهة أخرى. وقد عالج ابن يعيش هذه المسألة مشترطا أن يكون النعت أقل تعريفا من المنعوت أو مساويا له، فقال: «اشترط الجمهور على ألا يكون النعت أعرف من منعوته، بل دونه أو مساو له نحو: رأيت زيداَ الفاضلَ والرجلَ الصالحَ»²، فالنعت (الفاضل، والصالح) ليس أعرف من المنعوت (زيدا، والرجل)، فهو دونه في المثال الأول، ومساو له في المثال الثاني.

¹ - ابن يعيش موفق الدين (ت 643 هـ). شرح المفصل للزمخشري. تقديم: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 2001. ج: 2. ص: 244.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 172.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وعلة هذا الشرط وفق ما ذهب إليه الزمخشري مرتبطة بالعرض من النَّعت، والذي ينتفي إذا كان النَّعت أعرف من المنعوت، فإنَّما يُؤتى بالنَّعت كالتتمة للموصوف، فالمنعوت بذلك كالأصل، والنَّعت كالفرع الذي سيق في الكلام لأجل زيادة في معنى الأصل (المنعوت) ولهذا قال الزمخشري: «فالصفة تنتم للموصوف، وزيادة في بيانه وزيادة تكون دون المزيد عليه، وأما أن تفوقه فلا، فوجه الكلام أن تبدأ بالأعرف، فإن كفى وإلا أتبعته ما يزيد بيانا»¹ فلا يمكن أن نصف منعوتا بنعت أعرف منه؛ لأنَّ المنعوت كالأصل، وما النَّعت إلا فرعٌ وتنتم له في المعنى؛ فلا يمكن أن نبدأ بالفرع قبل الأصل.

والأسماء المعرفة في اللغة العربية أنواع شتى، تختلف درجة التعريف فيها من نوع إلى آخر²؛ ولذلك نجد علماء اللغة قد حددوا منها ما يمكن أن يكون نعتا، أو منعوتا، وما لا يصلح أن يكون نعتا ولا منعوتا، وقد جمع الزمخشري هذا في قوله: «فالمضمر لا يقع موصوفا، ولا صفة، والعلم مثله في أنه لا يوصف به، ويوصف بثلاثة: بالمعرّف باللام وبالمضاف إلى معرفة، وبالمبهم كقولك: مررت بزید الكريم، وبزید صاحب عمرو وصدیقك، وراكب الأدهم وبزید هذا»³.

وهذا الكلام يجعلنا نقسم الأسماء المعرفة ثلاثة أقسام، القسم الأوَّل منها لا يجوز أن يكون نعتا ولا منعوتا، والقسم الثاني لا يكون إلا نعتا، والقسم الثالث يجوز أن يكون نعتا و منعوتا.

¹ - ابن يعيش . شرح المفصل للزمخشري . ج:2. ص:249.

² - المعارف سبعة وهي: الضمير ثم العلم ثم اسم الإشارة ثم اسم الموصول ثم المعرف بـ(أل) ثم المضاف لمعرفة ثم النكرة المقصودة. انظر: ابن هشام عبد الله (ت 761هـ). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية. لبنان. ط.د.ت.ج.1.ص: 83.

³ - الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) . المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: خالد إسماعيل حسان. مراجعة: رمضان عبد التواب. مكتبة الآداب. القاهرة- مصر. ط:1. 2006. ص:162-163.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

فالأسماء اعتماداً على ما ذهب إليه الزمخشري ثلاثة أنواع: ما لا يكون نعناً ولا منعوتاً وهو المضمّر، وما يكون منعوتاً ولا يكون نعناً وهو العلم، وما يكون نعناً ومنعوتاً، وهي الأسماء المعرّفة بالألف واللام، والمعرّفة بالإضافة، والأسماء المبهمة كأسماء الإشارة وتفصيل هذا أنّ «ما كان من الأسماء علماً فهو يُنعتُ بثلاثة أشياء: يُنعت بما فيه الألف واللام، نحو: العاقل تقول: مررتُ بزيدٍ العاقلِ، وبما كان مضافاً، نحو قولك: مررتُ بزيدٍ أخيكَ، وبالأسماء المبهمة، نحو: رأيتُ زيداً هذا»¹.

فهذا الكلام يبيّن أنّ المنعوت إذا كان من أسماء العلم (زيد)، فنعته إما أن يكون معرفاً بالألف واللام (العاقل)، أو معرفاً بالإضافة (أخيك)، أو من الأسماء المبهمة (هذا).

أما المضاف إلى المعرفة فإنّه يكون نعناً كما يكون منعوتاً، إذ قال ابن يعيش إنّ: «المضاف إلى المعرفة فإنّه يُوصف بالمضاف إلى مثله في التعريف، وبالمضاف إلى ما هو أبهم منه على حسب الفائدة المذكورة، وبما فيه الألف واللام وبالأسماء المبهمة نحو: مررتُ بصاحبك أخِي زيدٍ، وصاحبِ هذا والكريم»².

ففي هذه الأمثلة نُعتت كلمة (صاحبك) المضافة إلى الضمير (الكاف)، بـ (أخي) وهي مضافة مثلها، كما نعتت بـ (هذا) وهو من الأسماء المبهمة، ونعتت بالكلمة المعرفة بالألف واللام (الكريم).

¹ - المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. مطابع الأهرام. مصر. ط: 3. 1994. ج: 4. ص: 282.

² - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص: 249.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

أما بالنسبة للأسماء المبهمة، والأسماء المعرّقة بالألف واللام، فقد فصل المبرد في نوع الأسماء التي تصلح أن تكون نعته لها، فقال: «ما كان من المبهمة، فينعت بالأسماء التي فيها الألف واللام، ثم بالنعوت التي فيها الألف واللام إذا جعلتها كأسماء، أما الأسماء التي فيها الألف واللام، فتنعت بما كان فيه الألف واللام، وبما أضيف إلى ما فيه الألف واللام، وذلك قولك: مررت بالرجل النبيل وبالرجل ذي المال»¹، فالنعت (النبيل) هو نعت معرف بالألف واللام نعتت به كلمة (الرجل) المعرّقة بالألف واللام أيضا، كما أن هذه الكلمة (الرجل) نعتت بـ (ذي) المضافة إلى كلمة (المال) المعرّقة بالألف واللام.

والجدير بالذكر هنا أنه، وإن كانت التبعية في التعريف والتكثير أصلا في النعت، فإنه قد يرد لفظ النعت مخالفا لفظ المنعوت تعريفا وتكثيرا، وذلك في حالة القطع، فابن يعيش يرى: «أن النعت إن قطع لم يلزم ذلك»²؛ أي لم تلزم تبعية النعت المنعوت في التعريف والتكثير.

والقطع من الظواهر اللغوية التي تسم الحركة الإعرابية للفظ التابع، والتي يكون الأصل فيها كما أوردنا تبعية حركة المتبوع، وهو قطع النعت عن تبعية المنعوت، ولا يكون هذا القطع عبثا، بل إنه لا يكون في الكلام إلا لأغراض بلاغية خاصة، وهو «أن يُقطع النعت عن كونه تابعا لما قبله في الإعراب إلى كونه خبرا لمبتدأ محذوف، أو مفعولا به لفعل محذوف، والغالب أن يفعل ذلك بالنعت الذي يؤتى به لمجرد المدح أو الذم أو الترحم نحو:

¹ - المبرد. المقتضب. ج:4. ص:282.

² - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج:2. ص:244.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

«الحمد لله العظيمُ أو العظيم» ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (المسد/4) وتقول: أحسنت إلى فلانٍ المسكينِ أو المسكين¹.

فالنَّعت في الأمثلة السابقة (العظيمُ، وحمالةٌ، والمسكينُ) قد قطع عن منعوته (اللهِ وامرأةٌ، وفلانٍ)، فلم يتبعه في الإعراب، كما أنه لم يتبعه في التكرير في المثال الأخير.

ويكون قطع النَّعت لأغراض بلاغية كالمدح والذم والترحم، كما أنه يستهدف إثارة انتباه السامع وتشويقه، فانتقال المتكلم وتركه للحركة الإعرابية التي كان المخاطب ينتظرها ويتوقعها، يلفت انتباهه إلى أهمية لفظ التابع الذي قطع إعرابيا عن لفظ المتبوع، «فالعربي يلجأ إلى قطع النَّعت لجذب انتباه السامع والسامعين إلى الكلمة التي قطعت في التركيب اللغوي عن متبوعها، وهو جذب يدور في فلك تشويق هذا السامع أو السامعين لتبين أهمية هذه الكلمة المقطوعة»².

ففي قطعك مثلا للنَّعت (العظيمُ) في قولك: (الحمد لله العظيمُ) قد نبَّهت السامع أن الغرض من هذا الكلام هو تعظيم الله والثناء عليه، فيركِّز انتباهه واهتمامه على هذا اللفظ أي على لفظ النَّعت (العظيمُ).

وإضافة إلى حالة قطع النَّعت يجوز أن يخالف النَّعت المنعوت في التعريف والتكرير في هذه الحالات:

1- يجوز ألا يتبع النَّعت المنعوت في التعريف والتكرير في حالة المدح والذم وإن لم يُقطع، وهذا ما أورده أبو حيان فقد قال: «ذهب بعض الكوفيين إلى جواز التخالف بكون النَّعت نكرة إذا كان لمدح أو ذم وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾¹ الذي

¹ - مصطفى غلاييني. جامع الدروس العربية. المكتبة العصرية. بيروت- لبنان. ط:1. 1993. ج:3. ص:228.

² - عبد الفتاح الحموز. القطع نحويا والمعنى. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان- الأردن. ط:1. 2009. ص:11.

الفصل الأول:.....النَّعْتِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿ (الهمزة/01) فالذي وصف لهزمة¹، والنَّعْتِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ اسْمُ
الْمَوْصُولِ (الذي) وَهُوَ لَفْظٌ مَعْرِفَةٌ رَغْمَ أَنَّ الْمَنْعُوتَ (لمزة) نَكْرَةٌ؛ وَذَلِكَ لَوُرُودِهِ فِي سِيَاقِ
الذَّمِّ.

2 - ما ذهب إليه الأخفش في كلمة (الأوليان) في قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَانَ يَقُومَانَ
مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ ﴾ (المائدة/107)، «فقد ذهب إلى أنه يجوز نعت
النكرة بالمعرفة إذا خصصت تلك النكرة بوصف، فجعل بذلك (الأوليان) صفة لآخران
استنادا على سبق يقومان»²، فكلمة (يقومان) وصف خصص النكرة (آخران)، فجاز نعتها
بنعت ثان (الأوليان) وقد جاء معرفة رغم كون لفظ المنعوت (آخران) نكرة.

3- قد يكون المنعوت معرفة والنَّعْتِ نَكْرَةٌ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ النَّعْتُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي
يَخْتَصُّ بِهَا الْمَنْعُوتُ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَقْرَبُ ابْنِ طَرَاوَةَ أَنْ يَخَالَفَ النَّعْتِ الْمَنْعُوتَ فِي التَّعْرِيفِ
وَاشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ «الوصف خاصا بالموصوف لا يوصف به غيره، كقوله: في أنيابها السُّمُّ
ناقعٌ، فقال: ناقعٌ: صفة للسُّمِّ»³، وهذا النَّعْتِ (ناقع) خاص بالسُّمِّ، والناقع من السُّمِّ هو البالغ
القاتل، ومنه قول النابغة الذبياني:

فبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْبِيْلَةٌ
مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ⁴

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1908.

² - قاسم محمد سلامة الشبول. أسلوب النعت في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط:1. 2010. ص:119.

³ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:173.

⁴ - انظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة (ن ق ع). مج: 8. ص: 360، وديوان النابغة الذبياني. شرح: عباس عبد

الستار. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:3. 1996. ص: 54. والبيت يصف مخاوفه من النعمان، وساور: أدرك
وضئيلة: أفعى دقيقة اللحم، والرقش: الواحدة رقشاء، وهي الحية المنقطة بالبياض والسواد.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

ولأنّ النعت (ناقع) في بيت النابغة خاص بالمنعوت (السّم)، جاز مخالفة التابع للمتبع

في التعريف والتذكير، فجاء لفظ المنعوت (السّم) معرفة بينما ورد لفظ النعت (ناقع) نكرة.

ومما تقدّم يتّضح أنّ الأصل في النعت أن يتبع المنعوت في التعريف والتذكير، وإن

أجاز العلماء أن يخالفه ويقطع عنه في بعض الحالات، وهي كما أوردنا قليلة عادةً ما ترتبط

بسياقات كلامية خاصة كالمدح والذم والترحم.

3- التبعية في التأنيث والتذكير:

إنّ الأصل أنّ يُطابق النعت المنعوت في الجنس؛ لأنّه تابع له، والتابع كما تبين في

تعريفه يتبع متبوعه في التأنيث والتذكير، إلا أنّ العلماء أجازوا أن لا يتبع النعت المنعوت

في التأنيث والتذكير في مواضع، وهي:

1- أن يكون النعت مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، أي أنّها صفات تصلح للجنسين

على حد سواء، وإن كان لفظها منتهياً بتاء التأنيث، وقد أورد الزمخشري بعض هذه الصفات

فقال: «صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث، نحو: فَعُولٌ، وفَعِيلٌ، بمعنى مَفْعُولٌ، أو مؤنثة

تجرى على المذكر نحو: علامة، وهلباجة، وربعة، ويفعة»¹، فهذه صفات لفظها مؤنث لكنّها

تصلح لوصف المؤنث والمذكر معاً، فنقول: رجل علامة، وامرأة علامة؛ ولذلك جاز مخالفة

النعت للمنعوت في التأنيث والتذكير.

¹ - الزمخشري. المفصل. ص: 162.

* الهَلابِجُ: الأحمق الذي لا أشد منه حمقاً، الرَبْعَةُ: الوسيط القامة، اليَفْعَةُ: من شارف الاحتلام وهو دون المراهق، انظر:

المعجم الوسيط. ص: (991، 325، 1065).

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

2- أن يكون النَّعت مما تختص به النساء دون الرجال، وهي مجموعة من الصفات يستحيل أن نجدها في جنس الرجال؛ لارتباطها بجنس النساء فقط، فيكون النَّعت بذلك «حالا يختص به المؤنث دون المذكر، مثل: امرأةٌ حائضٌ، وجاريةٌ طالقٌ»¹، فالنَّعتان (حائض وطالق) من الحالات التي يختص بها المؤنث، ولا يمكن للمذكر أن يتصف بها؛ ولذلك جاز أن يكون لفظ المنعوت (امرأة) مؤنثا، ويخالفه لفظ النَّعت (حائض) الذي جاء مذكرا، وكذلك الأمر بالنسبة للفظ (طالق)؛ لأنَّه لا يمكن أن يتبادر إلى ذهن السامع تذكير لفظ النَّعت (حائض وطالق).

4- التبعية في الإفراد والتنثية والجمع:

لقد أجمع العلماء على مطابقة النَّعت للمنعوت في الإفراد والتنثية والجمع، ويستثنى من ذلك بعض النَّعوت التي تستخدم للمفرد كما تستخدم للمثنى والجمع على حد سواء، ففي «بعض الصفات التي ألزمتها العرب الإفراد والتذكير (كأفعل من)، فإنَّه لا يتغير لفظها بحسب تغيُّر لفظ موصوفها، بل نقول: هذان رجلان أفضل من عمرو، وهؤلاء رجال أفضل من عمرو، وهذه امرأة أفضل من عمرو، وامرأتان أفضل ونساء أفضل»².

فلفظ (أفضل) المفرد المذكر المرفوع هو نعت للألفاظ (رجلان، ورجال، وامرأة وامرأتان، ونساء) على اختلاف هذه الكلمات في التانيث والتذكير والتنثية والجمع.

ومما تقدّم يتضح أنّ الإجماع قائم على أنّ النَّعت يتبع المنعوت في الإعراب والتعريف والتذكير والإفراد والتنثية والجمع، وإن جاز أن يخالفه في حالات قليلة قمنا بتوضيحها.

¹ - علي بن سليمان الحيدرة (ت 599هـ). كشف المشكل في النحو. تحقيق: هادي عطية مطر الهلالي. دار عمار .

عمان - الأردن. ط:1. 2002. ص: 385.

² - هادي نهر. شرح اللحة البدرية. ج:2. ص:280.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبع الأوَّل من القرآن الكريم

ثالثاً/ أنواع النَّعت:

لقد صنَّف علماء النحو النَّعت، وهم يحدِّدون مفهومه انطلاقاً من علاقته بالمنعوت إلى نعت حقيقي ونعت سببي. أما النَّعت الحقيقي، فيبيِّن صفات المنعوت أو الاسم الذي قبله، فهو «يبين أحوال متبوعه ويكمِّله بدلالته على معنى فيه على نحو: جاءَ الرجلُ الأديبُ»¹، ففي هذا المثال بيَّن النَّعت (الأديبُ) صفة من صفات المنعوت (الرجلُ).

أما النَّعت السببي، فلا يبيِّن صفة من صفات متبوعه، بل يرتبط ببعض صفات ما يتعلَّق بمتبوعه، فهو «يبين بعض أحوال ما يتعلَّق بمتبوعه، نحو: جاءَ الرجلُ الحسنُ خطُهُ»² فالنَّعت (الحسنُ) في هذا المثال لم يُبيِّن صفة المتبوع (الرجلُ)، وإنما بيَّن صفة (خطه)، وهو من الأشياء التي تتعلَّق بالمنعوت (الرجلُ).

ومن الواضح من خلال المثالين السابقين وجود اختلاف بين النَّعت الحقيقي، والنَّعت السببي في قضية التطابق بين النَّعت والمنعوت، والقضية الأولى التي تجدر الإشارة إليها هي أن «حكم النَّعت أن يتبع المنعوت في اثنين من خمسة دائماً، وهما: واحد من أوجه الإعراب وواحد من التعريف والتكثير»³، وذلك سواء كان النَّعت حقيقياً أم سببياً، فهو يتبع منعوته في الرفع أو النصب أو الجر وفي التعريف أو التكثير.

وإضافة إلى هذا فإنَّ النَّعت الحقيقي يتبع المنعوت في الإفراد والتثنية والجمع وفي التأنيث والتذكير، نحو: جاءَ الرجلُ الأديبُ، فإن أردنا التأنيث قلنا جاءت المرأةُ الأديبةُ، وجاءَ الرجلانِ الأديبانِ في المثني، وجاءَ الرجالُ الأديباءُ في الجمع.

¹ - السيد أحمد الهاشمي. القواعد الأساسية للغة العربية. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 1998. ص: 310.

² - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 318-319.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

أما النعت السببي، ولأنه «يفيد معنى في شيء متعلق بالمنعوت مرفوع به»¹؛ أي أنه يرفع الاسم الظاهر بعده والمتعلق بالمنعوت، فكلمة (الحسن) في المثال السابق هي نعت لكلمة (الرجل)، وقد رفعت اسما ظاهرا جاء بعدها أي لفظ (خط)؛ أي أنها قامت بعمل فعلها الذي اشتقت منه.

ولأن النعت السببي مشتق من فعل ويرفع فاعلا مثله، فإنه ينطبق عليه، وعلى الاسم الذي بعده الأحكام التي يختص بها الفعل والفاعل؛ أي ما تعلق بالتأنيث والعدد وغيرهما وهذا ما أورده ابن هشام حيث قال وهو في معرض الحديث عن النعت السببي: «فإن تذكيره وتأنيثه على حسب ذلك الاسم الظاهر لا على حسب المنعوت، كما أن الفعل الذي يحل محله يكون كذلك، نقول: (مررتُ برجلٍ قائمٍ أمهً)، فتؤنث الصفة لتأنيث (الأم)، ولا تلتفت لكون الموصوف مذكرا؛ لأنك تقول في الفعل: قَامَتْ أمه»²، فتذكير وتأنيث النعت السببي مرتبط بالاسم بعده، وهذا لمشابهته بالفعل الذي اشتق منه.

هذا بالنسبة للتأنيث والتذكير، أما الإفراد والتثنية والجمع، فإنه لما كان النعت السببي يرفع مرفوعا، وبذلك شابه الفعل في عمله، ولما كان الفعل إذا أسند إلى فاعل مثنى أو جمع جرّد من علامة التثنية والجمع، فنقول: قام الزيدان، وقام الزيدون³، فكذلك النعت السببي يأتي دالا على مفرد دائما، وإن اختلف الاسم بعده بين الإفراد والتثنية والجمع فتقول: «مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه، ومررتُ برجلٍ قائمٍ أبواه، ومررتُ برجلٍ قائمٍ أصحابه»⁴، فالنعت

¹ - جميل أحمد ظفر. النحو القرآني (قواعد وشواهد). مطابع الصفا. مكة المكرمة. ط:2. 1998. ص:462.

² - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص:321.

³ - انظر: المكودي أبو زيد عبد الرحمن (ت 807هـ). شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو. ضبط وتخرّيج الشواهد: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 1996. ص:84-85.

⁴ - الشريف عمر إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللمع لابن جني. ص:276.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
السببي(قائم) لزم الأفراد، وإن اختلف الفاعل بعده أفراداً وثنائية وجمعا (أبوه، وأبواه
وأصحابه).

ومما تقدّم يتّضح أنّ النّعت الحقيقي يتّبع المنعوت في واحد من الإعراب وواحد من
التعريف والتذكير، وواحد من الأفراد والثنائية والجمع، وواحد من التأنيث والتذكير، أمّا النّعت
السببي، فيتبعه في واحد من الإعراب، وواحد من التعريف والتذكير، ويتبع مرفوعه في واحد
من التأنيث والتذكير، ويأتي دالا على المفرد دائما.

وإذا كان النّعت وفق ما سبق يقسم حسب علاقته بالمنعوت إلى نعت حقيقي وسببي
فإنّه يقسم حسب تركيبه إلى مفرد وجمله وشبه الجملة، وهذا بالنسبة للنّعت الحقيقي، أما
النّعت السببي، فيكون كما أوردنا مفردا دائما:

1- النّعت المفرد:

وهذا النوع من النّعت إما أن يكون مشتقا، ويشمل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة
المشبهة، واسم التفضيل، أو اسما جامدا يؤول بمشتق، وقد جمعهم ابن مالك في قوله:

«وأنعت بمشتق كصعب وذرب وشبهه كذا وذوي والمُنْتَسِبُ

ونعتوا بمصدر كثيرًا فالتزموا الأفراد والتذكيرا»¹

فالنّعت المفرد إذن إمّا اسم مشتق أو اسم يؤول بالمشتق، نحو: ذا وذوي والاسم المنسوب
والمصدر.

¹ - ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص:40.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

2- النّعت الجملة:

لقد وقفنا ونحن نتناول حدّ النّعت على نتيجة هي أنّ النّعت يرد مفردا كما يرد جملة وشبه الجملة، ولا تكون الجملة نعْتا إلا إذا توفرت على مجموعة من الشروط التي وضعها لها علماء اللغة، وهي:

أ- أن تكون جملة خبرية لا إنشائية، فإنّه لا يُوصف إلا بـ «الجملة التي يدخلها الصدق والكذب»¹، أما الجملة التي لا يدخلها الصدق والكذب أو الجملة الإنشائية، فيمكن أن تكون نعْتا بشرط أن تكون «واردة على الحكاية وإضمار القول، كقولهم: جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط؟. كأنه قال: جاؤوا بمذق مقول فيه ذلك»²، فهذا الشاهد يثبت أنّه يمكن للجملة الإنشائية أن تكون نعْتا بشرط أن تؤول بخبرية واردة على الحكاية وإضمار القول.

وخلاصة هذا الكلام أنّ الجملة لا ينعْت بها إلا إذا كانت خبرية، فإن أردت أن تتعْت بجملة إنشائية وجب لهذه الجملة أن يمكن تأويلها بجملة خبرية؛ أي أن تكون واردة على الحكاية وإضمار القول.

فإن قيل لم لا ينعْت بالجملة الإنشائية؟، فإنّ الإجابة عن هذا التساؤل ترتبط بالعرض من الإتيان بالنّعت، فلا يُؤتى به إلا للتوضيح والتخصيص وغيرهما من الأغراض، والجملة الأقدر على أداء هذه المعاني هي الجملة الخبرية.

وفي هذه المسألة يقول الدكتور عبد السلام محمد هارون: «أمّا النّعت ومثله الصلة والحال، فإنّ الغرض منها هو التوضيح أو التخصيص أو التعريف أو التقييد، وهذه المعاني

¹ - الزمخشري. المفصل. ص: 161.

² - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص: 242.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبع الأوَّل من القرآن الكريم

لا يمكن تأديتها إلا بجملة تضمنت حكماً معلوماً حصوله للمخاطب... والجملة التي يمكن أن تؤدي هذه الأغراض المذكورة هي الجملة الخبرية¹، ولهذا سارع النحاة إلى تأويل الجملة الإنشائية وجعلها واردة على الحكاية وإضمار القول.

ب- أن يكون الموصوف نكرة، «فلا يوصف بالجمل إلا النكرات»² فجملة النَّعت لا تنعت إلا الأسماء النكرة.

ج- أن يربط بين جملة النَّعت والمنعوت عائد، فشرط الجملة النعتية أن تكون «مشملة على ضمير يعود على المنعوت غير مقترنة بالواو»³، أما وظيفة هذا الرابط أو الضمير فهي «الرابط بين الموصوف وصفته، فيحصل بذلك الربط اتصاف الموصوف بمضمون الصفة»⁴.

والرابط بين المنعوت وجملة النَّعت يأتي على صور وأشكال مختلفة، فيمكن أن يكون «مذكوراً نحو: جاءني رجلٌ يحملهُ غلامُه، أو مستتراً، نحو: جاءَ رجلٌ يحْمِلُ عصاً أو مقترراً نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَأَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة/48) والتقدير لا تجزي فيه»⁵.

فالعائد أو الضمير الرابط بين لفظ المنعوت وجملة النَّعت في الأمثلة السابقة جاء ظاهراً في قوله: (يَحْمِلُهُ) (الهَاءُ)، وجاء مستتراً في قوله (يَحْمِلُ) (ضمير مستتر تقديره هو)، وجاء مقترراً في قوله: (تَجْزِي) (التقدير فيه).

¹ - عبد السلام محمد هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. مكتبة الخانجي. مصر. ط:5. 2001. ص: 110.

² - السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:241.

³ - السيد أحمد الهاشمي. القواعد الأساسية للغة العربية. ص:218.

⁴ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج:3. ص:27.

⁵ - مصطفى غلاييني. جامع الدروس العربية. ج:3. ص:227.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
 وجملة النَّعت كما تَبَيَّن لا تقترن بـ(الواو)، فلا يربط بين المنعوت وجملة النَّعت
 بـ(الواو)؛ لأنَّ «الأصل في الجملة المؤدِّية وظيفه النَّعت أن تأتي لتفيد المنعوت بذكر صفته
 أن لا يفصل بينها وبين منعوتها فاصل (الواو أو غيرها) لأنَّه لا يفصل بين الشَّيئين اللذين
 يجعلان بمنزلة اسم واحد»¹.

أما نوع جملة النَّعت، فيمكن أن تكون اسمية، كما يمكن أن تكون فعلية، وقد أشار
 أبو حيَّان الأندلسي إلى أنَّ «الوصف بالجملة الفعلية أقوى منه بالجملة الاسمية»²، والعلَّة في
 هذا ما يحمله الفعل من معنى التجدد وما يحمله الاسم من معنى الثبوت، «فالفعل يدلُّ على
 التجدد والحدوث والاسم يدلُّ على الاستقرار والثبوت»³، فكان في معنى الفعل دلالة على قوة
 النَّعت في المنعوت لدلالته على التجدد؛ أي تجدد النَّعت في المنعوت، والله أعلم.

3- النَّعت شبه الجملة:

إضافة إلى إمكانية وقوع الجملة نعتاً تقع شبه الجملة أيضاً نعتاً؛ وذلك لإمكانية التأويل
 «فقد تقع شبه الجملة (الظرف، أو الجار والمجرور) نعتاً، ولكنَّ النَّعت في الحقيقة إنّما هو
 متعلِّق الظرف، أو الجار والمجرور المحذوف، نحو: رأيتُ رجلاً على جِوَادِهِ؛ أي كَانْنَا على
 جِوَادِهِ»⁴، فالظرف (عَلَى جِوَادِهِ) نعت لكلمة (رَجُلًا)؛ لأنَّ أصل هذه الجملة: (رَأَيْتُ رَجُلًا
 كَانْنَا عَلَى جِوَادِهِ)، فكان النَّعت في الحقيقة، هو متعلِّق (شبه الجملة) وليس شبه الجملة في حد
 ذاتها، وهذا ما أكده تأويل الجار والمجرور.

¹ - راجع بومعزة. الجملة الوظيفية في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط:1. 2009. ص:384.

² - أبو حيَّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1930.

³ - فاضل صالح السمرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها. دار الفكر. عمان- الأردن. ط:2. 2007. ص:162.

⁴ - السيد أحمد الهاشمي. القواعد الأساسية للغة العربية. ص:219.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نقول إنَّ النِّعْت تابع مشتق أو مؤول بمشتق يرد مفردا أو جملة أو شبه الجملة، فإن كان مبينا لصفة متبوعه، فهو نعت حقيقي، وإن بيّن صفة من صفات ما يرتبط بمتبوعه، فهو نعت سببي.

والأصل في النِّعْت أن يتبع المنعوت في إعرابه والتعريف والتنكير والعدد والجنس لكنّه قد يُقَطع عنه لدلالات بلاغية كالمدح، والذم، والترحم، وهذه المعاني وغيرها هي المعاني التي سنبحث عنها في استخدام النِّعْت كالتابع في آيات الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله وسيتم هذا العمل في المبحث الثاني من هذا الفصل، بمشيئة الله وعونه.

المبحث الثاني: 

أنماط النّعت واستعمالاته في الرّبع الأوّل
في القرآن الكريم.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من القرآن الكريم

أولاً/ أنواع النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من القرآن الكريم:

اعتماداً على ما تناولناه في المبحث السابق؛ أي ما تعلَّق بمفهوم النَّعت وأنواعه، سنقوم في هذا المبحث- بإذن الله وعونه- بربط ما أفرَّه العلماء في هذا الباب النحوي مع الاستخدام الفعلي في آيات الرَّبِّع الأوَّل من كتاب الله، والذي يمتدُّ من سورة الفاتحة إلى خاتمة الأنعام¹ أي أنه يشمل سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام.

وسنعمد في تقسيم عناصر هذا المبحث على أنواع النَّعت المختلفة (مفرد، وجملة وشبه الجملة)، وسنقوم بتوزيع كلِّ نوع من هذه الأنواع على الأنماط المختلفة التي وردت وفقه مستعرضين المسائل النحوية الخاصة بالنَّعت كحذف النَّعت والمنعوت والفصل بينهما.

وإضافة إلى هذا ومن أجل ربط الشق النحوي للدراسة بالبلاغي، سنقوم برصد كلِّ نوع من أنواع النَّعت داخل السياق القرآني الذي ورد فيه قصد الوقوف على الغرض البلاغي من استخدام نوع معين من النَّعت في سياق معين.

وللوقوف على استعمال النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من الذكر الحكيم قمنا بعملية إحصائية أسفرت أنَّ النَّعت قد تواتر اثنتين وعشرين وثمانمائة (822) مرة، وذلك وفق هذه الأنواع:

¹ - انظر: الزركشي بدر الدين (ت 794هـ). البرهان في علوم القرآن. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. مصر. ط:3. 1984. ج:1. ص:250. والقرطبي محمد بن أحمد (ت 671هـ). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآيات القرآن. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي. مؤسسة الرسالة. لبنان. ط:1. 2006. ج:1. ص:104.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

1- النّعت المفرد:

ورد النّعت المفرد في هذه المدونة خمس عشرة وأربعمائة (415) مرة ، وقد تتوّع بين النّعت الحقيقي والنّعت السببي، وجاء الحقيقي منه في صور وأشكال وأنماط مختلفة سنقف على هذا في المدونة من خلال تتبع بعض الأمثلة الواردة في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم وذلك بالدراسة والتحليل، وربطها بما سنّه علماء اللغة من قواعد نحوية تخصّ باب النّعت وسنتتبع الأغراض البلاغية لهذه النّعوت وربطها بسياقاتها داخل الآية والسورة التي وردت فيها.

النّمط الأوَّل: النّعت الحقيقي:

لقد وصلنا بعد عملية الإحصاء والاستقراء التي قمنا بها إلى أنّ النّعت الحقيقي المفرد استخدم في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم ثلاث عشرة وأربعمائة (413) مرة، وقد جاء موزعا بين مشتق وجامد مؤول بمشتق، وذلك وفق هذه الصور والأشكال:

الصورة الأولى: النّعت المشتق:

لقد ركّز أغلب العلماء وهم يعرفون النّعت على أنه لفظ مشتق أو مؤول بمشتق، وليست كلّ المشتقات صالحة لينعت بها، فإنّما ينعت بالمشتقات التي يمكن أن تؤدي الغرض من النّعت؛ أي توضيح لفظ المنعوت أو تخصيصه؛ ولذلك «يُنعت بالمشتقات التي على ذات أو صفة أو - بعبارة أخرى- تدلّ على الحدث وصاحبه، وهي: اسم الفاعل واسم المفعول

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبِّ الأوَّل من القرآن الكريم
والصفة المشبهة واسم التفضيل وصيغ المبالغة، أما أسماء الزمان والمكان والآلة، فلا ينعْت
بها لعدم دلالتها على الصفة أو صاحب الحدث»¹.

وقد تواتر هذا النوع من النعْت في مدونة البحث ستاً وثلاثين وثلاثمائة (336) مرة وقد
نعْتت به المعرفة كما نعْتت النكرة، وجاءت المعرفة معرفة بالألف واللام حيناً، ومعرفة
بالإضافة حيناً آخر، وذلك وفق هذه الأشكال:

الشكل الأوَّل: نعْت المعرفة:

بلغت المواضع التي نعْتت فيها المعرفة في الرَّبِّ الأوَّل ثمانية وتسعين (98) موضعاً
تنوع فيه النعْت بين مختلف المشتقات وتعددت أغراض استخدامه من آية إلى أخرى، وذلك
حسب ما يقتضيه السياق.

وقد قسّمنا العمل في هذا العنصر انطلاقاً من المشتقات المستخدمة كنعْتت في الرَّبِّ
الأوَّل من القرآن الكريم؛ لما بين هذه المشتقات من اختلاف في الدلالة يستوجب تنوعاً في
الاستخدام من جهة، ويتطلب تلاؤماً بين نوع المشتق، والغرض الذي استخدم من أجله
والسياق الذي ورد فيه من جهة أخرى، وهذا تفصيل هذا الشكل من النعْت:

1/ ورود نعْت المعرفة اسم فاعل:

اسم الفاعل هو أوَّل مشتق نستفتح به الحديث عن المشتقات التي استعملت نعْتاً في
الرَّبِّ الأوَّل من كتاب الله-بمشيئة الله-، وحتى نقف عند حقيقة استعمال هذا المشتق لا بد
بداية من الوقوف عند تعريفه، وهو كما قال المكودي: «ما دلَّ على حدث وفاعله جارياً

¹ - عبد السلام السيد حامد. الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى). دار غريب. القاهرة- مصر. دط. 2002.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من القرآن الكريم
 مجرى الفعل في الحدوث والصلاحية للاستعمال بمعنى الماضي والحال والاستقبال»¹، وهذه
 الدلالة ستجعل النَّعت به يحمل الدلالة التي يحملها؛ أي استمرارية اتصاف النَّعت بالمنعوت
 وتجده فيه، وذلك في الزمن الذي يدلُّ عليه اسم الفاعل؛ أي أنَّ اتصاف النَّعت بالمنعوت
 سيكون في مدة معينة يدلُّ عليها اسم الفاعل.

وقد استعمل اسم الفاعل نعتاً في إحدى وثلاثين (31) آية، ومن استخداماته أنه ورد
 كنعت لبلاغ الرسول صلى الله عليه وسلم لرسالة ربِّه سبحانه وتعالى.

وكان هذا الاستعمال في قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ
 تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (المائدة/92).

فالرسول صلى الله عليه وسلم إنَّما بعث ليبلغ رسالة ربِّه إلى الناس أجمعين، وقد نُعتَ
 بلاغه بالمبين، والنَّعت (المُبِينُ) في هذه الآية هو اسم مشتق، فهو اسم فاعل من الفعل
 الرباعي (أبان)، والمقصود بالمبين: « بَيِّنٌ ظاهر مُبَيِّنٌ للحق عن الباطل»²، وقد تبع هذا
 النَّعت المنعوت في التعريف والتذكير والإفراد والإعراب (الجر).

وإذا عدنا إلى ما أضافه استخدام النَّعت في هذه الآية، فإنَّه من المعلوم أنَّ الإنسان إذا
 أراد أن يبلِّغ رسالة قد يفشل في إيصال أفكاره لعييب في اللغة أو الفكرة أو غيرها من
 متطلبات التواصل الناجح، لكنَّ بلاغ النبي صلى الله عليه وسلَّم كما وُصف في الآية (مُبِينٌ)
 ووصف البلاغ بالمبين وضَّح نوعه، وميَّزه عن سائر أنواع البلاغ عند البشر، بل في وصفه
 هذا حجة على كلِّ إنسان.

¹ - المكودي. شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو. ص: 163.

² - أحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته. مؤسسة سطور المعرفة. السعودية. ط: 1.

2002. ص: 107.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

فلو أنّ الله قال: (أَنَّما عَلَيَّ رَسولِنَا البَلَاغُ)، ولم ينعْت البَلَاغ بالمُبِين، لاحتجَّ بعض النَّاس بالقول إنّ في البَلَاغ نقصا أو غموضا، فكان في هذا النّعْت إذا حجة على كلّ كافر أو عاص بعد سماعه لدعوة النبي صلى الله عليه وسلّم في كلّ زمان و مكان، لأنّ البَلَاغ قد وضّح طرق الهداية كما بيّن سبل الضلالة، بل إنّ فصل في كلّ ما يتعلّق بالإنسان، وهذه المعاني دلّ عليها النّعْت (المُبِينُ)، والله أعلم.

إضافة إلى هذا فقد عبّر باسم الفاعل (المُبِين) لدلالة اسم الفاعل على الحدوث، فهو يتجدد عبر الزمن الذي يدلّ عليه، واسم الفاعل هنا يدلّ على الإبانة من زمن النبي صلى الله عليه وسلّم إلى قيام الساعة، ورغم أنّ هذه الصفة(المُبِين) ملازمة للبَلَاغ إلا أنّها تختلف من زمن إلى آخر، فبَلَاغ النبي صلى الله عليه وسلّم مبين في الماضي والحاضر والمستقبل فقد كان مبينا في الماضي بما أذهل العرب في لغتهم، وهو مبين في الحاضر بما كشف من إعجاز علمي، وسيكشف مستقبل الأيام عن مواطن إبانة وإعجاز أخرى، والله أعلم.

واستعمال النّعْت في هذه الآية بيّن أنّ الخطاب القرآني لا يستعمل النّعْت إلا وقد أراد وراء استعماله أغراضا دلالية دقيقة جدا، بل إنّ ذكره لأنّ سياق الآية يستوجب هذا الذكر وإنّ حذفه يجعل المعنى ناقصا غامضا.

وهذا الكلام يوصلنا إلى استنتاج ما يؤديه النّعْت من دور دلالي في الجملة التي يرد فيها، فالنعْت كما قال إبراهيم مصطفى هو النوع الأوّل من التوابع، والذي «تكون فيه الكلمة الثانية من الأولى بمنزلة المكمل للمعنى، المتم له، حتى لا يفهم المعنى إلا بهما معا، وحتى يكونا في الدلالة على ما يراد بمثابة (عبد الله) في الدلالة على مسماه. تقول: (استشر عاقلا

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

(نصيحا)، ليس المستشار، أو من رغبت في أن يستشار، إلا ما أفهمت بالكلمتين (عاقلا نصيحا) «¹.

فالنعْت انطلاقا من هذا الكلام يرتبط بالمنعوت كارتباط المضاف إليه بالمضاف، وهما كالكلمة الواحدة، فالمعنى المراد لا يصل إلى المتلقي إلا بذكرهما معا، وهذا ما يوضحه المثال السابق، فالمعنى لا يكون تاما إلا بذكر المنعوت (عاقلا) متبوعا بالنعْت (نصيحا) بل إن ذكر أحدهما دون الآخر يجعل المعنى غامضا؛ وذلك نحو قولنا: (استشر عاقلا)، فهذه الجملة عدّة احتمالات دلالية، فالعاقل يمكن أن يكون ناصحا، أو غير ناصح، أو حريصا أو متهورا، وغيرها من الاحتمالات، لكنّ إيراد النعْت (ناصحا) قد حدد المعنى المراد بدقّة.

وإضافة إلى الآية السابقة، فقد استخدم اسم الفاعل في نعت المعرفة في مواضع أخرى وقد لفت انتباهنا استخدامه مقترنا بكثرة بالمنعوت (القوم)، وذلك في تسعة عشر (19) موضعا وقد اختلف لفظ النعْت من مقام لآخر، فكانت كلمة (الكافرين) نعتا في ستة (6) مواضع بينما كان النعْت بكلمة (الظالمين) في ثمانية (8) مواضع، وكان النعْت بكلمة (الفاسقين) في ثلاثة (3) مواضع، أما النعْت (المجرمين)، فكان استعماله مرة واحدة (1)، وكذلك النعْت (الصالحين).

وقد كان هذا الاستعمال موافقا للسياق الذي ورد فيه النعْت، إذ ورد النعْت (الصالحين) في سياق المدح في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (المائدة/84)، أما بقية النعوت فقد ارتبطت بسياقات الذم وقد ورد كل نعت في المقام الذي يناسب دلالاته رغم ما هو واضح من تقارب دلالي بين هذه النعوت.

1- إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. مطبعة لجنة التأليف والترجمة. مصر. دط. 1987. ص:118.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

ولا يمكن أن نصل إلى هذا الاستخدام الدقيق إلا بالمقارنة بين سياقين من الاستعمال فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ 250).

ففي هذه الآية نعت لفظ (القوم) بلفظ (الكافرين)؛ لأنه ورد في سياق الدعاء بالنصر على الأعداء، وصاحب الدعاء يتخير لنفسه أحسن أعماله ليتقرب بها إلى الله إذا دعا بالخير وإذا دعا على إنسان بالشر، فهو يتخير له أكثر صفاته وأعماله سوءا، فكان اختيار النعت (الكافرين) في هذا المقام، لأنه «المقتضي لخدلان أعدائهم، وهو الكفر وكانوا يعبدون الأصنام»¹، وبذلك كان النعت مناسبا لمقتضى الحال، وموافقا للسياق.

وإذا استخدم هذا النعت (الكافرين) في هذا السياق، فإنه قد عدل عنه في سياق آخر رغم أنه صفة من صفات القوم الذين تتحدث عنهم الآية، وذلك في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ 258).

وقد وردت هذه الآية في سياق الحديث عن حجاج إبراهيم عليه السلام للنمرود، وما كان منه من كفر، وظلم، ورغم أنه وقومه يتصفون بالكفر والظلم، فقد اختار الخطاب القرآني نعتهم بالنعت (الظالمين) بدل نعتهم بـ(الكافرين).

¹- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 754هـ). البحر المحيط. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ومحمد عوض وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 1993. ج: 2. ص: 277.

الفصل الأول:.....النَّعْتِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وقد ورد هذا النَّعْتِ فِي الْجُمْلَةِ الْخَبْرِيَّةِ (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فكان في قوله سبحانه وتعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) لما كان للنَّعْتِ إِضَافَةٌ فِي الْمَعْنَى، لَكِنَّهُ بِاسْتِخْدَامِهِ لِلنَّعْتِ (الظَّالِمِينَ) قَدْ بَيَّنَّ سَبَبَ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَإِبْعَادَهُمْ عَنِ الْهَدَايَةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَمَا أُورِدَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: «فَإِنَّ الظُّلْمَ حَائِلٌ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ التَّنَازُلِ إِلَى التَّأَمُّلِ مِنَ الْحُجْجِ وَإِعْمَالِ النَّظَرِ فِيمَا فِيهِ النِّفْعُ، إِذِ الذَّهْنُ فِي شَاغِلٍ عَنِ ذَلِكَ بِزَهْوِهِ وَغُرُورِهِ»¹، فَكَانَ النَّعْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَبِينًا لِسَبَبِ الْخَبَرِ الَّذِي وَرَدَ قَبْلَهُ (عَدَمُ الْهَدَايَةِ).

وهذا الكلام يؤكد أنَّ النَّعْتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ قَدْ جَاءَ بِمَا يَنَاسِبُ السِّيَاقَ وَقَدْ أَدَّى اسْتِعْمَالَهُ إِلَى جَانِبِ الْمَنْعُوتِ إِلَى دَلَالَاتٍ دَقِيقَةٍ جَدَا، سَتَخْتَلُ لَوْ حُذِفَ النَّعْتُ، أَوْ غُيِّرَ بِآخِرٍ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَاهُ قَرِيبًا مِنْ مَعْنَى النَّعْتِ الْمُسْتَعْمَلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

2/ ورود نعت المعرفة اسم مفعول:

لم يستعمل الخطاب القرآني في نعت المعرفة اسم الفاعل فقط، بل استعمل اسم المفعول أيضا، وقد تواتر ذلك عشرة (10) مرات، ومن المواضع التي ورد فيها النَّعْتِ الْمَعْرِفَةُ الْمَشْتَقُ اسْمُ مَفْعُولٍ قَوْلُهُ تَعَالَى، وَهُوَ فِي مَعْرُضِ تَذْكَيرِ النَّاسِ بِنِعْمِهِ:

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة/164).

وفي هذه الآية وُصِفَ لَفْظُ (السَّحَابِ) بِـ (المُسَخَّرِ)، «والمُسَخَّرُ: الْمُدَلَّلُ وَتَسْخِيرُهُ بَعَثُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، وَقِيلَ تَسْخِيرُهُ ثَبُوتُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ وَلَا عِلَاقٍ»².

¹ - الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. تونس. دط. 1984. ج: 3. ص: 34.

² - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج: 2. ص: 502.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

هذا من الناحية الدلالية؛ أي من ناحية معنى النعت (المُسخر)، أمّا من الناحية النحوية فهذا النعت هو لفظ معرفة عُرّف بالألف واللام، وهو لفظ مشتق، فهو اسم مفعول من الفعل الرباعي (سخر) فإِنَّهُ مُسَخَّرُ السحاب، والسحاب مُسَخَّرٌ؛ أي أنّ الفعل واقع من الله على السحاب يرسله حيث يشاء، إضافة إلى هذا فقد تبع النعت المنعوت في التعريف والتذكير والإفراد والإعراب (الجر)؛ لأنّ المقام ليس للمدح أو الذم أو الترحم؛ ولذلك يمنع القطع.

وسواء كانت كلمة (المُسخر) تعني انتقال السحاب من مكان إلى آخر، أو ثباته بين السماء والأرض من غير أعمدة ولا أربطة، فهي تدلّ على عظمة الله خاصة بعد نعتها لكلمة (السحاب) باعتبارها اسم مفعول، واسم المفعول يدلّ على من وقع عليه فعل الفاعل واستعماله يؤكّد أنّ السحاب إنّما يتحرك بقدره الله، فهو يرسل السحاب حيث يشاء فيمطر بإذنه حيث شاء، وتكون هذه الدلالات جميعاً مؤكّدة لوحداية الله، والله أعلم.

وبالتأمل أكثر في هذه الآية والإبحار في بلاغة استخدام النعت فيها بهذه الصورة سندرك ونقف على أنّ النعت لم يستخدم عبثاً، وأنّه ليس فضلة يمكن الاستغناء عنها دون إحداث خلل واضح في المعنى.

فقد اتفق العلماء وهم يتطرقون إلى موضوع النعت أنّه يرد من أجل تقييد المنعوت «فالنعت يقيّد المنعوت بذكر صفته، ولا شك أنّ ذكر الاسم من غير صفته أعمّ وأشمل من ذكره مع صفته، ويتّضح هذا الفرق بين قولك: امْتَحَنَتُ الطُّلابَ، وقولك: امْتَحَنَتُ الطُّلابَ الرّاسيينَ، ففي الجملة الثانية تحديد وتقييد لـ (الطلاب) بكونهم (الطلاب الراسيين) وليس عموم الطلاب»¹.

¹ - سناء حميد البياتي. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. ص: 265.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وانطلاقاً من هذا الكلام نجد أنّ النّعت (المُسخر) قد قيّد المنعوت (السحاب) فجعله مرتبطاً بإرادة الله وقدرته على اعتبار أنه اسم مفعول فعله لا يكون إلا من الله عزّ وجلّ فالسحاب لا يسخر إلا من الله، كما أنّ استعمال النّعت في هذه الآية أقوى في الدلالة من عدم استعماله؛ أي القول: (والسحاب بين السماء والأرض)؛ لأنّ في ذكر النّعت (المُسخر) تنبيه للعقول من أجل التأمل في خلق الله، وذلك بطرح التساؤل لم يغادر السحاب منطقة ليمطر في منطقة أخرى؟، فيكون النّعت (المُسخر) جواباً لهذا التساؤل، ونوعاً من بث الطمأنينة في قلب كلّ من يخاف على رزقه.

بل إنّ استخدام اسم المفعول في هذا السياق أقوى في التعبير من استخدام أي نوع آخر من النّعوت، فلو أنّ الله سبحانه وتعالى قال: (والسحاب سُخر بين السماء والأرض)، لانتفى باستعمال الجملة الفعلية (سخر بين السماء والأرض) كنعْت معنى التأكيد والثبات الذي يحمله اسم المفعول (المُسخر)، أي أنّ السحاب مُسخر من الله في كلّ زمان ومكان، والله أعلم.

إضافة إلى هذه الآية فقد نعت باسم المفعول في مواطن أخرى، منها قوله تعالى:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء/172)

فقد نعتت كلمة (المَلَائِكَةُ) بكلمة (المُقَرَّبُونَ)، والمقصود بالملائكة المقربين «الملائكة الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل»¹.

وقد ورد لفظ النّعت (المُقَرَّبُونَ) في هذه الآية اسماً مشتقاً، فهو اسم مفعول من الفعل الرباعي (قرب)، وقد تبع النّعت المنعوت في التعريف، والتذكير، والجمع، فالمنعوت جمع

¹ - الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض. مكتبة العبيكان. السعودية. ط:1. 1998. ج:2. ص:184.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

تكسير مفردة (ملك)، والنعته جمع مذكر سالم، كما تبعه في الإعراب أيضا (الرفع)، وفي هذا النعته دلالة على توضيح فئة من الملائكة عند الله، وفي نعتهم بهذا النعته مدح لهم وثناء عليهم وبيان لمكانتهم وفضلهم، والله أعلم.

وإلى جانب استخدام اسم المفعول في سياق المدح نجده أيضا في سياق الذم، ومنه قوله تعالى في الآيات التي روت قصة امرأة عمران، وأوردت دعاءها لابنتها مريم، إذ قال تعالى:

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران/36)

فقد ورد في هذه الآية لفظ (الشيطان) معرفًا بالألف واللام (أل) متبوعا بنعته معرفة (الرجيم) ومعنى الرجيم «المطروء وأصل الرجم الرمي بالحجارة»¹.

وقد جاء لفظ النعته هنا (الرجيم) لفظا مشتقا، على وزن (فَعِيلٌ)، وقد أورد المكودي أن هذا الوزن يدلّ على المفعول، وهو وزن سماعي، نحو: قتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح²، وقد كان استعمال هذا الوزن أقوى من استخدام الوزن (مفعول) من الفعل (رَجَمَ) أي القول: (الشيطان المرجوم)؛ لما تدلّ عليه من ملازمة النعته للمنعوت.

كما أنّ استعمال النعته في هذا السياق ليس من باب الإطناب، بل إنّ حذفه سيجعل المعنى ناقصا ولا يصبح الكلام قادرا على تأدية المعنى المقصود منه، فلو أنّ الله سبحانه اكتفى بالقول: (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ) لكانت الدلالة ناقصة، وذلك كالفرق

¹ - الأوسى شهاب الدين (ت127هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي.

بيروت- لبنان. دط. دت. ج:3. ص:137.

² - انظر: المكودي. شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو. ص:175.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
بين قولك: احذر زيدا، وقولك احذر زيدا الفاسق، ففي الثانية أدى النعت إلى الذم، وهذا الذم
سيجعل المخاطب يحذر من زيد أكثر.

فمن أعراض النعت التي اتفق العلماء على ورود النعت لأجلها الذم، ويكون الذم بذكر
مساوي الموصوف، مثل: «قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ﴾ (النحل/98)، وكقولنا: ذهب زيد الفاسق»¹، فقد وصف (الشیطان) بـ (الرجيم) ذمما
له وتحقيرا لشأنه، كما وصف (زيد) بـ (الفاسق) من باب الذم أيضا.

وإضافة إلى هذا فقد تبع لفظ النعت لفظ المنعوت في التعريف، والتذكير، والإفراد
والإعراب (الجر)، وإن كان المقام للذم، فيجوز فيه القطع والإتباع معا، وفي هذا النعت
للشيطان كما أوردنا ذم له، وبيان لحقارة مكانته وشأنه، وتأکید أنه مطرود من رحمة الله
وفي هذا زيادة من تحذير بني آدم منه ، والله أعلم.

3/ ورود نعت المعرفة صفة مشبهة:

إن الصفة المشبهة من المشتقات التي يجوز أن يُنعت بها؛ وذلك لدلالاتها على الفاعل
وهي عند الصرفيين: «ما صيغ لغير تفضيل من فعل لازم قصد نسبة الحدث إلى الموصوف
دون إفادة معنى الحدث»²، فهي بذلك تشبه اسم الفاعل في الدلالة على الفاعل، وتختلف عنه
في دلالاتها على الثبات، أي ثبات الصفة.

¹ - عبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب. مصر. دط. 1990. ج:1. ص:83.

² - المكودي. شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو. ص: 175.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد استعملت الصفة المشبهة في الربع الأول من الذكر الحكيم سبعا وعشرين (27)

مرة، وذلك في سياقات مختلفة، ومنها سياق وصف نعيم الجنة، إذ قال تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النساء/ 13).

فكان النعت بالصفة المشبهة (العظيم)، والتي جاءت على وزن (فَعِيل)، وتبع منعوته في الإعراب (الرفع)، والتعريف، والإفراد، والتذكير، وقد دلّ هذا الاستعمال أن نعيم الجنة والفوز بها يتصّف بهذا الوصف، وهو ثابت فيه وملازم له؛ لأنّ الصفة المشبهة «ثابتة في الحال سواء كانت قبله أو بعده»¹، فهي تدلّ على اتصاف الموصوف بها في جميع الأزمنة.

ويدلّ على ملازمة النعت (العظيم) للمنعوت (الفوز) استعمال هذا التركيب في موضع آخر من الربع الأول من القرآن الكريم، إذ استعمل في قوله تعالى أيضا:

﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة/ 119).

والملاحظ أنّ لفظ المنعوت جاء معرفة، وكذلك لفظ النعت رغم أنّ الله كان يمكن أن يقول: (ذلك فوز عظيم)، وكأنّه أراد بالتعريف المعنى الخاص؛ أي أنّ الفوز الحقيقي هو الفوز بجنات عرضها كعرض السماوات والأرض، وهو الشيء الوحيد الذي يستحق أن يسمى فوزا، ولذلك ترك التتكير لأنّه يدلّ على معنى العموم؛ أي أنّ الفوز يمكن أن يكون بغير الجنة، فالتتكير سيؤدي إلى الدلالة على تعدد صور الفوز وأشكاله.

¹ - السيوطي. الأشباه والنظائر في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. دط. دت. ج: 2. ص: 252.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أدى النعت بالصفة المشبهة (العظيم) إلى تخصيص هذا الفوز حتى لا يضاھيه ما يعتقد البشر أنه فوز، إذ العظيم في اللغة ما جاوز قدره وجلّ عن حدود العقول حتى لا تتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته، وهو الهائل الكبير.¹

فلو أنّ الله اكتفى بالقول: (ذلك الفوز) لتوهم السامع صفات متباينة لهذا الفوز كالكبير وغيرها من الصفات، والتي لا يمكن أن تصف الفوز بدقّة، فالنعت (الكبير) مثلاً لا يحمل معنى ابتعاد الشيء عن تصور العقول، وبذلك سيبتعد عن المعنى المراد أي تعظيم هذا الفوز بحيث لا يحاكيه فوز أو يماثله، والله أعلم.

4- ورود نعت المعرفة صيغة مبالغة:

لقد اختلفت السياقات التي استعمل فيها النعت المشتق، فأوجب بعضها استعمال اسم الفاعل، وفرض بعضها الآخر استعمال اسم المفعول والصفة المشبهة، لكنّ بعض السياقات أوجبت الانتقال إلى صيغة المبالغة؛ لما تتطلبه من تأكيد المعنى وتقويته، والمبالغة فيه ولذلك نجد الله سبحانه وتعالى قد اختار التعبير فيها بصيغ المبالغة.²

وقد تواتر استخدام هذه الصيغة في آيات المدونة سبع عشرة (17) مرة، منها قوله تعالى في آخر سورة في الربع الأول من القرآن الكريم (سورة الأنعام).

¹ - انظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة (ع ظ م). مج : 12. ص: 409 وأحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته. ص: 320.

² - صيغ المبالغة أسماء تشتق من الفعل الثلاثي للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته، ولها أوزان أشهرها خمسة، وهي: فَعَّالٌ، مِفْعَالٌ، فَعُولٌ، فَعِيلٌ، فَعِلٌ. انظر: عبده الراجحي. التطبيق الصرفي. دار النهضة العربية. بيروت- لبنان. دط. 1984. ص: 77-78.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام/96).

فبعد أن عدَّ الله عجائب قدرته جاء فوصف نفسه، وقال: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) فوصف نفسه بداية بقوله: (العزیز)، وهو صفة مشبهة، ومعناه الغالبُ القاهر¹.

وقد أضيف لفظ (العزیز) إلى لفظ (تقدير) لبيان أن تقدير الكون وما فيه إنما يكون من الله، وأنه يخضع لسلطانه، كما نعت لفظ (العزیز) بالنعته (العليم)، وهو صيغة مبالغة من الفعل (عَلِمَ) دالة على سعة العلم، وقد تبع النعت المنعوت في التعريف والإفراد والتذكير والإعراب (الجرّ)، وكان في استعمال النعت في هذه الآية بهذه الطريقة بلاغة كبيرة.

فلو أن الله سبحانه وتعالى قال: (ذلك تقديرُ العزیز) لتوهم متوهم أن قدرة الله وتصرفه في الكائنات تكون بالصدفة، ولا يحكمها العلم، كما أنه لو قال: (ذلك تقديرُ العليم) لتوهم متوهم أن الله سلطان العلم أما سلطان القدرة فيشاركه فيها شريك، كما أنه لو قال: (ذلك تقدير العزیز العالم) باستخدام اسم الفاعل (عالم) مكان صيغة المبالغة (عليم) لتوهم متوهم أنه يوجد منافس لله في علمه أو مساو له، فكان استخدام التركيب (تقدير العزیز العليم) دافعا لأي توهم، فهو يدلّ على أن التقدير بيد الله وحده، ولا يكون إلا وفق علم وحكمة بالغة منه، والله أعلم.

لكنّ استخدام صيغ المبالغة للدلالة على أسماء الله الحسنى يتنافى مع صفات الألوهية إذ أن صيغة المبالغة دالة على قوة الفعل والمبالغة فيه، لكنّها في المقابل لا تدلّ على ثبات هذه الصفة في الموصوف، وهذا يجعلنا نصل إلى أن الصيغ الصرفية قد تخرج عند الاستعمال إلى دلالات متنوعة تختلف عما وضعه لها علماء اللغة.

¹ - الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ج:7. ص:392.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

فلفظ (العليم) في الآية السابقة مثلا من الناحية الصرفية صيغة مبالغة من الفعل (علم) على وزن (فَعِيل) للدلالة على قوة الفعل والمبالغة فيه وتأكيد، لكن استخدامها كنعت لله قد أضاف لها دلالة من الدلالات التي تختص بها الصفة المشبهة، وهي الدلالة على ثبات الصفة في الموصوف، رغم أنّ الفعل (علم) فعل متعدٍ، والصفة المشبهة لا تكون إلا من اللازم والله أعلم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ صيغ المبالغة استعملت كثيرا في فواصل الآيات، وكانت مرتبطة بتعظيم الله والثناء عليه بذكر صفاته، وكان ذلك بثنائيات هي:

(السميع العليم)، والتي وردت ست (6) مرات (البقرة/127، 137)، (آل عمران/35، 76)، (الأنعام/13، 115).

(التوّاب الرحيم)، والتي تواترت أربع (4) مرات (البقرة/37، 54، 128، 160).

(الرحمن الرحيم)، والتي وردت مرة واحدة (البقرة/163).

(الحيّ القيّوم)، وقد تواترت في موضعين (2) (البقرة/255)، (آل عمران/02).

(الحكيم الخبير)، وجاءت في موضعين (2) (الأنعام/18، 73).

(اللطيف الخبير)، ووردت مرة واحدة (الأنعام/103).

ففي هذه المواضع جميعا نعت بصيغ المبالغة (العليم) و(الرحيم) و(الخبير) والتي جاءت على وزن (فَعِيل)، كما نعت بصيغة المبالغة (القيّوم) والتي على وزن (فَيَعُول) وهذه الألفاظ تعرب نعتا لما قبلها كما يجوز أن تعرب خيرا ثان، فكثير من الأخبار المتعددة يصلح أن يكون نعتا للخبير الأول، مثل: الحطيئة شاعرٌ مخضرمٌ، إذ يجوز في هذه الجملة أن يكون

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
لفظ (مخضرم) خبر ثان للمبتدأ (الخطيئة) كما يجوز أن يكون نعتا للفظ (شاعر)¹، ومن أمثلة
هذا في المدونة قوله تعالى:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام/ 13).

ففي هذه الآية الكريمة ورد اللفظ (العليم) وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعِيل) نعتا
للخبر (السَّمِيع)، ويجوز أن يكون خبرا ثان للمبتدأ (هو)، وقد تبع النعت المنعوت في
الإعراب (الرفع) والإفراد والتذكير والتعريف، إضافة إلى هذا فإن الله اختار للخبر (السَّمِيع)
ما يناسبه في المعنى، ويوافق السياق، إذ قال ابن عاشور في هذه الآية: «السَّمِيع: العالم
العظيم بالمسموعات أو المحسوسات والعليم الشديد العلم بكلّ معلوم».

فكان إتباع هذا المنعوت بهذا النعت زيادة في تعظيم الله وبياناً لصفاته وقدرته سبحانه
فهو يجمع بين صفة السميع والعليم.

وبهذه الآية يمكن أن نقول إنّ الله سبحانه وتعالى قد استعمل صيغ المبالغة المعرفة نعتا
للدلالة على صفاته سبحانه، وقد استعملت كلّ صفة بما يناسب دلالة المنعوت وما يقتضيه
سياق الآية الكريمة، والله أعلم.

1- انظر: عباس حسن. النحو الوافي . دار المعارف. مصر. ط: 3. دت. ج: 1. ص: 532.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

5/ ورود نعت المعرفة اسم تفضيل:

إضافة إلى المشتقات السابقة الذكر، فقد استخدم الله سبحانه وتعالى اسم التفضيل في بعض الآيات، والتي بلغ تعدادها ثلاث عشرة (13) آية، ومنها قوله تعالى:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة/238).

وفي هذه الآية أمرٌ من الله عزّ وجلّ لعباده بالمحافظة على الصلوات جميعاً، لكنه أتبع هذا الأمر بتخصيص صلاة من الصلوات بنعتها بالصلاة الوسطى، فالصلاة عماد الدين وواجب على المسلم الحفاظ عليها جميعاً، ولكنّ الله خصّ صلاة من هذه الصلوات ونعتها بالوسطى.

ومع أنّ العلماء اختلفوا في هذه الصلاة وأيّ الصلوات هي، إلا أنّ نعتها بـ (الوسطى) و«الوسطى (فُعَلَى) مؤنثة (أوسط)، وهو خيار الشيء وأعدله»¹، فيه بيان لفضلها ومكانتها بين الصلوات الأخرى، والله أعلم.

وإذا عدنا إلى دراسة هذا النعت من الناحية النحوية سنجد أنّ لفظ (وُسْطَى) هو لفظ مشتق ، فهو صيغة تفضيل مؤنثة على وزن (فُعَلَى)، والمذكر منها أوسط على وزن (أفْعَل) وهذا يدلّ على أنّ الصلاة المذكورة هنا قد خُصِّصت من الله عزّ وجلّ، وهذا التخصيص كان بتفضيلها على باقي الصلوات، ودلّ لفظ النعت (الوسطى) على هذا التفضيل.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد تبع لفظ النعت (الوسطى) لفظ (الصلاة) من ناحية التعريف، والتأنيث، والإفراد، والإعراب، إذ جاء النعت مجروراً بالكسرة المقترنة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر، كما أدى نعت لفظ (الصلاة) المعرفة بكلمة (الوسطى)

¹ - أبو حيان الأندلسي . البحر المحيط. ج:1. ص:249.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
المعرفة إلى توضيح وتمييز هذه الصلاة عن باقي الصلوات المفروضة على المؤمن، وفيه
بيان لفضلها وتنبيه إلى مكانتها.

ونشير في باب تبعية هذا النعت للمنعوت إلى ما ذهب إليه الفراء في هذه الآية، إذ قال:
« في قراءة عبد الله "وعلى الصلاة الوسطى"، فلذلك آثرت القراءة الخفض ولو نصب على
الحث عليها بفعل مضمر كان وجهها حسنا وهو كقولك في الكلام: عليك بقرابتك والأُمَّ
فخصها بالبرِّ»¹.

ورغم أنّ النصب على الاختصاص لا يبتعد بالآية عن المعنى الذي يدلّ عليه الجر
فإننا قد آثرنا في هذا البحث الجر اتباعا لقراءة حفص، وذلك لأنّ الفراء اختاروه، ولم
يختاروه إلا لتواتره عن النبي صلى الله عليه وسلّم، والله أعلم.

إضافة إلى الآية السابقة، والتي ورد اسم التفضيل فيها لفظا مؤنثا، فقد ورد اسم
التفضيل نعتا في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (النساء/145).

وفي هذه الآية يُبيّن الله سبحانه وتعالى منزل المنافقين يوم القيامة، فهم في الدرك
الأسفل من النار، «والدرك: اسم جمع دركة، ضد: الدرَج اسم جمع درَجَة، والدركة المنزلة
في الهبوط، فالشيء يقصد أسفله تكون منازل التدلي إليه دركات، والشيء الذي يقصد أعلاه
تكون منازل الرقي إليه درجات»².

¹ - الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ). معاني القرآن. عالم الكتب. بيروت - لبنان. ط: 3. 1983. ص:
156.

² - ابن عاشور. التحرير والتنوير. 1984. ج: 5. ص: 244.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذه الآية نعت اللفظ (الدرك) باللفظ (الأسفل)، وهو اسم تفضيل من الفعل الثلاثي (سفل)، وهذا الفعل يدل في أصل معناه على انحطاط المكانة والمنزلة، فلما اشتق منه اسم التفضيل على وزن (الأفعل) كانت هذه الدلالة أقوى، فاسم التفضيل كما قال السكاكي معنيان: «أحدها زيادة الفضل للموصوف على غيره، والثاني إثبات كل الفضل له»¹.

وقد تبع لفظ النعت لفظ المنعوت في التعريف، والتذكير، والإعراب (الجر)، وقد بين النعت (الأسفل) أن المنافقين هم أدنى وأوضع أهل النار منزلة وأكثرهم عذابا، وذلك أن تعريف النعت والمنعوت أدى إلى توضيح المعنى.

وذلك لما عُرف من أن النعت مع المعارف للتوضيح، وهذا النوع «يسمى الوصف الكاشف، مثل: (فتح الباري هو تأليف ابن حجر أحمد العسقلاني، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج هو تأليف ابن حجر أحمد الهيثمي، فـ(العسقلاني) وصف كاشف مميز لابن حجر أحمد مؤلف كتاب: تحفة المحتاج لشرح المنهاج في الفقه الشافعي»².

فالواضح أن لفظ (أحمد) رغم أنه كلمة معرفة، فهي اسم علم إلا أنها تحتاج إلى التوضيح والتمييز؛ لأن اسم ابن حجر أحمد يشتهر به عالمان، فكان لابد من كاشف وموضح ومميز للمقصود بهذا الاسم؛ ولذلك استعمل النعتان (العسقلاني، الهيثمي)، فوضحا وكشفا أن ابن حجر أحمد في المثال الأول هو (العسقلاني) صاحب كتاب فتح الباري، وابن حجر أحمد في المثال الثاني هو (الهيثمي) صاحب كتاب تحفة المحتاج.

¹ - السكاكي أبو يعقوب يوسف (ت 626هـ). مفتاح العلوم. مطبعة دار الرسالة. بغداد - العراق. ط: 1. 1982. ص: 171.

² - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها). ص: 462.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وبذلك كان النّعت (الأسفل) بما احتواه من معاني التفضيل إضافة إلى وروده نعتا لمعرفة قد كشف مكان المنافقين في النّار ووضحه بشكل دقيق، وقد أزال احتمال الاشتراك في لفظ المعرفة (الدّرك).

إذ جاء النّعت (الأسفل) فبيّن و كشف أنّ المقصود بالدّرك في الآية الأسفل منها، وبذلك انتفى أن يعتقد إنسان نعتا آخر للدّرك، وفي هذا تحذير من الله وإنذار للمنافقين؛ وذلك لأنّ قوله: (في الدّرك) قد بيّن المكان، وبقوله: (الأسفل) قد كشف سوء المكان وخسارة أهله؛ لما في اسم التفضيل من قوة التعبير على اتّصاف المنعوت بالنّعت وإثبات الفضل له، والله أعلم.

الشكل الثاني: نعت النكرة:

بلغت المواضع التي ورد فيها هذا النوع من النّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم ثمانية وثلاثين ومائتي (238) موضعا، ولعلّ الملاحظة الأولى التي نخرج بها انطلاقا من هذا الإحصاء، هي أنّ نعت النكرة بالمشتق جاء أكثر من نعت المعرفة، ولعلّ هذا راجع لما في النكرة من معنى العموم، فهي تحتاج إلى النّعت لكي يخصص معناها، وهذا ما لا تحتاجه المعرفة.

ومع هذا فإنّ للمعرفة مقامات وللنكرة مقامات أخرى، فالمتكلم إذا أراد أن يناسب كلامه المقام، فلا بد أن يستعمل كلّ لفظ في مقامه. ولعلّ خير مثال على مقامات المعرفة والنكرة « قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص/20)، فإنّه لما كان لا يتعلق بتعيين هذا الرجل غرض جيء به منكرا، ثمّ إنّه لا بد أن يكون أتى موسى في خفية خوفا على نفسه فكان التنكير أنسب لحاله، أما المدينة فعرفت؛ لأنّ المراد بها مدينة فرعون ولا بد من تعريفها

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
لنتعين بها هذه الحوادث التي وقعت لموسى فيها...، فمقام التعريف يكون حيث يطلب تعيين
المقصود في الكلام...، ومقام التكرير حيث لا يطلب تعيين المقصود في الكلام»¹.

وهذا الكلام يجعل اختيار التعبير بالنكرة دون المعرفة في مقامات معينة موجبا لتدقيق
النظر خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم. والذي نتج عن عملية الإحصاء والاستقراء التي
قمنا بها على آيات الربع الأول منه أن النكرة نعتت فيه وفق هذه الأشكال:

1/ ورود نعت النكرة اسم فاعل:

لقد أسفرت عملية الإحصاء التي قمنا بها على تواتر النعت باسم الفاعل النكرة إحدى
وأربعين (41) مرة.

ومن بين المواضع التي استعمل فيها هذا النوع من النعت آية من آيات الأحكام في
سورة النساء، وقد أدى النعت فيها دورا محوريا في بيان المقصود من الحكم الشرعي على
وجه لا يترك مجالا للشك ولا للتأويل، فكان للنعت دور أساسي في محور الدلالة في الآية
فقد قال تعالى في سورة النساء:

﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ (النساء/92).

والواضح أن هذه الآية تحتوي الكثير من التفصيل والبيان حول حكم القصاص، وكان
للنوعت فيها دور في تخصيص وتوضيح وضبط كفارة القتل؛ وذلك لما اتفق عليه العلماء من
أن نعت النكرة لا يكون إلا للتخصيص لما هو معروف من دلالة النكرة على العموم

¹ - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص : 69-70.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
والمقصود بالتخصيص: «تقليل الاشتراك في النكرات»¹؛ أي أن يصبح المعنى الذي اشتركت
فيه عدة نكرات لواحد فقط يحدده لفظ النعت.

فالتخصيص إذن يكون إذا كان المنعوت نكرة، والعلّة في ذلك أن «النكرة عامة يشترك
فيها الكثير، فالوصف هنا يأتي لتقليل الاشتراك الحاصل في النكرات، ويخصص الموصوف
بعد أن كان فيه معنى العموم، فأنت عندما تقول: (جَاعَنِي رَجُلٌ)، كانت كلمة (رَجُلٌ)
باعتبارها نكرة تحمل بحسب وضعها كل فرد من أفراد الرجال، فإذا جئت بالصفة، وقلت:
(جَاعَنِي رَجُلٌ عَالِمٌ)، فقد أزلت العموم وقللت الاشتراك ولم يكن الحديث عن أي شخص
تطلق عليه كلمة رجل... بل عن رجل موصوف بأنه عالم»².

وقد تبين من خلال هذا المثال معنى التخصيص للنكرات، إذ انتقل لفظ المنعوت (رَجُلٌ)
بعد وصفه بالنعت النكرة (عَالِمٌ) إلى معنى خاص، وهو (جنس الرجال العلماء فقط) بعدما
كان يدلّ على جنس الرجال جميعاً وهذا المعنى عام.

وإذا عدنا إلى الآية القرآنية السابقة، فسنجد الخطاب القرآني قد استخدم نعت النكرة
لتخصيص بعض النكرات؛ وذلك لأجل تقييد بعض الأحكام الشرعية، وتفصيل هذا أن كفرة
القتل الخطأ للمؤمن هي تحرير رقبة مؤمنة، فكان النعت (مُؤْمِنَةٌ)، وهو اسم فاعل نكرة من
الفعل (آمن) قيداً للحكم، فانقلبت الكفرة بعدما نعتت بكلمة (مُؤْمِنَةٌ) من الإطلاق والعموم؛ أي
أنها تشمل جميع الرقاب على اختلافها إلى التقييد، وأصبحت تخص نوعاً واحداً من الرقاب
وهي المؤمنة.

¹ - عبد اللطيف شريقي وزبير دراقي. الإحاطة في علوم البلاغة. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. دط. 2004. ص:68.

² - عبد القادر حسين. فن البلاغة. دار نهضة مصر للطبع والنشر. مصر. دط. دت. ص:200-201.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

كما خصت الدينة في هذه الآية بلفظ (مُسَلِّمَةً)، وهو اسم مفعول من الفعل (سَلَّمَ) و نعت لفظ (قوم) بلفظ (عدو)، وكلمة (شهرين) بلفظ (مُتَّابِعَيْنِ)، فلم يبق بعد استخدام هذه النعوت في أحكام الكفارة في هذه الآية لبس أو غموض أو مجال للتأويل.

وقد تبع النعت (عدو) المنعوت (قوم) في التكرير كما تبعه في الإعراب (الجر) وتبعه أيضا في التذكير، كما أن المنعوت (قوم) هو اسم جمع فهو مفرد وإن دلّ على جماعة¹ ولذلك جاء لفظ النعت (عدو) مفردا، والله أعلم.

ومما ورد من هذا النوع من النعت أيضا ما جاء في سورة المائدة، وهو قوله تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة/15).

وإذا تأملنا في هذه الآية سنجد الخطاب القرآني قد عطف لفظ (كتاب) على لفظ (نور) وكانت كلمة (نور) أسبق، وكأنه بهذا أراد أن يؤكد أن هذا الكتاب (القرآن) إنما الهدف الأكبر منه هو إنارة طريق الناس.

كما أنه قد قُتِمَ الجار والمجرور (من الله) على الفاعل (نور) رغم أنه كان يستطيع القول: (قد جاءكم نور من الله)، وكان هذا التقديم لتخصيص النور بالله سبحانه فالهداية لا تكون إلا من الله، ولا تتحقق إلا باتباع أوامره التي جاءت في القرآن الكريم.

وإضافة إلى هذا فقد نعتت كلمة (كِتَاب) النكرة بكلمة (مُبِين)، «والكتاب يريد به القرآن وقد وصفه بالمبين لكشفه ظلمات الشرك والشك، ولإبانته ما كان خفيا عن الناس من الحق أو أنه ظاهر الإعجاز»².

¹ - انظر: المبرد. المقتضب. ج: 2. ص: 291.

² - الزمخشري. الكشاف. ج: 2. ص: 218.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد ورد لفظ النعت (مُبين) في هذه الآية مشتقا، إذ جاء اسم فاعل من الفعل (أبان) وقد تبع النعت المنعوت في التنكير، والإفراد، والتذكير، والإعراب (الرفع)، وكان الغرض منه تعظيم القرآن وبيان فضله، والله أعلم.

ومن أمثلة نعت النكرة باسم الفاعل أيضا قوله تعالى:

﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة/66).

فبعد أن وصف الله أهل الكتاب بمجموعة من الصفات الذميمة قام «بإنصاف فريق منهم بعد أن جرت تلك المذام على أكثرهم، وذلك بوصفهم بأنهم أمة مقتصدة، والمراد بالمقتصد غير المفرطين في بغض المسلمين»¹، وفي هذا النعت (مقتصدة) تخصيص لهم يميزهم عن عامة أهل الكتاب.

وقد ورد النعت (مُقتَصِدَة) لفظا نكرة مشتقا جاء على صيغة اسم الفاعل، وهو من الفعل غير الثلاثي (اقتصد)، وقد تبع لفظ المنعوت (أمة) في التنكير والتأنيث والإعراب (الرفع)، أما العدد فلفظ المنعوت (أمة) هو اسم جمع فهو اسم مفرد² وإن كان في معناه دالا على الجمع ولذلك جاء لفظ النعت (مقتصدة) مفردا، والله أعلم.

¹ - ابن عاشور. التحرير و التنوير. ج:6. ص:254.

² - انظر: المبرد. المقتضب. ج:2. ص: 291.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

2/ ورود نعت النكرة اسم مفعول:

لقد رصدنا ورود اسم المفعول نعتا لنكرة في تسع وعشرين (29) آية، ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام/02).

فقد نعتت كلمة (أجل) النكرة بكلمة (مسمى)، وبذلك انتقلت من الدلالة على معنى العموم؛ أي أن الأجل غير محدد ومعين إلى الدلالة على معنى محدد؛ أي أن الأجل محدد وهذا يعني أن النعت نقل الكلمة من العموم إلى التخصيص، وقد تبع النعت المنعوت في التنكير، والإفراد، والتنكير، والإعراب (الرفع).

وقد كان لاستعمال اسم المفعول هنا دور في تخصيص دلالة كلمة (أجل) الذي كان ينطبق قبل نعته على أي زمن، فأصبح بالنعت (مسمى) دالا على أجل محدد ومعين سالفًا.

كما أن استعمال اسم المفعول الدال على من وقع عليه الفعل، وهو (الأجل)، وارتباط الفعل فيه بالله سبحانه وتعالى، زاد من تخصيص الدلالة إذ أصبح لفظ (أجل) في الآية والذي كان يدلّ بتكثيره على كلّ أجل دالا على أجلٍ صفته أنه محدد من الله، والله أعلم.

ومن المواضع التي استعمل فيها اسم المفعول نعتا لنكرة أيضا قوله تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (النساء/ 78).

والآية الكريمة جملة شرطية دلت (أينما) فيها على العموم، فتحقق جملة جواب الشرط (يدرككم الموت) عام يشمل كل مكان يمكن للإنسان أن يتواجد فيه، ثم جاء قوله عزّ وجل:

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

(وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ) كتأكيد لهذا المعنى، وقد اختلف علماء التفسير في معنى

البروج، فقيل القصور المنيعة، وقيل القلاع أو البيوت التي تكون فوق الحصون، ومشيدة مطوّلة¹، وهذه المعاني على اختلافها تجتمع في معنى القوة والتحصين.

ثم أتبع الله لفظ (بروج) باسم المفعول (مشيدة) نعته له، وهو مشتق من الفعل (شيد) على وزن (فعل) للدلالة على المبالغة في الفعل، والبناء المشيد كل ما أحكم من البناء وتشيد البناء إحكامه ورفعته وتحصينه².

والواضح أنّ معاني الإحكام وقوة التشيد والتحصين التي في النعته (مشيدة) موجودة في المنعوت (بروج)؛ ولذلك كان الغرض من هذا النعته التأكيد على قوة هذه البروج، وفيه أيضا تأكيد على أنّ الموت سيدرك الإنسان، وإن كان في أشد الحصون قوة، وبذلك انتقل النعته من تخصيص النكرة إلى توكيد المعنى، والله أعلم.

3/ ورود نعته النكرة صفة مشبهة:

لقد رصدنا في الربع الأول من كتاب الله سبعة عشر ومائة (117) موضع نعته فيه النكرة بصفة مشبهة، وقد تنوع الغرض من استخدام هذه الصفات بتنوع السياقات القرآنية.

ومن أمثلة هذا نعته الله سبحانه للعذاب الذي يلحق بالكافرين، فقد وردت كلمة (عذاب) نكرة، تدلّ على العموم أي أنه عذاب غير معين، وهذا يجعله مجهول القوة والنوع، لكن الله سبحانه وتعالى أتبع لفظ (عذاب) بنعوت مختلفة الدلالة حسب السياقات المختلفة، لتحديد نوع العذاب الذي يتناسب مع كل سياق.

¹ انظر: النحاس أبو جعفر (ت 338هـ). معاني القرآن الكريم. تحقيق: محمد علي الصابوني. مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. ط: 1. 1989. ج: 2. ص: 134.

² انظر: أحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته. 266.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد أحصينا استعمال لفظ (عذاب) منعوتاً خمسا وعشرين (25) مرة تنوع فيها النعت بين هذه المشتقات: (عظيم، وأليم، ومهين، وشديد، ومقيم)، وكان أكثر المشتقات استعمالاً الصفتان المشبهتان: (عظيم، وأليم)، إذ استخدمت الأولى خمس (5) مرات (البقرة/ 7) (آل عمران/ 105، 176) (النساء/ 33) (المائدة/ 41)، والثانية أربع عشرة (14) مرة (البقرة/ 10، 104، 114، 174، 178) (آل عمران/ 21، 77، 91، 177، 188) (المائدة/ 36، 73، 94، 70).

ومثال استعمال الصفة المشبهة (عظيم) قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة/07).

ففي هذه الآية نعت اللفظ النكرة (عذاب) بالنعت النكرة المشتق (عظيم)، وهو صفة مشبهة على وزن (فَعِيلٌ)؛ وذلك للدلالة على أن عذاب هؤلاء الناس لا يخف ولا ينقص فهو عظيم دائم، وقد تبع لفظ النعت لفظ المنعوت في تنكيره وإفراده وتذكيره وإعرابه (الرفع).

إضافة إلى هذا فقد أدى استعمال النعت (عظيم) إلى زيادة المعنى وضوحاً، فلو أن الله سبحانه وتعالى قال: (ولهم عذاب) لتوهم متوهم أن هذا العذاب قليل، كما أن اختيار لفظ الصفة المشبهة أدى إلى التعبير عن ثبوت عظمة العذاب، فالعظمة لا تفارقه، والله أعلم.

ومن الآيات التي وُصِفَ فيها العذاب بالصفة المشبهة (أليم) قوله تعالى:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة/10).

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
فقد وَصَفَ اللهُ كلمة (عَذَابٌ) النكرة بكلمة (أَلِيمٌ) النكرة، فخصصت نوعاً من العذاب
وهو الأليم، والملاحظ في هذه الآية أنَّ النعت تبع المنعوت في التذكير، والإفراد، والتذكير
والإعراب (الرفع).

وإذا عدنا إلى معنى هذا النعت سنجد الخطاب القرآني قد استخدمه في هذا السياق
استخداماً مجازياً؛ لأنَّ «الأليم فعيلٌ بمعنى مفعول؛ لأنَّ الأكثر في هذه الصيغة أنَّ الرباعي
بمعنى مُفْعَلٌ وأصله عذاب مؤلِّمٌ بصيغة اسم المفعول؛ أي مؤلِّمٌ من يعذب به على طريقة
المجاز العقلي»¹، أي إسناد الفعل إلى غير فاعله، فالعذاب مؤلِّمٌ وليس مؤلِّماً، وقد أدى
استخدام المجاز هنا إلى إكساب المعنى قوة ووضوحاً وبياناً.

وبعد هذا التحليل يمكن أن نستنتج أنَّ الخطاب القرآني قد استعمل نعوتاً متعددة لمنعوت
واحد في سياقات مختلفة، والمنعوت هو لفظ (عذاب) الذي ورد نكرة، وإنما جعله نكرة كي
يدلَّ على تنوع العذاب وتعدد أصنافه وقوته وأحواله، هذه الأنواع التي بيَّنها باستعمال
النعوت المناسبة للموقف الكلامي، والسياق القرآني التي وردت فيه، والله أعلم.

وإضافة إلى وصف العذاب فقد رصدنا نعت النكرة بالصفة المشبهة أيضاً في قوله
تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (آل عمران/37).

فالآية تبين أنَّ تقبَّلَ اللهُ لنذر امرأة عمران (السيدة مريم) بأن هياً لها ظروف التنشئة
الحسنة، وفي وصف القبول بالحسن إظهار لعناية الله بها، إذ أنَّ نعت لفظ (قبول) النكرة بلفظ
(حسن)، والذي جاء على وزن (فعل)، وهو صفة مشبهة دلَّ على عناية الله المتواصلة
بالسيدة مريم، كما أنَّ النعت في هذه الآية يتبع المنعوت في التذكير، والإفراد، والتذكير
والإعراب (الجر).

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 1. ص: 282.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وكي يؤكد الله سبحانه وتعالى أن لهذه المولودة شأنًا في المستقبل وأنها محاطة بالرعاية منه قال: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، فشبَّهها بالنبات وأورده لفظاً نكرة، ولولا نعتُه بالنعته (حَسَنًا) لتبادر للذهن أن هذه المولودة قد تنشأ نشأة سوء، ولكنَّ هذا النعته (حَسَنًا) أبعد هذا المعنى وخصص النبات بصفة الحُسْنِ لتأكيد طهارة السيدة مريم.

فلولا استعمال الصفة المشبهة في هذا المقام، والتي تدلُّ على ثبات الصفة لتوهم متوهم أن حسن خلق السيدة مريم قد يتغيَّر مع الزمن، وقد زال هذا الاحتمال بعد ارتباط النعته (حسن) بالمنعوتين (قبولا)، ثمَّ (نباتا)، وهذا يدلُّ على ثبات هذا النعته في المنعوت، والله أعلم.

ومن أمثلة هذا النوع من النعته أيضا قول سبحانه وتعالى على لسان زكريا عليه السلام وهو يدعو بالذرية إذ قال:

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (آل عمران/38).

والمنعوت في هذه الآية هو كلمة (ذُرِّيَّةً) النكرة، والتي تحمل في حال تكثيرها دون نعت جميع أنواع الذرية من صالحة وغير صالحة مؤمنة أو كافرة.

لكنَّ الله تبارك وتعالى عندما قام بنعتها بكلمة (طَيِّبَةً) على لسان زكريا عليه السلام نقلها من معنى العموم إلى معنى الخصوص، فأصبح معناها يختص بالذرية الصالحة النقية وهكذا كان الغرض من النعته هنا تخصيص النكرة والانتقال بها من العموم إلى التخصيص.

وإضافة إلى هذا فقد تبع النعته (طَيِّبَةً) المنعوت (ذريةً) في التثنية والإعراب (النصب) أما العدد فقد جاء لفظ المنعوت دالا على الجمع، وهو كلمة (ذريةً) وهو جمع ليس له مفرد من لفظه، وهو ما اصطلح عليه علماء اللغة مصطلح (اسم الجمع)، وقد قال المبرد في قضية

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
إفراده وجمعه إنَّه «اسم مفرد وإن كان المسمى به جمعا، وكذلك لو سَميت رجلا بمسلمين
لكان مجموعا، وإن وقع على واحد»¹.

وهذا الكلام يفسر كون النَّعت (طبيبةً) مفردا رغم أنَّ المنعوت (ذريةً) يدلُّ على الجمع
لكونه كما قال المبرد مفردا وإن كان المُسمى به جمعا، أما من ناحية التذكير والتأنيث، فإنَّ
النَّعت في هذه الآية تتبع المنعوت في التأنيث.

4/ ورود نعت النكرة صيغة مبالغة:

استعملت هذه الصيغة الصرفية في نعت النكرة في إحدى وخمسين (51) آية ارتبط
أكثرها بذكر صفات الله سبحانه وتعالى، وذلك في تسع وأربعين (49) موضعا، وقد فصلنا
الحديث عن استعمال هذه الصيغة في هذا السياق في نعت المعرفة.

أما ما بقي من مواضع فقد ارتبط فيها النَّعت بسياق الذم، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (النساء/ 117).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنِّ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنَّ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة/ 121).

ففي هذه الآية نعت لفظ (شيطانا) بصيغة المبالغة (مريدا) والتي على وزن (فَعِيل)، من
الفعل (مَرَدَ)، واسم الفاعل منه مَارِد، والمَارِدُ العاتي الطاغي²، فالمريد إذن المبالغ في العتو
والظلم وفي هذا النَّعت ذم للشيطان، وبيان لشدة معاداته لبني آدم، وقد تتبع النَّعت المنعوت في
الإعراب (النصب)، والتكثير، والتذكير، والإفراد، والله أعلم.

¹ - المبرد . المقتضب . ج: 2. ص: 291.

² - انظر : أحمد مختار عمر . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته. ص: 419.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

أما في الآية الثانية فقد نعت لفظ (قوما) بصيغة المبالغة (جبارين) وهي جمع مذكر سالم على وزن (فَعَالِينَ) للدلالة على المبالغة، ولقد استخدم بنو إسرائيل صيغة المبالغة للتعبير عن وصف هؤلاء القوم لتأكيد ذمهم، وتأكيد مبالغتهم في الأفعال الذميمة، وذلك من أجل جعلها حجة تمنعهم من تنفيذ أوامر الله.

فكان التعبير بصيغة المبالغة (جبارين) والتي تدلّ على المتعالي عن قول الحق والإيمان به¹ أقوى في الدلالة على المبالغة في الفعل من التعبير باسم الفاعل (مُتَجَبَّرٍ)، وذلك ما ناسب سياق الذم في هذه الآية، والله أعلم .

وبهذه الآية نكون قد تعرضنا بالدراسة للنعت المفرد المشتق في الربع الأول من القرآن الكريم سواء تعلق الأمر بالمعرفة منه أم النكرة، وقد لاحظنا أنّ نسبة نعت المعرفة أقلّ من نسبة نعت النكرة، ولعلّ هذا راجع إلى كون الأخيرة تدلّ في معناها على العموم، فهي تحتاج إلى كلمة تخصص معناها، وخاصة إذا تعلق الأمر بالأحكام الشرعية، وهذا ما لا تحتاجه المعرفة.

كما أننا وجدنا أنّ المشتقات استخدمت كنعوت في الربع الأول من الذكر الحكيم بما يناسب السياق ويقتضيه معنى الآية وذلك بنسب متفاوتة، وقد أضاف الاستعمال القرآني لبعض الصيغ دلالات لم يلحقها بها علماء اللغة عندما تعرضوا لها بالدراسة، وهذا ما وقفنا عليه مثلا مع صيغة المبالغة والتي أصبحت تدلّ على ثبات اتصاف المنعوت بها، وهذا من خصائص الصفة المشبهة، وقد كان هذا عندما ارتبطت بصفات الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

¹ انظر: الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد (ت 465هـ). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم. سوريا. دط. دت.ص: 184.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

الصورة الثانية: النعت الجامد المؤول بمشتق:

إنَّ الأصل في النعت كما أوردنا سابقاً أن يكون مشتقاً، فإن لم يكن كذلك فقد أجاز العلماء أن يُنعت بغير المشتق شرط أن يؤول بلفظ مشتق، ولا يكون كل جامد نعناً إلا أن يكون واحداً من هذه الأسماء:

- 1- «المصدر، نحو: هو رجلٌ ثقةٌ، أي موثوقٌ به وأنتَ رجلٌ عدلٌ أي عادلٌ.
- 2- اسم الإشارة، نحو: أكرمٌ عليّاً هذا، أي المشارُ إليه.
- 3- اسم الموصول المقترن بـ (ال)، نحو: جاءَ الرجلُ الذي اجتهدَ، أي المجتهدُ.
- 4- ما دلَّ على عدد المنعوت، نحو: جاءَ رجالٌ أربعةٌ، أي معدودون بهذا العدد.
- 5- ما دلَّ على تشبيهه، نحو: رأيتُ رجلاً أسداً، أي شجاعاً»¹.
- 6- «لفظاً (نو، وذات)، مثل: هذا رجلٌ نوٌ مالٍ وامرأةٌ ذاتٌ مالٍ ... بمعنى صاحبُ مالٍ أو متمولٌ.
- 7- النسب نحو: رجلٌ تميميٌّ ... بمعنى منسوبٌ.
- 8- الألفاظ (أي، كل، جد، حق)، نحو: مررتُ برجلٍ أيٍّ رجلٍ ... فكأنك قلت كاملاً في الرجولة... أو أنتَ الرجلُ كلُّ الرجلِ، فمعناه: الكامل في الرجالِ، وكذلك في قولهم: هو العالمُ جدُّ العالمِ وحقُّ العالمِ، فمعناها البالغُ الكاملُ في العلمِ»².

¹ - مصطفى غلابيني. جامع الدروس العربية. ج:3. ص:222-223.

² - انظر: ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري . ج:1. ص:235.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

ولقد أحصينا في هذا الرَّبْع من القرآن الكريم سبعا وسبعين (77) نعتا جامدا، وهو عدد قليل جدا إذا قُورن بالنَّعت المشتق؛ ذلك أنَّ الأصل في النَّعت الاشتقاق، ولم يأت هذا النوع من النَّعت إلا وفق أشكال نحوية هي:

الشكل الأوَّل: اسم الموصول:

وهو أكثر أشكال النَّعت الجامد استعمالا، وقد استعمل في سياقات متنوعة ومختلفة ورصدناه في اثنين وخمسين (52) آية، ومن أمثله قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿2﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة/2-3).

وفي هذه الآية وصف الله سبحانه وتعالى المتقين باسم الموصول (الذين) وأتبعه بصلته (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)، ثمَّ عطف على هذه الصلة جملا تحمل صفاتهم (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) وفي هذا مدح وثناء من الله على المتقين وتبيين لصفاتهم.

ومن المعروف كما أورد ابن يعيش أنَّ من خصائص اسم الموصول أنه «لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما»¹، فاسم الموصول مع صلته يؤول بمشتق؛ ولهذا يجوز أن يُنعت به. وإذا عدنا إلى الآية القرآنية من سورة البقرة سنجد التقدير فيها (للمتقين المؤمنين بالغيب والمقيمين الصلاة والمنفقين).

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد اختار الله النَّعت باسم الموصول وصلته بدل المفرد كما أنه اختار في صلة الموصول الفعل المضارع، ولم يستعمل الماضي؛ وذلك لمناسبتهما

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج:2. ص: 371.

الفصل الأول:.....النَّعْتِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
المقام، ففي التعبير باسم الموصول بما يحمله هذا الأخير من معنى الإبهام الذي لا يزول إلا
بذكر صلته «توجيه لذهن السامع إلى ما سيخبر به حتى يأخذ منه مكانه عند إلقائه»¹.

فالسامع لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْكِتَابُ لَأَرْبَبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿2﴾ الَّذِينَ ﴿﴾ سيتشوق
لمعرفة الكلام الذي يفسر الإبهام الذي أحدثه استخدام اسم الموصول (الذين)، فيبقى منتبها
إلى الكلام الذي يأتي بعده حتى يزول هذا الإبهام، وذلك لا يتأتى إلا باستخدام اسم الموصول
في هذه الآية.

كما أنّ استعمال الفعل المضارع في صلة الموصول أدى إلى إكساب المعنى دلالة
التجدد والاستمرارية² التي يحملها هذا الفعل فكان النَّعْتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مرتبنا بالمنعوت في
الحاضر والمستقبل وهو متجدد فيهما، فصفات المتقين التي لا تفارقهم هي إقامة الصلاة
والإيمان بالغيب والإنفاق في سبيل الله.

وإذا عدنا إلى الناحية الشكلية التي ورد عليها النَّعْتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ سنجد أنه طابق
المنعوت في التعريف، والتذكير، والجمع، والإعراب (الجر).

وإذا كان النَّعْتِ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ للمدح، فإنه جاء في سياقات أخرى
لأغراض أخرى، ومن أمثلة هذا قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿﴾ (آل عمران/131).

وفي هذه الآية نعتت (النار) باسم الموصول (التي)، وقد جاء فعل صلة الموصول
(أُعِدَّتْ) ماضيا مبنيًا للمجهول، وفي هذا الوصف للنار تعظيم لشأنها وزجر وتخويف للكافرين

¹ - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص: 72.

² - انظر: فاضل صالح السمرائي. الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ص: 162.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
وقد كان «أبو حنيفة - رحمه الله - يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين
بالنَّار المَعْدَّة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه»¹.

وإضافة إلى مطابقة اسم الموصول (التي) للفظ (النَّار) في التأنيث والإفراد والتعريف
و الإعراب (النصب)، فإنه قد لعب دور الرابط بين قوله: (اتقوا النَّار) وقوله: (أعدت
للكافرين)، فاسم الموصول كما قال تمام حسان من الروابط التي استخدمت في آيات الذكر
الحكيم².

والملاحظ أنَّ صلة الموصول في المثالين السابقين كانت جملة فعلية، وهذا لا يعني أنها
لم ترد جملة اسمية، والدليل على هذا قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة/88).

فقد نعت لفظ الجلالة (الله) باسم الموصول (الذي)، وجاءت صلته جملة اسمية (أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ)، وقد تبع النَّعت المنعوت في التعريف، والإفراد، والتذكير، والإعراب(النصب).

وبالرجوع إلى تركيب الآية الكريمة سجد الله سبحانه وتعالى اختار الجملة الاسمية
على الجملة الفعلية في صلة الموصول؛ لأنه أراد الدلالة على الثبات والاستمرارية والدوام
في الصفة لا على التجدد، وهذا ما تضمنه الجملة الاسمية³، وهذا ما يناسب معنى الآية؛ أي
الدلالة على دوام الإيمان واستمراريته.

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج: 1. ص: 626.

² - انظر: تمام حسان. البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني). عالم الكتب. مصر. ط: 1.
1993. ص: 123.

³ - انظر: فاضل صالح السمرائي . الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ص: 162.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
كما أنّ الخطاب القرآني قدّم الجار والمجرور(به) على الخبر في قوله: (أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ) لإبراز أهميته لأنّ الضمير (الهاء) فيه يعود على الله سبحانه وتعالى، فلا إيمان
دون تقوى الله ولا تقوى دون الإيمان به، وبذلك جاء التركيب في هذه الآية مناسباً للغرض
والدلالة التي فرضها السياق، والله أعلم.

وفي الأخير نستنتج أنّ اسم الموصول كان نعته في الربع الأول من القرآن الكريم، وقد
شكّل منبهاً للقارئ لما يسببه الإبهام الذي يتضمنه من تشويق لمعرفة ما سيأتي من الكلام
وقد تنوعت صلة الموصول بين الفعلية والاسمية، وذلك بما يناسب سياق الآية القرآنية، والله
أعلم.

الشكل الثاني: الألفاظ الدالة على العدد:

من الألفاظ الجامدة التي يجوز النعت بها الألفاظ الدالة على العدد، وعلة هذا إمكانية
تأويلها بمشتق، وقد ورد هذا النوع من النعت في المدونة إحدى عشرة (11) مرة
(البقرة/61، 133، 163، 213)، (النساء/1، 102، 171)،(المائدة/48، 73)، (الأنعام/19،
98)، ومثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (النساء/171).

ففي هذه الآية نعت لفظ الجلالة (إله) بالنعت الدال على العدد (واحد)، والواضح أنّ
المنعوت (إله) جاء مفرداً، فهو دال على العدد واحد إلا أنّ كونه نكرة جعله دالاً على العموم
أي أنّ التعبير به دون نعت يترك مجالاً لتوهم وجود إله مع الله، وذلك لو أنّ الله قال: (إِنَّمَا
اللَّهُ إِلَهٌ)، فهذا الكلام يحتمل وجود عدّة آلهة؛ ولذلك استعمل الله النعت الدال على العدد
(واحد)؛ ليجمع بين معنى الألوهية الذي دلّ عليه المنعوت (إله)، ويؤكد معنى الوحدانية.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وإضافة إلى هذا فقد تبع النعت المنعوت في التنكير، والتذكير، والإفراد، والإعراب (الرفع)، أما الغرض من استخدام النعت في هذه الآية، فهو الدلالة على الوحدانية إضافة إلى الألوهية؛ لأنه لو قال: «(إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ)، ولم يؤكده بـ (وَاحِدٌ) أشكل عليك الأمر وظننت أنه يريد إثبات الألوهية وليست الوحدانية»¹، فكان في استعمال النعت توكيد وإزالة للإبهام، والله أعلم.

وقد وجدنا بعد عملية الإحصاء التي قمنا بها أن نعت (واحد) لازم لفظ الجلالة (إله) في أكثر من آية في المدونة، فقد ورد في الآيتين (133، 163) من سورة البقرة والآية: (73) من المائدة، والآية (19) من سورة الأنعام.

وظاهرة ملازمة نعت معين لمنعوت واحد لا تكون نتيجة الصدفة، خاصة إذا تعلّق الأمر بالقرآن الكريم، بل هي مقصودة لإفادة معان خاصة في سياقات محددة، فإنما «لازم النعت المنعوت ليخصه ويبيّن نوعه، إذ إن عزل النعت عن المنعوت يقدر في معنى السياق؛ لأنه قد يعرض دلالة المنعوت إلى الدلالة غير المقصودة»².

فالمنعوت (إله) في الآية السابقة يحمل معنى الألوهية لكنّه نكرة، فلذلك قد يتوهم السامع إذا عزل عن نعتة (واحد)، فقيل: (إنما الله إله) أنّ الله يتصف بالألوهية التي يشاركه فيها شركاء، لكنّ نعتة بـ (واحد) أكّد هذه الدلالة، وأكّد اتصاف الله بالألوهية والوحدانية معا وإن تعددت السياقات واختلفت .

¹ - عبد القادر حسين. فن البلاغة. ص: 202.

² - عمر عبد الهادي عتيق. ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم بالتركيب والرسم والإيقاع. عالم الكتب الحديث. الأردن.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وبذلك يكون النّعت في هذه الآية قد ورد للدلالة على التوكيد؛ ذلك لأنّ لفظ المنعوت (إله) يتضمن معنى الوجدانية التي جاء بها النّعت (واحد)، وهذا ما أشار إليه علماء البلاغة إذ يرون أنه إذا كان «الوصف متضمنا لمعنى الموصوف، فكأنّ فيه تكرارا له، والتكرار يعطي مزية التقرير والتأكيد»¹، ومن أمثلة استعمال النّعت لغرض التوكيد أيضا، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة/13)، فكلمة (نَفْخَةً) تحمل معنى العدد المفرد (الإفراد) ورغم هذا نعتت بكلمة (وَاحِدَةً) الدالة على الإفراد توكيدا لهذا المعنى (الإفراد).

ومن أمثلة التوكيد باستعمال النّعت أيضا قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِذْنًا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النحل/51)، والملاحظ أنّ ما أوردناه للنّعت الذي يفيد التوكيد، هو وروده لفظا من ألفاظ الأعداد.

وقد علّل الزمخشري هذا بالقول: «الاسم الحامل لمعنى الإفراد أو التثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أردت الدلالة على أنّ المعنى به منهما، والذي يساق له الحديث هو العدد شُفِعَ بما يُؤكِّده، فدلّ به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: (إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ)، ولم تُؤكِّده بـ (وَاحِدٍ) لم يحسن، وخيّل أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية»².

وهذه الآية من سورة النحل مثال واضح يبيّن غرض التأكيد بالنّعت، فكلمة (إله) تحمل معنيين: الأوّل هو الوجدانية (العدد)، والثاني هو الألوهية، فلما نعتت بلفظ (وَاحِدٍ) الدال على العدد، كان في ذلك تكرار لأحد معاني الكلمة، وفي هذا تأكيد عليه، وبهذا أكّدت وجدانية الله عزّ وجلّ إلى جانب ألوهيته، هذه الصفة (الوجدانية) التي قد يسقطها السامع لو توقفت الآية

¹ - عبد القادر حسين. فن البلاغة. ص: 201.

² - عبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ص: 83.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
عند قوله: (إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ)، وبهذا لا تتم فائدة الكلام التي هي إثبات انفراد الله بالوحدانية
والألوهية معا، والله أعلم .

وإضافة إلى هذا فقد ورد هذا الشكل من النعت؛ أي النعت بألفاظ الأعداد في مواطن
أخرى من المدونة، منها قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ (البقرة/61)، وقوله أيضا: ﴿ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (النساء/01)، وقوله أيضا: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
(المائدة/48).

فنعت الطعام بـ (واحدٍ)، والنفس بـ (واحدةٍ) والأمة بـ (واحدةٍ)، تخصيصا لها
ولتأكيد عددها، وقد تبع لفظ النعت لفظ المنعوت في الآيات السابقة في التكرير كما تبعه في
الإفراد والتأنيث (واحدةٍ)، والتذكير (واحد) والإعراب، والله أعلم.

وفي الأخير يمكن أن نقول إنَّ النعت بالألفاظ الدالة على العدد في الرَّبْع الأوَّل من
الذكر الحكيم جاء مخصصا للفظ المنعوت ومؤكدا عدده؛ وذلك لتكرار معنى العدد في النعت
والمنعوت، والله أعلم.

الشكل الثالث: المصدر:

رغم أنَّ الأصل في النعت أن يكون مشتقا، يمكن أن يكون المصدر نعنا بشرط أن
يؤول بمشتق، وقد تواتر هذا أربع (4) مرات في المدونة، ومن أمثلة هذا قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (آل عمران/64).

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبع الأوَّل من القرآن الكريم

فقد نُعت لفظ (كلمة) النكرة بالنَّعت (سواء) المصدر النكرة، وجاء لفظ النَّعت مطابقاً للفظ المنعوت في التكرير، والإفراد، والتأنيث، والإعراب (الجر).

وإذا عدنا إلى كلمة (سواء)، فنسجد أنها مصدر يدلّ على معنى الاستواء، وهذا ما أورده الألويسي، إذ قال: «فسواء مصدر بمعنى مستوية؛ أي لا يختلف في التوراة والإنجيل والقرآن، أو لا اختلاف فيها بكلّ الشرائع»¹.

والواضح انطلاقاً من هذا الكلام أنّ المصدر (سواء) يؤوّل بمشتق هو اسم الفاعل (مستوية) من الفعل (استوى)؛ ولذلك جاز النَّعت به، والتقدير: (إلى كلمة مستوية)، وقد أدى استعمال المصدر هنا كُنعت إلى الدلالة على الاستمرارية والدوام في التصاق النَّعت بالمنعوت وإن كان هناك اختلاف في الزمن والشرائع، والله أعلم.

وإنما دلّ النَّعت في هذه الآية على معنى التصاق صفة الاستواء بالمنعوت (كلمة)؛ لأنّ «وصف الذات بالمصدر نحو قولهم (مررت برجل صوم) و(مررت برجل عدل) ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف/18)، والقصد منه المبالغة على معنى أنّ الذات تحولت إلى حدث مجرد»²؛ أي أنّ النَّعت مرتبط بالمنعوت في كلّ زمان ومكان فلو أنّ الله نعت لفظ (كلمة) بلفظ مشتق (مستوية)، لوجد احتمال هو ارتباط النَّعت بالمنعوت في زمن واحد فقط لينقطع عنه في زمن آخر، كما أنّ النَّعت بالمصدر أدى إلى المبالغة في الوصف، والله أعلم.

¹ - الألويسي. روح المعاني. ج : 3. ص: 193.

² - فاضل صالح السمرائي. الجملة العربية والمعنى. دار ابن حزم. بيروت- لبنان. ط: 1. 2000. ص: 209.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن المواضع التي استعمل فيها المصدر نعتنا أيضا قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام/125).

والشاهد في هذه الآية هو نعت لفظ (ضيِّقا) النكرة بالمصدر النكرة (حرجا)، وقد تبعه في الإعراب (النصب)، والتذكير، والإفراد.

وتجدر الإشارة هنا أن القراء اختلفوا في قراءة (حرجا)، «فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (حرجًا) مفتوحة الراء».

وقرأ نافع وعاصم (في رواية أبي بكر) (حرجًا) مكسورة الراء، وروى حفص عن عاصم: (حرجًا) مثل أبي عمرو¹.

فقراءة الفتح تجعل النعت (حرجًا) مصدرًا، وقراءة الكسر تجعله (حرجًا) صفة مشبهة ولأن قراءة حفص عن عاصم اختارت الفتح اخترنا الاستشهاد بهذه الآية في هذا الباب. والمصدر هنا بمعنى أضيق الضيق²، فالمعنى الذي في المنعوت (ضيِّقا)³ هو المعنى الذي في النعت، وبذلك كان في النعت زيادة في المبالغة على معني الضيق، وقد أدى تكرار هذا المعنى في النعت والمنعوت إلى تأكيده، والله أعلم.

¹ ابن مجاهد أبو بكر أحمد (ت 324هـ). كتاب السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط:3. دت. ص: 268.

² انظر: ابن منظور. لسان العرب. مج:2. ص: 233.

³ واختلفوا في (ضيِّقا) فقرأ ابن كثير بإسكان الياء مخففة، وقرأ الباقون بكسرها مشددة، واختلفوا في (يصعد) فقرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وروى أبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين، وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف. انظر: ابن مجاهد. المصدر السابق. ص: 266-267 وابن الجزري أبو محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ). النشر في القراءات العشر. مراجعة: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. دت. ج:2. ص: 262.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

إضافة إلى هذا فقد شبه الاستعمال القرآني هذا الضيق المعنوي الذي يشعر به الإنسان الضال بقوله: (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)، فقد شبه صورة الإنسان الضال الذي يشعر بالضيق بسبب ضلالته بصورة الإنسان الذي يصعد في السماء، وقد أثبت العلم الحديث أنّ الإنسان كلما صعد في السماء وارتقى طبقات الجو كلما ضاق تنفسه بسبب نقص الأكسجين، والله أعلم.

وإضافة إلى هذين المصدرين فقد استعمل المصدر (الحق) نعتاً في موضعين هما قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران/ 62).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ (الأنعام/ 62).

ففي الآية الأولى نعت لفظ (القصص) المعرفة بلفظ (الحق) المعرفة المصدر، وقد تبعه في الإعراب (الجر)، والتذكير، والتعريف، والإفراد، والغرض من استعمال النعت في هذا السياق، وهو سياق أخبار عيسى عليه السلام وكونه مخلوقاً من غير أب¹ هو تأكيد اتصاف المنعوت (قصص) بالنعت (الحق)، وملازمته له، والله أعلم.

أما في الآية الثانية فجاء المصدر (الحق) اسماً من أسماء الله الحسنى، «والله عزّ وجلّ حقّ وكلّ معبود دونه باطل والحقّ نقيض الباطل...والله عزّ وجلّ الحقّ أي ذو الحقّ في أمره ونهيه ووعدته ووعيدته وجميع ما أنزله على لسان رسله وأنبيائه»².

فكان النعت بالمصدر في هذه الآية موجبا لاتصاف الله به في كلّ زمان ومكان وأنه لا يشاركه في مشارك؛ وذلك لما يدلّ عليه المصدر من المبالغة والتأكيد، والله أعلم.

¹ - انظر: أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 2. ص: 505.

² - الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 340هـ). اشتقاق أسماء الله. تحقيق: عبد الحسين المبارك. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان. ط: 3. 1986. ص: 178.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من القرآن الكريم

الشكل الرَّابِع: اللفظ (نو):

وهذا اللفظ يمكن أن يكون نعتاً لأنّه يؤوّل باللفظ المشتق (صاحب) ومثال وروده في الرَّبِّع الأوَّل من كتاب الله قوله تعالى:

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ (المائدة/106).

وقد نعت اللفظ (اثنان) بـ (ذو)، والتأويل (اثنان صاحباً عدل)، وبهذا النعت تخصص جنس الشاهدين بعدما كان عامّاً يصلح له كلّ اثنين.

ومما ورد من هذا النوع من النّعت أيضاً قوله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ (الأنعام/133).

وفي هذه الآية جاء اللفظ (نو) نعتاً للفظ (الغنيّ)، والتأويل (الغني صاحب الرحمة أو الرحيم)، وقد تبع النّعت المنعوت في التعريف، فالمنعوت (الغنيّ) معرّف بالألف واللام (ال) بينما النّعت معرّف بالإضافة، كما تبعه في التذكير والإفراد والإعراب (الرفع)، وفي استعمال النّعت في هذه الآية تعظيم الله ومدح وثناء عليه، وبيان لسعة رحمته وعفوه عن عباده؛ وذلك لأنّ الآية جمعت بين صفة الغنى والرحمة، والله أعلم.

الشكل الخامس: اللفظ (غير):

إضافة إلى الألفاظ السابقة الذكر فقد استخدم الله سبحانه وتعالى (غير) نعتاً في ثمانية (8) مواضع، (الفاحة/7) (البقرة/59، 230) (النساء/56، 95، 140) (الأنعام/46، 68).

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد اخترنا الآية السابعة من سورة الفاتحة للدراسة لما فيها من خلاف، وقد قال فيها سبحانه وتعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة/7).

فلفظ (غير) في الآية الكريمة يجوز أن يُعرب نعتاً لاسم الموصول (الذي) أو بدلاً منه أو بدلاً من الضمير في عليهم¹.

ومن المعروف كما قال ابن هشام: «لا تتعرّف "غير" بالإضافة لشدة إبهامها»²، وهذا يعني أنّ (غير) في الآية الكريمة نكرة، وأنّ لفظ المنعوت (الذين) معرفة، فلا يجوز على هذا أن تكون نعتاً.

لكن ومن جهة أخرى فإنّ (غير) إذا وقعت بين ضدين كما في الآية (غير المغضوب والضالين) ضعّف إبهامها، وأنّ اسم الموصول (الذين) رغم أنّه معرفة، ففيه من الإبهام ما يجعله قريباً من النكرة³، وهذه الأسباب جميعاً جعلت العلماء يجيزون إعراب (غير) نعتاً لاسم الموصول المعرفة في هذه الآية، وقد تبعته في الإعراب (الجر).

أما إعرابه بدلاً فلأنّ العلماء أجازوا أن تبدل النكرة من المعرفة، وهذا ما سنبينه في الفصل الخاص بالبدل، بإذن الله.

¹ - انظر : الفراء. معاني القرآن. ج:1. ص:7.

² - ابن هشام عبد الله (ت 761هـ). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تح : محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. دط. دت. ج:1. ص: 158.

³ - انظر : المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وإضافة إلى هذه القراءة أي جر (غير)، فقد قرئت بفتح الرّاء (غير)، وفي هذه الحالة تعرب حالا أو مفعولا به لفعل محذوف؛ لأنها نعت قطع عن منعوته¹، والتقدير: (الذين أنعمت عليهم أعني غير المغضوب عليهم)، والله أعلم.

هذا بالنسبة لهذه الآية أما الآيات الأخرى فقد نعت لفظ (غير) النكرة، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء/56).

وقد وصف الله في هذه الآية جانبا من العذاب الذي يلقاه الكافرون، وهو عذاب دائم أبدي إذ يُبدل الله جلودهم كلما نضجت من العذاب، وقد قام بنعت الجلود الجديدة، فقال: (غيرها)، وقد أدى التعبير بهذا النعت إلى التعبير عن دوام العذاب واستمراره، وجاء هذا النعت تابعا للمنعوت في إعرابه (النصب)، كما أنّ طبيعة هذه الجملة؛ أي كونها جملة شرطية جعلت تغيير الجلود مستمر؛ لأنّ الشرط (نضج الجلود) دائم التحقق؛ بسبب دوام العذاب الذي وعد الله به الكافرين، فهم فيه خالدون، والله أعلم .

النَّمط الثاني: النّعت السببي:

إذا كان النّعت الحقيقي قد استعمل في الرَّبْع الأوَّل على هذا النطاق الواسع، فإنّ النّعت السببي كان قليل الاستعمال، فلم نحص منه إلا آيتين فقط، فأما الأولى فقوله تعالى:

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة/69).

¹ - انظر: ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. ص: 111-112.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد وردت هذه الآية في سياق قصة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، ووصفه لهم البقرة التي أمرهم الله بذبحها.

فالنعته السببي في هذه الآية هو كلمة (فَاعِعٌ) وهو اسم فاعل رفع فاعلا بعده، وهو (لَوْنُهَا)، وقد اختلف العلماء في إعراب قوله تعالى (فَاعِعٌ لَوْنُهَا) من هذه الآية، فورد فيه أقوال أولها «أنّ (لَوْنُهَا) فاعل مرفوع — (فَاعِعٌ)، و(فَاعِعٌ) صفة للبقرة، والثاني أنه مبتدأ وخبره (فَاعِعٌ)، والثالث أنه مبتدأ و(تَسْرُّ النَّاطِرِينَ) خبر»¹.

وقد استندنا في إعرابنا على ما ذهب إليه صاحب روح المعاني من أنّ لونها فاعل لاسم الفاعل (فَاعِعٌ)²، والملاحظ أنّ هذه الآية تحتوي على نعوت كثيرة للبقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها، وفي ذلك ردّ على أسئلتهم حول مواصفات البقرة، فقام الله سبحانه وتعالى بنعتها حتى يخصصها ويحدد لهم بقرة واحدة فقط من بين البقر، وفي هذا إلزام لهم بالحجة الدامغة لتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.

والملاحظ أنّ هذا النعته قد تبع ما قبله في الإعراب (الرفع) والتذكير، وتبع ما بعده (لونها) في التذكير والتكثير، كما أنه جاء مفردا.

كما أنّ النعته هنا إنّما جيء به لبيان حلية البقرة (لونها)، وهذا الغرض من الأغراض التي أوردها علماء اللغة للنعته، فقد يأتي النعته لبيان حلية المنعوت أو نسبته، أما الحلية كما أورد ابن عصفور، «فهي الصفة الثابتة كالزرق والكحل والطول والقصر والسواد والبياض

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 1. ص 417.

² - انظر: الألويسي. روح المعاني. ج: 1. ص: 289. و العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ن 616هـ). البيان في إعراب القرآن. تحقيق: سعيد كريم الفقي. دار اليقين. مصر. ط: 1. 2001. ص: 62.

الفصل الأول:.....النعّت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم
أما النسبة فقد يكون إلى بلد نحو: رَجُلٌ بَغْدَادِيٌّ، وإلى قبيلة نحو: قُرَشِيٌّ وإلى صنعة وأكثر
ما يكون على وزن: فَعَالٌ نحو: خِيَّاطٌ¹

أما الموضع الثاني الذي ورد فيه النّعّت السببي في المدونة، فهو قوله تعالى في سورة
النساء : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ (النساء/75).

والنّعّت السببي هو لفظ (الظالم) وهو نعت للقرية رفع كلمة (أهلها) لأنه اسم فاعل
والمقصود بالقرية في هذه الآية «مكة المكرمة، وسألوا الخروج منها لما كدر قدسها من ظلم
أهلها»²، فجاء النّعّت فيها إذن موضعا ومبنيا لسبب الخروج منها.

وقد جاء النّعّت في هذه الآية مفردا (الظالم) تابعا لما قبله (القرية) في الإعراب
والتعريف، وتابعا لما بعده (أهلها) في التذكير.

ولعلّ السياق القرآني اختار التعبير بالنّعّت السببي بدل النّعّت الحقيقي رغم إمكانية
القول: (من هذه القرية التي أهلها ظالمون)؛ لأنّ سياق هذه الآية والهدف من إيرادها هو بيان
سبب الدعاء بالخروج من هذه القرية، وهو ظلم أهلها، ولذلك قدّم لفظ (الظالم) على لفظ
(أهلها) تخصيصا له وبيانا أنّه المقصود من الكلام، فكان النّعّت موافقا لمقتضى الكلام؛ أي
بيان سبب الخروج من القرية، وهذا يبيّن أنّ الله لا يستعمل نوعا معينا من النّعّت إلا بما
يقتضيه سياق الآيات، والله أعلم.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:195.

² - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج : 5. ص: 123.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

2- النَّعت جملة:

لقد تنوع النَّعت بالجملة في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وقد بلغ سبعة وثلاثين ومائة (137) نعت، وذلك بنسب متفاوتة أما النَّعت بالجملة الفعلية فقد أحصينا منه عشرة ومائة (110) جملة، وأما النَّعت جملة اسمية فقد أحصينا منه سبعا وعشرين (27) جملة ، وذلك وفق هذه الصور:

الصورة الأولى: ورود النَّعت جملة فعلية:

لقد رصدنا هذا النوع من النَّعت في آيات كثيرة، كان تعدادها عشرة ومائة (110) جملة، وقد تنوع فيها الفعل بين الماضي والمضارع مع اختلاف نسبة استعمال كلِّ نوع وذلك وفق هذه الأشكال النحوية:

الشكل الأوَّل: ورود النَّعت جملة فعلية فعلها مضارع:

ورد هذا الشكل من النَّعت بالجملة إحدى وثمانين (81) مرة، ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/164).

فقد نُعت القوم الذين ينفكرون في خلق الله، وفي دقَّة صنعه بأنَّهم قوم (يَعْقِلُونَ)، وهي جملة فعلية فعلها مضارع ربط بينها وبين المنعوت (قوم) بالضمير المتصل الدال على الجمع (الواو)، وقد أدى استعمال النَّعت بهذه الطريقة في هذه الآية إلى الدلالة على معنى تجدد الصفة لتجدد الفعل ودلالته على الحال والاستقبال.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد اختار الخطاب القرآني التعبير بالنعته جملة عن صفة المتأملين في خلقه، ولم يقل: «للذين يعقلون أو للعاقلين لأنّ إجراء الوصف على لفظ قوم يومئ إلى أنّ ذلك الوصف سجية فيهم، ومن مكملات قوميتهم... فالمعنى أنّ في ذلك آيات للذين سجيبتهم العقل، وهو تعريض بأنّ الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم براسخة، ولا هي ملكات لهم»¹.

فكان النعته (يَعْقُلُونَ) في هذه الآية مدح لكلّ متأمل في مخلوقات الله مدرك لوحدانيته ودم لكلّ معطل لعقله غافل عن عظمة قدرة الله، وقد أدى اختيار الفعل المضارع في جملة النعته لتأكيد تجدد وملازمة صفة العقل لهؤلاء القوم، فكان التعبير بالفعل المضارع أبلغ من التعبير بالفعل الماضي؛ أي القول (لقوم عقلوا)، والله أعلم.

ومما ورد وفق هذا الشكل من النعته أيضا قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة/25).

فقد نعته كلمة (جَنَّاتٍ) بالجملة الفعلية (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وذلك لبيان ما في الجنة من نعيم للمؤمنين، وقد جاء الفعل مضارعا، وربط بين جملة النعته ولفظ المنعوت بالضمير المتصل (الهاء) في قوله: (تَحْتِهَا).

وإضافة إلى هذا فقد احتوت جملة النعته على تعبير مجازي، وذلك في إسناد الجري إلى الأنهار، والأنهار لا تجري بل يجري الماء الذي فيها، فهو مجاز عقلي، وقد عرف

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 2، ص: 89.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
السكاكي هذا النوع من المجاز بالقول: «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم
فيه لضرب من التأويل»¹.

فالمجاز العقلي انطلقا مما قاله السكاكي نوع من الصور البيانية التي تنتقل باللفظ من
الاستعمال المألوف عند السامع إلى استعمال غير مألوف يتطلب منه استخدام العقل للتأويل
والتأمل في المعاني، وهو يعرف أيضا بأنه: «إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم فاعل
أو اسم مفعول أو مصدر إلى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع
من أن يكون الإسناد إلى ما هو له»²، فقد أسند فعل الجري في الآية القرآنية السابقة
للأنهار، وهو في الحقيقة للماء الموجود فيها، لأن الأنهار ثابتة في مكانها.

وفي هذا الإسناد براعة في اختيار العلاقات العقلية بين الألفاظ؛ ولذلك قال عنه
الجرجاني: «هذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق
والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والانتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعا
مصنوعا وأن يضعه بعيد المرام قريبا من الإفهام»³.

ولعل هذا الكلام يبين ما أضافته جملة النعته (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) للمعنى على
اعتبار أنها تحتوي على المجاز الذي أضفى الجمال والعمق على المعنى.

وتجدر الإشارة هنا أن هذا النعته قد ارتبط بالمنعوت (جنات) في مواطن كثيرة من
الربع الأول من كتاب الله، فقد ورد في الآيات: 15، 136، 195، 197، من سورة

¹ - السكاكي . مفتاح العلوم. ص: 627.

² - السيد أحمد الهاشمي . جواهر البلاغة . ص : 270.

³ - الجرجاني عبد القاهر (ت 474هـ). دلائل الإعجاز. تعليق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت - لبنان. ط: 3.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

آل عمران، والآيات 13، 57، 122 من سورة النساء، والآيات 12، 85، 19 من سورة المائدة، وفي هذه الملازمة بين النعت والمنعوت بهذه الصورة حثّ وتحفيز للمؤمنين على العمل من أجل الفوز بالجنان، وذلك بتأكيد نعيمها الذي لا يزول، والله أعلم.

وإضافة إلى هذه المواضع فقد نعت المفرد بجملة فعلية أيضا في قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ ﴾ (الأنعام/38).

وقد نعت لفظ (طائر) بالجملة الفعلية (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ)، «وفي هذا تأكيد لأنه لا طائر إلا يطير بجناحيه، ويرفع المجاز الذي كان يحتمله قوله: (وَلَا طَائِرٌ) لو اقتصر عليه ألا ترى استعارة الطائر للعمل في قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ (الإسراء/13)»¹.

فالنعت (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) جاء مؤكدا للمنعوت (طائر) مبعدا عنه المعنى المجازي الذي قد يحتمله في سياقات أخرى، كما ورد في سورة الإسراء، إذ عبّر عن العمل بلفظ (طائر).

وقد ربط بين جملة النعت والمنعوت (طائر) بالضمير المتصل (الهاء) في قوله (جناحيه)، وكان الغرض منها تأكيد المعنى، وإبعاد كل لبس، والله أعلم.

ومن الآيات التي ورد فيها النعت جملة فعلية، وكان النعت والمنعوت متلازمي المعنى مختارين بدقة بالغة تناسب السياق الذي وردا فيه قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (97) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام/97-98).

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 4. ص: 125.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
وقد جاء النعت جملة فعلية في الآيتين في قوله: (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)، وهذا في سياق ذكر الله لمجموعة من الآيات الدالة على عظمة قدرته، والملاحظ أن الله انتقل من نعت نفس اللفظ (قوم) في سياقين مختلفين من النعت (يعلمون) إلى النعت (يفقهون)، فقدم العلم على الفقه.

وهذا الترتيب لم يكن من باب الصدفة، بل كان متعمدا يُراعى فيه السياق ودلالة كل آية، والهدف من إيراد آيات الله فيها؛ وذلك «لأنَّ الاهتداء بالنجوم واضح، فختمه بقوله: (يَعْلَمُونَ)؛ أي من له أدنى إدراك ينتفع بالنظر في النجوم وفائدتها، ولما كان الإنشاء من نفس واحدة، والتصريف في أحوال كثيرة يحتاج إلى فكر وتدقيق نظر ختمه بقوله: (يَفْقَهُونَ) إذ الفقه هو استعمال فطنة ودقة نظر وفكر»¹، وبذلك جاء نعت كل قوم مناسبا لطبيعة الآيات التي ذكروا بها، وفي هذا دقة في اختيار النعت المناسب لدلالة السياق، والله أعلم.

الشكل الثاني: ورود النعت جملة فعلية فعلها ماض:

لقد جاءت الجملة الفعلية نعتا وفق هذا الشكل تسعا وعشرين (29) مرة، ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة/261).

فقد شبه الله أجر المنفقين بالحبّة التي تُزرع، ووصف هذه الحبّة فقال: (أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ)، وقد جاء هذا النعت جملة فعلية فعلها ماض (أُنبت).

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 4. ص: 192.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

والملاحظ أنّ الخطاب القرآني أسند الإنبات إلى الحبة، وهذا من قبيل المجاز؛ « لأنها سبب للإنبات، والمُنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها حاضرة بين أيدي الناظر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس»¹.

وفي نقل المعنوي أو المعقول إلى محسوس تقريب للمعاني وتوضيح لها، فلو أنّ الله قال: (حبة أنبت الله منها سبع سنابل) لكان الفهم هنا متعلقا بالغيبيات لعدم مقدرة الإنسان على تصور أجر الله العظيم، ولكن وبالمقابل كان قوله: (حبة أنبتت سبع سنابل) أقرب إلى إدراك السامع لأنه يراه.

فهو من المحسوس المادي الذي يُرى بالعين المجردة، كما أنّ إقامة تشبيه بين أجر الإنفاق وإنبات الحبة قرّب المعنى؛ إذ نقله من المعنوي الغيبي (الثواب والأجر عند الله) إلى المادي المحسوس (إنبات الحبة وتكاثر حبّها)، وذلك يؤدي إلى تقريب المعاني وتوضيحها .

وبذلك كان استعمال المجاز مشخصا للمعنى، ومقرّبا إيّاه إلى الأذهان، وكان استعمال النّعت (أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ)، والذي ارتبط بالمنعوت (حبة) بتاء التأنيث (التاء) في قوله: (أُنْبِتَتْ) سببا في تبيان أنّ للإنفاق أجرا مضاعفا لا يعلم قيمته إلا الله الذي يعلم عدد الحبات التي تُنبتها الحبة المزروعة، والله أعلم.

ومن أمثلة هذا الشكل من النّعت أيضا قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران/110).

¹ - الألويسي. روح المعاني. ج: 4. ص: 32.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
وقد نعت الخطاب القرآني كلمة (أمة) بالجملة الفعلية (أُخْرِجَتُ لِلنَّاسِ)، وجاء فعل
جملة النعت (أُخْرِجَ) ماضيا مبنيًا للمجهول، رُبطَ بينه وبين المنعوت (أمة) بتاء التانيث في
قوله: (أُخْرِجَتُ).

والفعل المبني للمجهول أو المبني للمفعول أو فعل ما لم يسم فاعله هو فعل حذف فاعله
وناب عنه المفعول به، ولا يُحذف الفاعل وينوب عنه المفعول به إلا إذا كان بسبب
« الخوف عليه، نحو قولك: قُتِلَ زيدٌ، ولم تذكر فاعله خوفاً من أن يؤخذ قولك شهادة عليه،
أو لجلالته، نحو قولك: قُطِعَ اللّصُّ... فلم تقل: قطع الأميرُ، وترك ذكره لجلالته، وقد لا يذكر
الفاعل لدناءته نحو قولك: كُنِسَ السُّوقُ، وقد يكون للجهالة به، وقد يُترك الفاعل إيجازاً
واختصاراً»¹.

فكان إذن حذف الفاعل في جملة النعت في هذه الآية بيانا لجلالة الفاعل (الله سبحانه
وتعالى)، وكان في نعت كلمة (أمة) بالجملة (أُخْرِجَتُ لِلنَّاسِ) مدح لها وثناء عليها خاصة
عندما رُبطَ اللهُ سبحانه وتعالى بتصافها بـ (خير أمة) بإخراجها من طرف الله للناس، والله
أعلم.

ومما ورد من هذا النوع من النعت أيضا قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (آل عمران/144).

وللوقوف على الدلالات البلاغية لاستعمال النعت في هذه الآية لا بد من ربطها بسياقها
القرآني، وذلك من خلال الوقوف على سبب نزولها، والذي قل القرطبي أنه «بسبب انهزام
المسلمين يوم أحد حين صاح الشيطان: قد قُتِلَ محمد، فقال بعض الناس: قد أصيب محمد

¹ - ابن يعيش . شرح المفصل للزمخشري . ج : 4 . ص : 306-307، وانظر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء.
الإعجاز البياني للقرآن. دار المعارف. القاهرة. ط:3. دت. ص:242.

الفصل الأول:.....النعّت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم
فأعطوهم بأيديكم وإنّما هم إخوانكم، وقال بعضهم: إنّ كان محمد قد أُصيب ألا تمضون على
ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به؟¹.

ولهذا السبب نزلت هذه الآية، وفيها نُعت لفظ (رَسُول) بالجملة الفعلية المؤكّدة بـ(قد)
(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)، وقد رُبط بين جملة النّعّت والمنعوت بتاء التانيث في قوله (خلتُ)
وقد استعمل الله سبحانه وتعالى أداة التأكيد والتحقيق (قد)؛ لأنّ المقام يستوجب هذا، وذلك لما
عانى منه بعض المؤمنين من ضعف وخوف، فكانت هذه الآية لدفع كلّ شكّ وضعف خالط
قلوب المؤمنين في هذه المعركة أو سيخالطها في زمن آخر.

وانطلاقاً مما قيل فالنّعّت في هذه الآية إنّما ورد تأكيدا من الله أنّ محمدا صلى الله
عليه وسلم ما هو إلا رسول كبقية الرسل سيموت ولا شك، وأنّ رسالته لا تنتهي بموته
وهذه الحال تنطبق على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما انطبقت على الرسل قبله، وبهذا
الوصف حدد الله صفة من صفات الرسول ثبتت قلوب المؤمنين يوم أحد وساهمت في
استمرارية رسالته بعد موته إلى قيام الساعة، والله أعلم.

وفي الأخير وبعد ما قمنا به من استقصاء وتحليل للنّعّت بالجملة الفعلية، فقد انتهينا
إلى أنّ أكثر ما وصف فيه في هذا الرّبّع من القرآن الكريم هو الفعل المضارع، وهذا على
خلاف ما أقرّه علماء اللغة من أنّ أكثر ما يوصف به من الأفعال الماضي².

ولا يمكن تعميم هذا على القرآن الكريم، لكنّ يمكن تعليل هذا بدلالة الفعل المضارع
على الحال والاستقبال ومعنى التجدد، وأنّ أغلب السياقات التي نعتت بالجملة الفعلية يناسبها
هذا المعنى، والله أعلم.

¹ - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج:5. ص:340-341.

² - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 185.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

الصورة الثانية: ورود النعت جملة اسمية:

إنَّ أوَّل ما نبدأ الحديث به في هذا العنصر هو التنبيه إلى قضية وقفنا عليها، ونحن نحصي النعت بالجملة في الربع الأول من كتاب الله، إذ وجدنا النعت بالجملة الاسمية أقلَّ نسبة من النعت بالجملة الفعلية.

فقد ورد النعت بالجملة الاسمية في سبع وعشرين (27) آية ، ومما ورد منه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ (البقرة/254).

فقد نعت لفظ (يوم) بالجملة الاسمية (لَا بَيْعَ فِيهِ)، وقد ربط بين المنعوت وجملة النعت بالضمير(هاء) في قوله (فيه)، وجملة النعت في هذه الآية هي جملة اسمية منفية بـ (لا) النافية للجنس، وقد وردت (لا) فيها غير عاملة، إذ الأصل فيها أن تعمل عمل (إن)؛ أي تنسخ حكم المبتدأ إلى النصب ويُسمى اسمها، وتبقى الخبر مرفوعا ويُسمى خبرها.

وسبب عدم إعمال (لا) في هذه الآية هو تكرارها، فقد أورد ابن هشام أنه «يجوز إلغاؤها إذا تكررت، نحو: لاحول ولا قوة إلا بالله، فلك فتح الاسمين ورفعهما»¹، فإن فتحت أعملت وإن رفعت لم تعمل، وفي الآية موضوع الدراسة لم تعمل (لا) عمل (إن) لتكرارها (لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ)، والمبتدأ هو (بيع) أما الخبر فهو الجار والمجرور (فيه).

وقد ورد هذا النعت ليصف لنا اليوم الذي لا يستطيع المرء فيه تدارك ما فاتته، ولا سبيل ينجيه إلا أعماله الصالحة في الدنيا، ففي هذا اليوم تنتفي استطاعة العمل والبيع وغيرهما من الأعمال.

¹ - ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعراب . ج:1. ص:239.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وكان استعمال الجملة الاسمية كنعت للتوكيد والدلالة على معنى الثبات، فهذه الصفة مستمرة ثابتة تلازم اليوم الآخر، كما أنّ استعمال (لا) النافية للجنس أدى إلى نفي هذه الأفعال مطلقا في يوم القيامة، وذلك لدلالة (لا) على نفي الجنس كلّهُ، فلا بيع ولا خلة ولا شفاعاة تُنجي المرء في ذلك اليوم، والله أعلم.

وقد تكرر وصف يوم القيامة في القرآن الكريم لما في ذلك من ترغيب للمؤمنين ووعدهم بالفوز العظيم، وترهيب للكافرين وتحذير لهم من عذاب أليم، وقد نعت الله سبحانه وتعالى بجملة اسمية أيضا في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران/09) وقد نعت لفظ (يوم) بالجملة الاسمية (لَا رَيْبَ فِيهِ)؛ «أي لا ينبغي أن يرتاب في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء»¹.

وقد تكرر وصف يوم القيامة بهذا الوصف في هذه السورة في الآية الخامسة والعشرين إذ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران/25)، وفي ذلك تأكيد أنّ الإنسان سيبعث في يوم لا شك في وقوعه.

والنعت في هذه الآية هو جملة اسمية (لا ريبَ فيه)، وهي منسوخة بـ (لا) النافية للجنس، فاسمها هو (ريب)، وهو مبني على الفتح في محل نصب لأنه مفرد، وخبرها الجار والمجرور (فيه) وهو في محل رفع، وقد ربط الضمير في قوله (فيه) بين المنعوت (يوم) وجملة النعت (لَا رَيْبَ فِيهِ)، وإنما عملت (لا) في هذه الآية عمل (إنّ)؛ لتوفر الشروط فيها وهي كون النفي عاما؛ ولأنّها دخلت على نكرة (ريب) كما أنّه لم يفصل بينها وبين اسمها فاصل؛ ولم يتقدّم عليه الخبر رغم أنّه جار ومجرور².

¹ - الألويسي. روح المعاني. ج:3. ص:91.

² - انظر: المبرد . المقتضب . ج: 4. ص: 357-362.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
وقد أضاف استعمال الجملة الاسمية كنعْت في هذه الآية معنى الثبات إلى النعْت كما أن
استعمال (لا) النافية للجنس دلَّ على نفي جنس الريب والشك كلّه، فيوم القيامة حقيقة لا شك
فيها، والله أعلم.

ومن أمثلة هذا النوع من النعْت أيضا قوله تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ (النساء/90).

وقد بيّنت هذه الآية كما قال القرطبي: «وجود المواعدة بين أهل الحرب وأهل الإسلام
إذا كان في المواعدة مصلحة للمسلمين»¹.

وقد استعمل النعْت (بينكم وبينهم ميثاق)، وهو جملة اسمية تقدّم فيها الخبر (بينكم
وبينهم) وهو شبه جملة على المبتدأ النكرة (ميثاق)، وقد تقدّم الخبر على المبتدأ في هذه الآية
وجوبا؛ لأنّ المبتدأ (ميثاق) نكرة، والخبر (بينكم وبينهم) شبه جملة (ظرف)².

وقد أدى استعمال النعْت في هذه الآية إلى تخصيص الكلمة النكرة (قوم)؛ وذلك بتحديد
من يدخل في دائرة هذه المواعدة والهدنة، وهذا النعْت هو جملة اسمية تدلّ على الثبات
فشرط الهدنة والمواعدة وجود الميثاق بين المسلمين وثباته، وهذا ما دلّ عليه استخدام الجملة
الاسمية (بينكم وبينهم ميثاق).

فلو أنّ الخطاب القرآني استعمل الجملة الفعلية كنعْت، فقال: (قوم أبرم بينكم وبينهم
ميثاق)، لوجد احتمال أن يكون هذا الميثاق قد أُغني؛ وذلك لدلالة الجملة الفعلية على التجدد

¹ - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج:6. ص:509.

² - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 1. ص: 35.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
فكان النعت بالجملة الاسمية أكثر بلاغة لإسهامه في إيصال المعنى المطلوب بدقة؛ أي أن
الموادعة مصاحبة لثبات وجود الميثاق، والله أعلم .

وفي الأخير وبعد ما قمنا بتحليله من جمل كانت نعوتنا في الربع الأول من القرآن
الكريم نصل إلى أنّ السياق القرآني هو الذي حدد نوع الجملة المنعوت بها، ولا عبرة لما
عُرف من أنّ النعت بالجملة الفعلية أقوى من النعت بالجملة الاسمية، بل إنّ الجملة الاسمية
تكون أقوى في تعبيرها عن النعت في سياق يوجب التعبير عن ثبات النعت في المنعوت
والله أعلم.

3- النعت شبه الجملة:

لقد تمّ إحصاء ست عشرة ومائتي (216) آية تحتوي على النعت شبه الجملة موزعة
بين الجار والمجرور والظرف، وذلك وفق هذه الصور:

الصورة الأولى: ورود النعت جارا ومجرورا:

وهو أكثر أنواع النعت شبه الجملة ورودا، وقد بلغ عدده في الربع الأول من القرآن
الكريم تسعة ومائتي (209) نعت، ومن أمثله قوله تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران/ 15).

إذ عدّد الله في هذه الآية بعض ما يناله المتقون من نعم، فإضافة إلى الجنة والأزواج
المطهّرة ينالون الرضوان من الله، فذكر كلمة (رضوان) في الآية، وقد جاءت نكرة وقام
بنعتها بالجار والمجرور (من الله)، وفي اتصال الرضوان بالله زيادة لقيّمته، فلا يضاهى

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
رضا الله على العبد رضا، فكان استخدام النعته في هذه الآية للدلالة على تعظيم الرضوان
الذي يناله أهل الجنة، والله أعلم.

ومما ورد من النعته بالجار والمجرور أيضا قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ ﴾ (النساء/29).

وقد حرّم الله في هذه الآية أكل مال الناس بالباطل، ثم استثنى أن يكون التعامل تجارة
ثم قام بنعت هذه الأخيرة بشبه الجملة (عَنْ تَرَاضٍ)، وذلك لتخصيص نوع محدد من التجارة
هو ما كان فيه رضا البائع والمشتري .

وفي استعمال النعته تقييد للحكم الشرعي الذي كان مطلقا لو أنّ الله قال: (إلا أن تكون
تجارة)، فيتسع المعنى لكل أنواع التجارة وصفاتها، وإن كان فيها إجبار لأحد الطرفين، فكان
النعته في هذه الآية إذن مخصصا للفظ (تجارة) النكرة، وفيه أيضا نقل لها من الإطلاق إلى
معنى التقييد، وفي هذا تقييد للحكم الشرعي المتعلق بالتجارة الجائزة في الدين الإسلامي
والله أعلم.

وإذا كان النعته في الشاهد الأول لمدح المتقين، وذلك ببيان مكانهم في الجنة، وكان
في الشاهد الثاني قييدا للحكم الشرعي، فقد ورد في مواضع أخرى لدلالات مختلفة، من أمثلة
هذا قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ (المائدة/112).

ففي هذه الآية وصف الحواريون المائدة التي أرادوها من الله بقولهم (مِنَ السَّمَاءِ)
وبهذا النعته ربطوها بشيء لم يألف البشر على أن تكون الموائد منه، وهو السماء، وقد ذكر

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
ابن عاشور سبب هذا النّعت وهو بصدد تفسير هذه الآية، فقال: « لأنهم رغبوا أن تكون
خارقة للعادة فلا تكون مما صنّع في العالم الأرضي، فتعيّن أن تكون من عالم علوي¹».

فكان في نعتهم للمائدة بهذا النّعت (من السّماء) تعظيم لها وبيان لكونها خارقة، فلو
أنهم قالوا: (مائدة خارقة) لوجد احتمال أن تكون مما يشبه موائد الدنيا الكبيرة، لكنّ نعتها
بالبجار والمجرور (من السّماء) جعل إعجازها يكمن في ارتباطها بالسماء، وفي هذا
تخصيص لها عن باقي الموائد المألوفة وبيان لعظمتها، ولم يكن هذا المعنى ليتضح بهذا
الشكل لولا استخدام النّعت، والله أعلم.

الصورة الثانية: ورود النّعت ظرفاً:

استعملت هذه الصورة من النّعت شبه الجملة في المدونة بنسبة قليلة جداً إذا قورنت
باستخدام الجار والمجرور، إذ رصدناها في سبع (07) آيات، ومنها قوله تعالى:

﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ (البقرة/213).

ففي هذه الآية نعت الله كلمة (بَغْيًا) النكرة بالظرف (بَيْنَهُمْ)، وقد قال الألوسي في دلالة
كلمة (بغى) محلاً الغرض من نعتها: «والبغْيُ هو الظلم أو الحسد، ووصفه بـ (بينهم)
إشارة إلى أنّ هذا البغي قد باض وفرّخ عندهم، فهو يحوم عليهم يدور بينهم لا طمع له في
غيرهم، ولا ملجأ له سواهم، وفيه إيذان بتمكنهم في ذلك وبلوغهم الغاية القصوى فيه، ومنشأ
ذلك مزيد حرصهم في الدنيا وتكالبهم عليها»².

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:7. ص:106.

² - الألوسي. روح المعاني. ج:2. ص:102.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد أدى استعمال الظرف (بينهم) في هذه الآية إلى الزيادة من وضوح المعنى وتأكيد المبالغة في البغي والظلم؛ وذلك بسبب التمسك بالدنيا وملذاتها، إذ كان لاستعمال النعته (بينهم) دلالة على ارتباطهم بالبغي ارتباطا وثيقا، وكان أقوى دلالة من التعبير بالقول (بغيا) منتشرا أو كبيرا)، إذ حمل معنى تشاركهم في البغي، وأنه يقيم بينهم لا يفارقهم، فهم يتداولونه بينهم؛ وذلك يتضح باستخدام الظرف (بين)، والله أعلم.

وإذا كانت هذه الآية شاهدا على استعمال هذا النوع من النعته في سياق الذم، فإنه استعمل أيضا في سياقات المدح، ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران/163).

ففي هذه الآية نعت الله درجات المؤمنين الفائزين بالجنة بالظرف (عند الله)، وبذلك جعل منزلة المؤمنين أعلى لارتباطها بالله.

فإنه سبحانه وتعالى كان يستطيع الاكتفاء بالقول: (هم درجات)، فيدل بهذا القول على أجر المؤمنين ومكانتهم؛ وذلك لما أوردنا سابقا من أن معنى (درجات) العلو والسمو¹، لكنه جلّ وعلا قد نعت لفظ (درجات) بالنعته (عند الله)، من أجل ربط هذه الدرجات بالله سبحانه وتعالى، وذلك من أجل الزيادة من منزلة وشرف هذه الدرجات، وكما يبين عظمة مكانة أصحابها عند الله، وذلك بربطها بالله عن طريق الظرف (عند)، إذ لا يمكن لشخص أن يتصور شيئا أعظم من شيء عند الله، والله أعلم.

¹ - انظر: ص: 62. من هذا البحث.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

ثانيا/ تعدد النّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم:

إنّ حاجة السياقات الكلامية للتوضيح والتخصيص والتقيد تختلف من سياق لآخر؛ وهذا ما يجعل استعمال النّعت يتنوع بتنوع السياقات واختلافها؛ ولذلك نجد المتكلم يستعمله بطرق مختلفة، فيكتفي حيناً بنعت واحد يستقيم المعنى من خلاله، وتتم الفائدة به، وتفرض عليه سياقات أخرى استخدام أكثر من نعت زيادةً في التوضيح أو التخصيص أو غيرها من الأغراض التي يُؤتى بالنّعت لأجلها.

وهذا يجعلنا نقف في سياقات كثيرة على منعوت واحد قد نعت بأكثر من نعت، وقد تكون هذه النّعوت من نوع واحد، وقد تختلف في النوع، وقد وجدنا بعد استقرار آيات الرَّبْع الأوَّل أنّ النّعت تعدد في ست وثلاثين (36) آية؛ وذلك لأغراض بلاغية متنوعة، حددها السياق الذي وردت فيه، وقد كان تعدد النّعت وفق عدّة صور هي:

الصورة الأولى: نعت مفرد يليه نعت مفرد:

إنّ تعدد النّعت المفرد لمنعوت واحد من الأمور التي أجمع العلماء على جوازها، لكنهم وضعوا لذلك قواعدا وضوابطاً تتعلق بالعلاقة المعنوية بين هذه النّعوت، فإن كانت هذه النّعوت متباعدة المعنى وجب العطف بينها، ويكون هذا العطف بـ (الواو)، وإن كانت متقاربة المعنى يجوز ترك العطف.

وقد فصل السيوطي القول في هذه المسألة مورداً بعض الشواهد من القرآن الكريم، إذ قال: «فإذا تكررت النّعوت لواحد فالأحسن إن تباعد معنى الصفات العطف، نحو: قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد/03)، وإلا تركه نحو: قوله تعالى:

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿10﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿11﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿12﴾
عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿ (القلم/10-13)﴾¹.

فالشواهد القرآنية تثبت ما ذهب إليه السيوطي في هذه المسألة، فالملاحظ أنّ النعوت (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن) في الآية الأولى جاءت متضادة المعنى؛ ولذلك عطف بينها، أما في الآية الثانية فالنعوت (مهين، وهمّاز، ومشاء، ومَنَّاع، مُعْتَد، وأثيم، وعُتْلٌ وزنيم) جاءت متقاربة المعنى إذ دلّت على الذم؛ ولذلك جاز عدم العطف.

ولقد ارتأينا البدء في البحث في مسألة تعدد النعت بالبسملة؛ وذلك رغم ما هو موجود من خلاف حول كونها آية من سورة الفاتحة أو من غيرها من السور، «فقراء المدينة والبصرة والشام و فقهاؤها على أنّ البسملة ليست بآية من الفاتحة، ولا من غيرها من السور وهذا مذهب أبي حنيفة - رحمه الله- ومن تابعه؛ ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة و فقهاؤها على أنّها آية في الفاتحة ومن كلّ سورة، وعليه الشافعي وأصحابه - رحمهم الله- ولذلك يجهرون بها»²، وإنّما كان اختيارنا هذا لما تحتويه البسملة من بلاغة، إذ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقد وجدنا أنّ البسملة تحتوي على لفظ الجلالة (الله)، وقد تتابع نعته بنعتين هما (الرحمن، والرحيم)، وهما نعتان يجتمعان في معنى الرحمة، وإنّ وُجِدَ بينهما اختلاف دلالي لذلك أتبعنا النعوت، ولم تُقَطع فهي نعوت مجرورة لمنعوت مجرور، كما أنّه لم يفصل بين النعوت بحرف عطف.

¹ - السيوطي جلال الدين. معترك الأقران في إعجاز القرآن. ضبط: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 1988. ج: 1. ص: 68.

² - الزمخشري . الكشاف . ج: 1. ص: 99.

الفصل الأول:.....النَّعْتِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

ولعلَّ الغرض من نعت لفظ الجلالة هنا الثناء على الله وتعظيمه، وذلك بتأكيد اتصافه بالرحمة، ولا بد من الإشارة هنا إلى ما ذهب إليه السيوطي من أنَّ النُّعوت إذا تعددت فإما أن تتبع وإما أن تقطع وإما أن يجوز فيها الوجهان.

فهو يرى أنَّ «قَطَعَ النُّعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها، لأنَّ الصفات في معرض المدح أو الذم، الأحسن أن يخالف في إعرابها لأنَّ المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأنَّ المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً»¹، وبذلك يكون قطع النُّعوت في مقام المدح والذم أبلغ.

وكما تقدّم فالمدح والذم أو الترحم شرط القطع في النُّعوت، «فإن لم تكن فالإتباع ليس إلا نحو: مرتُّ بزيدي الطويل الأبيض الأشم»²، فهذه النُّعوت (الطويل، والأبيض، والأشم) تدلُّ على حلية ولا تدلُّ على مدح أو ذم أو ترحم؛ ولذلك يمتنع قطع النُّعوت فيها.

ويفصل ابن عصفور الحديث في موضوع قطع النُّعوت إذا تعددت لمنعوت واحد «للمدح كالشجاع والكريم أو الذم كالفاسق والخبيث أو للترحم كالمسكين والفقير جاز ثلاثة أوجه: إتباع الجميع وقطع الجميع وإتباع البعض وقطع البعض، وإذا أتبع بعض وقطعت بعض بدأت بالإتباع قبل القطع»³.

وخلاصة ما قيل: إنَّ النُّعوت إذا تعددت ودلَّت على مدح أو ذم أو ترحم جاز أن تُتبع أو تُقَطع، وجاز أن تُتبع بعضها وتُقَطع بعضها الآخر بشرط أن تبدأ بالإتباع، وإذا عدنا إلى البسمة سنجد الله سبحانه وتعالى أتبع النُّعوت (الرحمن، والرحيم) بالمنعوت (الله)؛ وذلك في

¹ - السيوطي . الإتقان في علوم القرآن . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . السعودية . دط . 1426هـ . ج:4 . ص:1664 .

² - ابن عصفور . شرح جمل الزجاجي . ج:1 . ص:208 .

³ - المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبِّع الأوَّل من القرآن الكريم
التعريف والتذكير والإفراد والإعراب (الجرّ) رغم أنّ السياق للمدح، ولعلّ علّة هذا هي أنّ
الله أراد أن يؤكّد لعباده على ملازمة صفة الرحمة له، فأتبع النّوع ولم يقطع، والله أعلم.

وقد اختار الخطاب القرآني في هذا المقام التعبير بصيغة المبالغة، وترك التعبير باسم
الفاعل؛ لما تدلّ عليه من المبالغة في الفعل، رغم مشاركتها لاسم الفاعل في الدلالة على من
قام بالفعل، وقد قال ابن يعيش في هذه المسألة: «يريد به ما أراد بـ (فَاعِلٍ) من إيقاع الفعل
إلا أنّ فيه إخبارا بزيادة مبالغة»¹.

فكان إذن استخدام صيغة المبالغة في البسمة أبلغ من استخدام اسم الفاعل؛ وذلك لأنّ
الغرض من هذه الآية هو الإخبار بوسع رحمة الله التي لا يضاهيها ولا يماثلها رحمة.

وإذا عدنا إلى النّعتين (الرَّحْمَنِ، والرَّحِيمِ) سنجد أنّ النّعت الأوَّل جاء على وزن (فَعْلَانٍ)
بينما جاء النّعت الثاني على وزن (فَعِيلٌ)، وكلاهما من الفعل (رَحِمَ) الثلاثي، وهما صيغتا
مبالغة للدلالة على الرّحمة، وقد قال العكبري في التبيان: إنّ « (الرَّحْمَنِ، والرَّحِيمِ) صفتان
مشتقتان من الرحمة، و(الرَّحْمَنِ) من أبنية المبالغة، وفي (الرَّحِيمِ) مبالغة أيضا إلا أنّ فَعْلَانًا
أبلغ من فَعِيلٍ»².

وهذا الكلام يبيّن الفرق الدلالي بين النّعتين، فرغم أنّ أصلهما واحد، وهو الفعل (رَحِمَ)
ورغم دلالتهما على المبالغة في الرحمة، فإنّ (الرَّحْمَنِ) أقوى في الدلالة من (الرَّحِيمِ)، وهذا
الكلام يجعلنا نلاحظ أنّ نعوت لفظ الجلالة دالة على المبالغة في صفة الرحمة، وقد بدئ
بالأعمّ من الصفات ثمّ ذكر الأخصّ.

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 4. ص: 88.

² - العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 1. ص: 8.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

ويؤكد هذا ما أورده العلماء من معانٍ للنعتين، فقيل: (الرَّحْمَنُ) بخلقه (الرَّحِيمُ) بعباده وقيل: (الرَّحْمَنُ) بجميع الخلق (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين، وقيل: هما من الرحمة كقولهم: ندمان ونديم، وقيل: (الرَّحْمَنُ) من وسعت رحمته كلَّ شيء، وهو وصف لا يقع إلا لله سبحانه عكس (الرَّحِيمُ)، فيوصف به الله كما يُوصف به النَّاسُ¹.

وإذا انطلقنا من هذه المعاني المقتمة للنعتين (الرَّحْمَنُ، والرَّحِيمُ)، فسنجد أنهما إمّا للدلالة على المعنى نفسه وهو الرحمة، وإمّا تعددت النعوت للتوكيد، وإمّا أنّ في (الرَّحْمَنُ) من معنى المبالغة ما ليس في (الرَّحِيمُ)؛ أي أنّ لفظ (الرَّحْمَنُ) أعمّ من لفظ (الرَّحِيمُ)، وهذا ما يؤكد أنّ (الرَّحْمَنُ) بمعنى الرحمة بجميع خلقه، و(الرَّحِيمُ) بعباده، وإمّا أنّ (الرَّحْمَنُ) صفة خاصة بالله سبحانه وتعالى، فهو لفظ خاص، و(الرَّحِيمُ) صفة تطلق على الله وعلى عباده فهو لفظ عام.

فإمّا إذن أنّ لفظ النعت العام في البسمة كان قبل الخاص أو العكس، وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ العلماء قد وضعوا للنعوت إذا تعددت وكان منها الخاص والعام ترتيبا محددًا فقد اشترطوا البدء بالعام قبل الخاص، فلا يقال: رجلٌ فصيحٌ متكلمٌ، بل يقال: متكلمٌ فصيحٌ والعلة في ذلك أنك «إذا ذكرت الصفة الخاصة أولاً لم يعد للصفة العامة معنى، وكان الإتيان بها عبثاً لا طائل تحته، إذ أنّ الفصيح لا بد أن يكون متكلماً بخلاف المتكلم فليس ينبغي أن يكون فصيحاً، فإذا ذكرت صفة الفصاحة بعد صفة الكلام أضفت معنى جديداً لم يتضمّنه الوصف الأول»².

¹ - انظر: النَّحَّاس. معاني القرآن الكريم. ج:1. ص: 53-54 وابن عطية أبو محمد عبد الحق (ت 541). المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. دار الخير. لبنان. ط:2. 2007. ص: 67-68.

² - عبد القادر حسين. فن البلاغة. ص:203-204.

الفصل الأول:.....النعّت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم

فالعلّة إذن في وجوب تقدّم النّعّت العام على الخاص هي المحافظة على الغرض من النّعّت ودوره في الجملة، لأنّ تقديم النّعّت الخاص على العام يُلغي دور النّعّت العام، ويجعل ذكره من باب اللغو لا أكثر؛ لأنّ المعنى يتم بالنّعّت الخاص، فلا حاجة لذكر العام .

ومما تقدّم نجد أنّ الله سبحانه وتعالى نعت نفسه بـ(الرّحمن) وهو وصف عام، فهو الذي يرحم عباده في الدنيا والآخرة، ثمّ أتى بنعت ثان هو(الرّحيم)، وهو وصف خاص المقصود به الرحمة بالمؤمنين في الدنيا؛ وبذلك فقد تناول «بالرّحمن جلائل النعم وعظائمها وأصولها وأردفه (الرّحيم) كاللّتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف»¹.

وبعد ما تقدّم من تحليل حول النّعوت المستخدمة في البسملة نصل إلى أنّ تعدد نعوت لفظ الجلالة في البسملة بـ (الرّحمن، والرّحيم) فيه تعظيم ومدح وثناء على الله، وقد أدى هذا إلى تأكيد رحمته الواسعة بعباده في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

والنّعّت كما قال صاحب دلائل الإعجاز ليس مجرد تابع يتبع الاسم الذي قبله في إعرابه فقط، بل وراء هذا علم، لما يضيفه النّعّت من معانٍ سواء للفظ المنعوت أو للجملة التي ورد فيها، فهناك « صفة تخصص، وصفة توضّح وتبيّن وأنّ فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح، كما أنّ فائدة الشياخ غير فائدة الإبهام، وأنّ من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يؤتى بها مؤكّدة كقولهم (أمس الدّابّر) وكقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (الحاقة/13)، وصفة يراد بها المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جدّه»².

¹ - الزمخشري . الكشاف . ج:1. ص: 108.

² - الجرجاني . دلائل الإعجاز . ص: 39 - 40.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وخالصة ما قلناه ونحن نحلل البسمة أنّ النّعوت فيها إنّما وردت للمدح والثناء على الله تعالى وذلك بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا المرتبط بالرحمة، وهذا لتأكيد عظيم رحمته سبحانه بعباده، والله أعلم.

ومن نماذج تعدد النعت المفرد لمنعوت واحد في الرَّبْع الأوَّل أيضا، قوله تعالى:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة/21).

فقد نعت الله سبحانه وتعالى لفظ (الأرض) بالنعْت المشتق المفرد (المُقَدَّسَة)، وهو اسم مفعول من الفعل (قَدَّسَ)، ثمّ أتبعه بنعت مفرد جامد هو اسم الموصول (التي).

فإذا كان النعت الأوّل مبيّنا لصفة القداسة فيها، وهذا من باب المدح، فإنّ «في وصفها بـ (التي كتب الله) تحريض على الإقدام لدخولها»¹؛ لأنّ كونها مرتبطة بالله يوجب لها أعلى درجات القدسية، وكلما زادت قيمة الشيء كلما اشتاقت النفوس لأخذه والحصول عليه والمقام فيه لو كان مكانا.

وإذا عدنا إلى الدلالة التي أفادها تعدد النعت في هذه الآية، سنجد أنّ الله تعالى بيّن مكانة الأرض بداية بنعتها بـ (المُقَدَّسَة)، ثمّ بيّن أحقيتهم فيها بأنّ وصفها بأنّها مكتوبة لهم من عند الله، وذلك من خلال استعمال النعت (التي كتب الله لكم).

فإنّ سأل سائل لمّ لمّ يكتف الله بالنعت (المُقَدَّسَة)؟، لكان الرد هو أنّ في النعت الأوّل بيان لقدسية الأرض، لكن لا يوجد فيه ما يحفز على دخولها، لكنّ النعت الثاني (التي كتب الله لكم) دلّ على أنّ هذه الأرض لهم، وذلك من خلال استخدام الجار والمجرور (لكم)، وفي هذا حتّ لهم للدخول إليها، فكان في تعدد النعت هنا جمع بين مدح الأرض، والحث على

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:6. ص:162.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
الدخول إليها، وكان في استخدام اسم الموصول تنبيه وتشويق للسامع من أجل الوقوف على
صفاتها، والله أعلم.

الصورة الثانية: نعت مفرد يليه نعت جملة:

قد يتعدد النعت، ويتنوع هذا النعت بين النعت المفرد، والجملة وشبه الجملة والحقيقي
والسببي، وقد وضع علماء النحو لهذه النعوت إذا اجتمعت ترتيبا خاصا قاموا فيه بمراعاة
طبيعة كل نوع من هذه الأنواع، وقد قال السيوطي في هذا الموضوع: «فإذا وُصِفَ بمفرد
وظرف أو مجرور وجملة، فالأولى ترتيبها هكذا، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ (غافر/28)»¹.

فقد نُعِتَت كلمة (رجل) بالمنعوت (مؤمن) وهو مفرد ثمَّ (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ)، وهو نعت
شبه الجملة، ثمَّ (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ)، وهو نعت جملة فعلية، وبذلك فالنعوت إذا تعددت وجاءت
مختلفة في النوع، فإنها ترتب وفق هذه الصورة: المفرد ثمَّ شبه الجملة ثمَّ الجملة.

ولهذا الترتيب عند علماء النحو علَّةٌ وسببا، إذ الأصل في النعت أن يكون اسما؛ ولذلك
يقدم المفرد على غيره من النعوت، وأنَّ النعت بالظرف في تقدير النعت بالمفرد؛ ولذلك يقدم
على النعت بالجملة، وهذا مذهب السيوطي إذ قال: «وعلة هذا الترتيب أنَّ الأصل الوصف
بالاسم، فالقياس تقديمه، وإنما تقدّم الظرف ونحوه على الجملة لأنّه من قبيل المفرد»².

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:185.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد تتعدد النعوت وتكون جملة، وتتنوع بين الجملة الفعلية والاسمية، فإذا حدث هذا «تُقدّم الجملة الفعلية على الاسمية، لأنّ الوصف بتلك أقوى منه بهذه، وأكثر ما يوصف من الأفعال بالماضي»¹.

أما إذا تعددت النعوت، وتتنوعت بين النعت الحقيقي والنعت السببي، «فإنك تُقدّم غير الرافعة فنقول: مررتُ برجلٍ عاقلٍ قائمٍ أبوه، لأنّ الرافعة أشبهت الجملة، فتكون بعدما لا يرفع، ويكون الظرف بعده ثمّ الجملة»²، فيقدّم النعت الحقيقي على النعت السببي.

وبهذا يكون ترتيب النعوت إذا تعددت في جملة واحدة لنعوت واحد واختلفت أنواعها: نعت مفرد حقيقي، فنعت سببي، فنعت شبه الجملة، فنعت جملة فعلية، فنعت جملة اسمية.

وبالعودة إلى آيات الربع الأول من كتاب الله نجد أنّ النعت تعدد واختلف نوعه بين المفرد والجملة، وذلك في مواضع متنوعة، ووفق أشكال نحوية هي:

الشكل الأول: نعت مفرد يليه نعت جملة فعلية:

ومن أمثلة هذا الشكل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾ (الأنعام/138).

وفي هذه الآية كان المنعوت (أَنْعَامٌ وَحَرْتُ) متعددا، لكنّ نعتها جاء لفظا واحدا، فقد نعت اللفظان بالنعت (حِجْرًا) ثمّ بالجملة الفعلية (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ).

وهنا يتّضح أنّه قد يتعدد المنعوت مع كون النعت واحدا، وتتنوع حالات النعت هنا حسب نوع المنعوتين من جهة، والعامل فيهما من جهة أخرى، وقد جمعنا هذه الحالات في :

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:185.

² - الأندلسي أبو حيان. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1990.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

1- العامل في المنعوتين واحد، وتقع تحت هذه الحالة احتمالات هي:

أ- أن يكون المنعوتان متفقين في التعريف والتذكير، وعند ذلك «يجوز إفراد كل واحد منهما بوصف، ويجوز جمعهما في وصف واحد، فالأول نحو: جاءني زيدٌ الظريفُ وعمروُ الظريفُ، والثاني نحو: جاءني زيدٌ وعمروُ الظريفان»¹.

فالمنعوتان (زيدٌ، وعمروُ) اتفقا في التعريف فهما معرفتان؛ ولذلك جاز أن يُنعت كل واحد منهما وحده (زيدٌ الظريفُ وعمروُ الظريفُ)، أو أن يجمعا تحت نعت واحد (زيدٌ وعمروُ الظريفان).

ب- أن يكون المنعوتان مختلفين في التعريف والتذكير، وفي هذه الحالة «لا يمكن جمعهما في وصف واحد لامتناع تخالف النعت والمنعوت تعريفاً وتذكيراً، فإما أن تُفرد كل واحد منهما بنعت أو تجمعهما في نعت مقطوع، نحو: جاءني رجلٌ وزيدٌ الظرفين»².

فالمنعوتان (رجلٌ، وزيدٌ) مختلفان في التعريف والتذكير؛ ولذلك إما أن يفرد كل واحد منهما بنعت فنقول: جاءني رجلٌ ظريفٌ وزيدٌ الظريفُ، أو نقوم بقطع النعت (الظرفين).

2- العامل في المنعوتين مختلف، ولهذه الحالة أوجه هي:

أ- أن يكون العاملان متقاربين في المعنى ولهما نفس العمل، وفي هذه الحالة لا بد من «أن يتبع النعت المنعوت رفعا ونصبا وجرا، نحو: ذهبَ زيدٌ وانطلق عمروُ العاقلان وحدثتُ زيداً وكلمتُ عمراً الكريمين، ومررتُ بزيدٍ وجُزْتُ على عمروِ الصالحين»³، فقد تبعت النعوت (العاقلان، والكريمين، والصالحين) منعوتاتها رغم اختلاف عاملهما؛ لأن هذه

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج:3. ص:45.

² - المصدر نفسه. ص:46.

³ - ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج:2. ص:202.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
العوامل (ذهب، وانطلق) (حدثت، وكلمت) (مررت، جرت) متحدة في المعنى والعمل من
(رفع ونصب وجر).

ب- أن يكون العاملان متقاربين في المعنى، وليس لهما نفس العمل، وفي هذه الحالة
«وجب القطع نحو: مررتُ بزَيْدٍ ولقيتُ عمرًا الكريمانِ أو الكريمينِ»¹، فالمنعوتان (زيد
وعمرًا) رغم اتحاد عامليهما في المعنى إلا أن العمل مختلف، فكلمة (زيد) جاءت مجرورة
أما (عمرًا) فجاءت منصوبة، ولذلك وجب قطع نعتيهما.

ج- العاملان غير متحدين في المعنى، لكن لهما نفس العمل عند ذلك يجب القطع
«نحو: قامَ زيدٌ وهل خرجَ عمروُ العاقلانِ، فإن كان الاختلاف يكون أحدهما مستفهما عنه
والآخر ليس كذلك نحو: من زيدٌ وهذا بكرٌ، فلا يجوز أن تقول العاقلانِ»²؛ لأن المنعوتين
(زيدٌ، وبكرٌ) رغم اتحادهما في العمل (الرفع)، إلا أنهما يختلفان في العامل؛ لذلك لا يجوز
الإتباع بل يجب القطع.

د- أن يكون العاملان مختلفين في المعنى والعمل، فإن «اختلف العاملان والعمل معا
فالجُمهور على إيجاب قطع المنعوت المشترك فيه»³.

وبالعودة إلى الشاهد من سورة الأنعام نجد أن المنعوتين (أنعام وحرث) قد اشتركا في
العامل، إضافة إلى اشتراكهما في التثنية؛ ولذلك جاز فيهما الجمع في نعت واحد، وهو ما
ورد في الآية الكريمة (حجر)، كما يجوز أن يُنعت كل واحد بنعت؛ أي القول: (أنعام حجر
وحرث حجر).

¹- السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:180.

²- أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1923.

³- الأسرابادي. شرح الكافية في النحو. ج:3. ص:48.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وللوقوف عند هذه الآية بالتحليل من الناحية الدلالية البلاغية لا بد بداية من معرفة معنى النعْت (حِجْرٌ)، وربطه بما تحمله جملة النعْت (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأُ)، وحجر كما أورد الألو سي « بمعنى ممنوع منها؛ ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث... ولا يطعمها إلا من نشاء أي لا يأكلها إلا الرجال وقيل يعنون ذلك وخدم الأوثان»¹.

وبذلك نعت المنعوت (أنعام وحرث) بنعتين الأول مفرد جامد (حِجْرٌ)، وهو مصدر بمعنى ممنوع؛ وإنما جاز النعْت بالمصدر هنا رغم أن الأصل في النعْت أن يكون مشتقا لإمكانية تأويل المصدر (حِجْرٌ) بالاسم المشتق (ممنوع) .

أما النعْت الثاني في الآية فهو الجملة الفعلية (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأُ)، وهو جملة فعلية فعلها مضارع (يَطْعَمُهَا) سبق بأداة النفي (لا)، وقد ربط بين جملة النعْت والمنعوت بالضمير (الهاء) في قوله: (يَطْعَمُهَا)، والملاحظ أن جملة النعْت تحتوي على معنى المنع الذي يحمله النعْت المفرد الذي ورد قبلها؛ أي منع هذا الطعام عن صنف من الناس.

ومما تقدّم نستنتج أن تتابع النعوت في هذه الآية (النعْت المفرد ثمّ النعْت الجملة) قد أدّى إلى تأكيد المشركين تحريم صنف من الطعام على صنف من الناس، والله أعلم.

الشكل الثاني: نعت مفرد يليه نعت جملة اسمية:

وقد ورد هذا الشكل في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (آل عمران/07).

ففي هذه الآية نعت الله سبحانه وتعالى اللفظ (آيات) بالنعْت المفرد المشتق (محكمات) وهو اسم مفعول جاء بصيغة جمع المؤنث السالم، ثمّ تبعه بالنعْت جملة اسمية (هنّ أمّ)

¹ - الألو سي. روح المعاني. ج:8. ص:54.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
الكتاب)، أَمَا «(مُحْكَمَاتٌ) فمعناه واضحة المعنى ظاهرة الدلالة محكمة العبارة محفوظة من
الاحتمال والاشتباه، أَمَا (هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ) معناه أصله والعمدة فيه يُرَدُّ إليها غيرها، والعرب
تسمي كلَّ جامع يكون مرجعا -أُمَّ-»¹.

وبذلك فقد تعددت نعوت كلمة آيات، فجاء النعت الأوَّل مفردا (مُحْكَمَاتٌ)، وجاء النعت
الثاني جملة اسمية (هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ)، ولما نعت الله هذا الصنف من الآيات بهذه النعوت بيَّنها
تبينا دقيقا ليفرق بينها وبين آيات وصفها بـ (وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ).

و كلمة «(أُخْرٌ) نعت لمحذوف معطوف على (آياتٌ) - وآيات أُخْرَى-»² ، فإذا قمنا
بالتقدير تصبح الجملة، (وآيات أُخْرٍ مُتَشَابِهَاتٍ)، وهنا يتعدد نعت كلمة آيات، والنعوت هي
(أُخْرٍ، و متشابهاتٍ)، وفي هذا التعدد توضيح للنوع الثاني لآيات الذكر الحكيم، وفي ذلك
تفريق بينها وبين الأولى، والله أعلم.

الصورة الثالثة: نعت شبه الجملة يليه نعت جملة:

من صور تعدد النعت في الرَّبْع الأوَّل أيضا أن يأتي النعت الأوَّل شبه الجملة، ثمَّ يتبعه
نعت جملة، وقد كانت اسمية في مثل قوله تعالى:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾ (البقرة/19).

¹ - الألو سي. روح المعاني. ج:3. ص:80.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الأول:.....نعت في الربع الأول من القرآن الكريم

ولفظ المنعوت في هذه الآية هو اللفظ النكرة المجرور (صَيَّبَ)، وهو يدلّ على معنى الظلمة، وذلك ما أورده ابن عاشور، إذ قال: «والصَيَّبُ فَيَعْلُ من صَابَ يَصُوبُ صَوْبًا إذا نزل بشدّة، فهو وصف للمطر بشدّة الظلمة الحاصلة من كثافة السحاب ومن ظلام الليل»¹.

وقد نعتت كلمة (صَيَّبَ) في هذه الآية بالجار والمجرور (مِنَ السَّمَاءِ)، والجملة الاسمية (فِيهِ ظُلْمَاتٌ)، وكلاهما يحمل معنى الظلمة الحالكة، فالله يشبّه هذه الفئة من الناس بالصَيَّب الذي ينزل من السماء، وتكون فيه ظلمات بسبب كفرهم وعصيانهم، وفي هذه النعوت تأكيد ابتعادهم عن الله، والله أعلم.

وإذا كان النعت الثاني في الشاهد السابق جملة اسمية، فإنه قد يكون جملة فعلية مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران/ 164).

ومناسبة نزول هذه الآية هي «تذكير رجال يوم أحد وغيرهم من المؤمنين بنعمة الله عليهم ومناسبة ذكره هنا أن فيه من التسلية على مصيبة الهزيمة حذا عظيما»².

فبعد أن هُزِم المسلمون في غزوة أُحُدٍ كانوا يحتاجون إلى دعم معنوي، فذكّرهم الله بنعمه، وأعظمها أنه بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكفى بها نعمة، لكنه تعالى نعت الرسول بنعتين ليزيد من تخفيف ألم الخسارة عنهم، فقال: (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، وهو نعت شبه الجملة أتبعه بنعت جملة فعلية (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)، وهذا تبيان لفضل النبي، وإعلاء لمكانة قومه، وفي هذا تخفيف لألمهم، وذلك من خلال ربط النبي صلى الله عليه وسلم بقومه بداية

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 1. ص: 317.

² - المصدر نفسه. ج: 4. ص: 157.

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
من خلال النعته (من أنفسهم)، ثم من خلال نعته بعدها بالجملة الفعلية لبيان فضله صلى الله
عليه وسلّم، والله أعلم.

الصورة الرابعة: تعدد النعته وترتيبه على خلاف ما أورده علماء النحو:

إنّ ما قدّمناه من صور لتعدد النعته في الربع الأول من القرآن الكريم جاء وفق ما أقرّه
علماء النحو، فقد جاءت الشواهد التي قمنا بتحليلها موافقة لما أورده علماء النحو حول
ترتيب النعوت إذا تعددت، واختلف نوعها.

لكننا وجدنا مواضعاً خالف فيها ترتيب النعوت ما سنّه العلماء، ومنها قوله تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (المائدة/54).

وفي هذه الآية نعت الله كلمة (قوم) بأربعة نعوت (يحبُّهم) (أذلة) (أعزة) (يجاهدون)
فكان النعته الأول جملة فعلية، ثم أتبع بنعت ثان هو نعت مفرد، فثالث هو نعت مفرد أيضاً
ثم رابع هو نعت جملة فعلية، وهنا قدّمت جملة النعته الفعلية على النعته المفرد خلافاً لما
أقرّه علماء اللغة.

وهذه النعوت لم تأت بهذا الترتيب عبثاً، بل إنّ هذا الترتيب هو الأحسن و الأكثر بلاغة
في إيصال المعنى المراد، فقد بدأ المولى عزّ وجلّ بالنعته الجملة (يحبهم ويحبونه) للدلالة
على معنى التجدد في حبّ الله لهم، وحبّهم له، ثمّ أتبعه بالنعته المفرد (أذلة) وهو صفة
مشبهة جاءت بصيغة الجمع مفرداً (ذليل)، وقد دلّ النعته بها على ثبات هذه الصفة فيهم مع
المؤمنين، ثمّ أتى بالصفة المضادة لها مباشرة (أعزة) وهي أيضاً صفة مشبهة دالة على
الجمع، ومفرداً (عزيز)، وهي دالة على ثبات هذه الصفة فيهم مع الكافرين، وهذا من باب

الفصل الأول:.....النعته في الربع الأول من القرآن الكريم
المقابلة؛ وذلك للزيادة من توكيد المعاني، ليختم هذا التتابع في النعوت بالقول: (يجاهدون في
سبيل الله)، وقد دلّ النعت بالجملة الفعلية هنا على تجدد الصفة.

إضافة إلى هذا فقد رتبت النعوت بما يناسب دلالتها والسياق الذي وردت فيه
« فالوصف الذي يتعلّق بالمؤمن (أذلةً على المؤمنين) قدّم على الوصف المتعلّق بالكافر
(أعزةً على الكافرين) لشرف المؤمن، ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وربّه أشرف من
الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن قدّم قوله: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) على قوله: (أذلةً على
المؤمنين) ...ثمّ قال: يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...؛ لأنّ الجهاد والصلابة
في الدين هما نتيجة الأوصاف السابقة»¹.

و من خلال هذه الآية تبيّن أنّ النعوت قد تتعدد ولا يتحكم في ترتيبها ما أقرّه علماء
النحو، بل يكون المتحكّم ما يقتضيه السياق، وخير مثال لهذا الآية السابقة، فالترتيب الذي
جاءت عليه النعوت فيها هو أنسب ترتيب يؤدي إلى الغرض المرجو منها.

فأعظم نعت يتمناه الإنسان هو أن يحبه الله ويحبّ الله؛ ولذلك قدّم النعت (يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ) رغم أنّه جملة فعلية على النعوت المفردة (أذلة، وأعزة)، كما قدّم النعت (أذلة)
على النعت (أعزة)؛ لأنّه نعت بالأوّل العلاقة بين المؤمن والمؤمن، ونعت بالثاني العلاقة بين
المؤمن والكافر؛ والعلاقة الأولى أشرف لذلك قدّم نعتها، وفي النهاية ختم بالنعت (يُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) كنتيجة لما سبقه من نعوت، والله أعلم.

ومما جاء من تعدد النعوت مع كون ترتيبها مخالفا لما أقرّه علماء النحو أيضا قوله
تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران/133).

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:524.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم
والمقصود بهذه الآية وصف الجنة «بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس
من خلقه وأسطه، وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة»¹ وقد استعمل
الله في وصف الجنة نعتين الأول جملة اسمية (عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) والثاني جملة
فعلية (أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ).

وهذا يخالف الترتيب الذي أقره علماء النحو، فالترتيب عندهم أن نبدأ بالجملة الفعلية ثم
ننتقل إلى الجملة الاسمية، ولعل سياق الآية هنا أوجب تقديم النعت بالجملة الاسمية (عَرَضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)؛ لأنَّ المقام يستوجب حث الناس إلى المسارعة إلى المغفرة والجنة
ويكون هذا ببيان سعة الجنة أبلغ من بيان أنها أعدت للمتقين.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه، «وإذا كان وضع الجملة الاسمية على إفادة الثبوت
ووضع الجملة الفعلية على إفادة التجدد، فإنَّ الجملة الاسمية تدلُّ في ذلك على معنى أوفى
مما تدلُّ عليه الجملة الفعلية؛ ولهذا ذهب بعضهم إلى أنَّ الجملة الاسمية تفيد تأكيد المعنى
وقد تؤثر الجملة الاسمية من أجل هذا في بعض المقامات على الجملة الفعلية»²، وهذا ما
جعل المولى عزَّ وجلَّ يُؤثر الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وذلك زيادة في تأكيد
المعنى، والله أعلم .

ومن أمثلة تعدد النعت بما يخالف آراء النحاة وترتيبهم أيضا، قوله تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام/155).

ففي هذه الآية الكريمة نعت لفظ (كتاب) بالجملة الفعلية (أَنْزَلْنَاهُ)، ثمَّ بالنعت المفرد
(مباركٌ)، وقد تقدّم النعت بالجملة الفعلية على النعت بالمفرد؛ لأنه الترتيب الأنسب لسياق

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:1. ص:626-627.

² - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص: 58.

الفصل الأول:.....النعّت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم

الآية، والموافق لما تقتضيه الدلالة المرجوة، «فالوصف بالإنزال أكد من الوصف بالبركة لأنّ الكلام مع من ينكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم و ينكر إنزال الكتب، وكونه مباركا عليهم هو وصف حاصل لهم منه متراخ عن الإنزال، فلذلك تأخّر الوصف بالبركة وتقدّم الوصف بالإنزال»¹.

فالمقام إذن يستوجب إقناع المنكرين أنّ هذا الكتاب منزل من الله، فإذا اقتنعوا أصبح الوصف بالبركة واجبا ونتيجة حتمية لاقتناعهم بأنه منزل من الله، فيصبح النعت (مبارك) تأكيدا فقط، ولهذا قدّم الوصف بالإنزال على الوصف بالبركة، والله أعلم.

ولعلّ ما أوردناه حول هذه الآية يجعلنا نطرح هذا التساؤل: لم اختار الله عزّ وجلّ التعبير بالجملة الفعلية ولم يعبرّ بالمفرد؟؛ أي لم لم يقل الله سبحانه وتعالى (هذا كتاب منزل) باستعمال اسم المفعول (منزل) مكان الجملة الفعلية على اعتبار أنها تؤول به.

وقد أورد أبو حيّان إجابة لهذا السؤال وهي قوله: « أنّ الوصف بالفعل المسند إلى نون العظمة أولى من الوصف بالاسم لما يدلّ الإسناد إلى الله تعالى من التعظيم والتشريف وليس ذلك في الاسم»²؛ أي أنّ اشتغال الفعل على نون المتكلمين الدالة على الله، وهي في محل رفع فاعل تجعل التعبير به أقوى من التعبير باسم المفعول (منزل)، والذي لا يظهر فيه الفاعل.

وبذلك فقد رتبت النعوت في هذه الآية بما يخالف ترتيب النحويين، فبدئ بالجملة الفعلية التي تدلّ على أنّ القرآن منزل من الله، والتي يوجد فيها ضمير يعود على الله سبحانه (نا)، وهذا ما زادها تعظيما وشرفا، فكان لها حقّ الصدارة، ثمّ أتبع هذا بنعتٍ مفرد تأكيدا

¹ - أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط. ج:4. ص:256.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
للنَّعت بالجملة الفعلية، وهذا النَّعت هو (مُبَارَكٌ) وفي تعدد هذه النَّعوت بيان لفضل القرآن
وشرفه، كما أنَّ النَّعت المفرد جاء بعد النَّعت بالجملة الفعلية لأنَّه نتيجة له، والله أعلم.

وفي الأخير وفي ختام هذا العنصر؛ أي ما تعلَّق بتعدد النَّعوت يمكن أن نقول إنَّ
النَّعوت يجوز أن تتعدد ويكون المنعوت واحداً أو متعدداً، وقد وضع النَّحاة لهذا التعدد إذا
اختلفت أنواع النَّعوت ترتيبياً خاصاً، وقد جاء تعدد النَّعوت في المدونة متنوعاً تحكَّم السياق
في ترتيب النَّعوت فيه، فترتبت حيناً بما يناسب ما أقرَّه علماء اللغة، وترتبت أحياناً أخرى بما
يخالف هذا الترتيب، والله أعلم.

ثالثاً/ حذف النَّعت أو المنعوت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم :

1- حذف النَّعت:

إنَّ الإتيان بالنَّعت في الكلام كما أسلفنا الذكر لا يكون إلا لأغراض يوجبها السياق
الكلامي، كالتوضيح والتخصيص وغيرها من الأغراض؛ ولذلك فالأصل ألا يحذف لما
يضيفه للمعنى من دلالة، لكنَّ علماء النحو يرون أنه يمكن للنَّعت أن يحذف.

وقد قال أبو حيَّان الأندلسي في هذه المسألة: «أما حذف الوصف فالأصل فيه أن لا
يحذف، إذ جيء به في الأصل لزوال اشتراك في معرفة أو لتخصيص نكرة، لكنَّهم حذفوه
للدلالة عليه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (الأنعام/66) أي المعاندون
وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود/46)؛ أي الناجين»¹.

فالأصل إذن ألا يحذف النَّعت، لكنَّه يمكن أن يحذف في بعض السياقات، وشرط ذلك
أن يدلَّ عليه الكلام، فالآية القرآنية من سورة الأنعام تدلُّ على أن المقصود بقوله تعالى:

¹- أبو حيَّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1937.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
(قَوْمُكَ) هم الموصوفون بالمعاندة لنبي الله، وهذا ما يدلُّ عليه سياق الآية، كما أنَّ السياق في
سورة هود يدلُّ على أنَّ المقصود بكلمة أهلك هم الناجون من الغرق بعد الطوفان.

وإضافة إلى الآية السابقة من سورة الأنعام، فقد حذف النعت لدلالة السياق عليه في
الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ
أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء/160)، والمعنى «ما حرّمنا عليهم الطيبات إلا بظلم عظيم ارتكبه»¹.

فحذف النعت (عظيم) للمنعوت (ظلم) لدلالة السياق عليه، فالله لا يعاقب الناس بعقوبة
كبيرة كشف عنها قوله: (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) إلا بظلم عظيم يرتكبونه؛ ولذلك
جاز حذف النعت هنا، والله أعلم.

2- حذف المنعوت:

كما يجوز حذف النعت إذا دلَّ عليه السياق يجوز أيضا حذف المنعوت إذا دلَّ عليه
دليل، ويبقى الحذف في النعت أقلَّ من الحذف في المنعوت، وهذا ما أشار إليه ابن مالك إذ
قال:

«وما من المنعوت والنعت عَقْلَ
يجوزُ حذفُهُ وفي النعتِ يَقْلُ»².

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:2. ص:178.

² - ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص:41.

الفصل الأول:.....النعت في الربع الأول من القرآن الكريم

وتفصيل هذا الكلام أنّ المنعوت يجوز أن يُحذف إذا دلّ عليه السياق، وذلك «إذا ظهر أمره ظهوراً يستغنى معه عن ذكره فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامة، كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ (الصفات/48)»¹، فكلمة قاصرات هي نعت لحوار العين في الجنة، وقد حذف المنعوت، لأنّ السياق يدلّ عليه.

ورغم جواز حذف المنعوت إذا دلّ عليه السياق، فإنّ ذكره واجب في بعض الحالات بل إنّ الحذف يجعل الكلام غامضاً والجملة غير سليمة، وقد أشار ابن جنّي إلى هذا، فقال: «أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه. وذلك أن تكون الصفة جملة؛ نحو مررت بزید قام أخوه، ولقيت غلاماً وجهه حسن. ألا تراك لو قلت: مررت بقم أخوه أو لقيت وجهه حسن لم يحسن»².

ولا يمنع حذف المنعوت إذا كان النعت جملة فقط، بل يمنع أيضاً إذا كان شبه الجملة وقد قال ابن جنّي في هذه المسألة: «وكذلك إن كانت الصفة حرف جر أو ظرفاً لا يستعمل استعمال الأسماء، فلو قلت: جاءني من الكرام؛ أي رجل من الكرام. أو حضرنى سواك أي إنسان سواك لم يحسن»³.

فالخلاصة إذن أنّ المنعوت لا يحذف إلا إذا توفرت فيه شروط هي أن يدلّ عليه السياق، وأن يتمكن السامع من الوصول إليه انطلاقاً من المعنى، وأن لا ينعت بجملة أو شبه الجملة؛ والعلة في الشرط الأخير؛ أي امتناع حذف المنعوت إذا كان النعت جملة أو شبه

¹ - الزمخشري. المفصل. ص: 163.

² - ابن جنّي أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية. مصر. دط. دت. ج: 2. ص: 366.

³ - المصدر نفسه. ص: 368.

الفصل الأول:.....النَّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

الجملة، هو « أنَّ القائم مقام الشيء ينبغي أن يكون مثله، والجملة مخالفة للمفرد الذي هو الموصوف، وكذا الظرف والجار والمجرور»¹.

ومن خلال هذا يتَّضح أنَّ حذف المنعوت لا بد له من شرطين، الأوَّل هو كون المنعوت قد ظهر أمره ومعناه من سياق الكلام، والثاني هو أن لا يكون النَّعت جملة أو شبه الجملة.

ورغم أنَّ الاتفاق بين العلماء قائم على هذه الشروط في جواز حذف المنعوت، فإنَّ بعض علماء النحو ذهبوا إلى جواز حذف المنعوت، وإنَّ كان النَّعت جملة أو شبه الجملة بشرط «أنَّ يكون المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ (من) أو (في)، كما في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء/46)، وتقدير المحذوف: (قوم يحرفون) فالنَّعت في الآية جملة»²، وقد حققت كلمة (قوم) وهي المنعوت شروط الحذف فالسياق يدلُّ عليها، كما أنَّها بعض من (الذين هادوا) وقد جرَّ بـ (من).

وفي الأخير نستنتج أنَّ النَّعت والمنعوت يمكن أنَّ يحذفوا من الكلام إذا دلَّ عليهما السياق أما حذف النَّعت فهو قليل؛ لأنَّ الغرض من الإتيان به هو التخصيص والإيضاح، وبحذفه لا يتحقق هذا الغرض أما المنعوت فيحذف بشروط هي أن يكون النَّعت مفرداً، فإنَّ كان جملة أو شبهها، فيمكن حذفه شرط أنَّ يكون بعض ما قبله مجروراً بـ (من) أو (في).

أما حذف المنعوت في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله، فقد ورد وفق صورتين، الصورة الأولى هي حذف المنعوت الذي يكون مصدراً، فينوب عنه النَّعت، وهو كثير في المدونة فقد ورد في ثمانية عشر (18) موضعاً، ومن أمثلته قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة/35).

¹-الأسترابادي . شرح الكافية في النحو . ج:3. ص:54.

²- جميل أحمد ظفر. النحو القرآني. ص:472.

الفصل الأول:.....النَّعْتِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

و تصف لنا هذه الآية إسكان الله لآدم عليه السلام وزوجه حواء الجنة، وبيان لنعمه الكثيرة عليهما. ومن نعم الله على آدم وزوجه أنه جعل طعامهما رغداً، «والرغد وصف الموصوف دلّ عليه السياق أي أكلا رغداً، والرغد الهنيء الذي لا عناء فيه ولا تقشير»¹.

وبذلك فقد نعت الله أكل آدم وزوجته في الجنة بالرغد فذكر النَّعْتِ (رغداً) وحذف المنعوت (أكلًا) وذلك لدلالة السياق عليه.

ومن أمثلة هذه الصورة من حذف المنعوت أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء/142).

والتقدير «ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في الذرة»² وفي هذه الآية نعت الله ذكر المنافقين بالقلّة، فقال (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)، فذكر النَّعْتِ (قليلا) وحذف المنعوت (ذكرا) وذلك لدلالة السياق عليه.

أما الصورة الثانية لحذف المنعوت فهي حذفه دون أن يكون مصدرا، وذلك لدلالة السياق عليه وقد وردت في ثمان (08) آيات منها قوله تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء/46).

والتقدير «ومنهم فريق»³ ، وتصبح الآية (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا (فريق) يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)، فنعت لفظ (فريق) المحذوف بالجملة الفعلية (يُحَرِّفُونَ).

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:1. ص:432.

² - الزمخشري. الكشاف. ج:2. ص:167.

³ - ابن عاشور. المصدر السابق. ج:5. ص:74.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
ومن أمثلة هذه الصورة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ﴾ (النساء/159).

والتقدير «وما أحدٌ من أهل الكتاب»¹، فقد حذف المنعوت (أحدٌ) وذكر النعت (من أهل
الكتاب).

وبهذا الشاهد نصل إلى نتيجة هي أنّ النّعت والمنعوت قد حذفوا في الرَّبْع الأوَّل من
القرآن الكريم، لدلالة السياق عليهما، والله أعلم.

رابعاً/ الفصل بين النّعت والمنعوت :

قد يُفصل بين النّعت والمنعوت، ومن الأمور التي يجوز الفصل بها بينهما:

1- الفصل بالجملة الاعتراضية:

ومن أمثلة هذا «قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة/76)، ففصل بين
القسم وصفته، وهو عظيم بقوله: لو تعلمون؛ لأنّ تقدير الكلام: لو تعلمون ذلك لتبينتم أنّه
عظيم»²، فكانت الجملة الاعتراضية (لو تعلمون) فاصلاً بين النّعت (عظيم) والمنعوت
(قسم).

2- الفصل بالمبتدأ والخبر:

إضافة إلى الجملة الاعتراضية فإنّه يجوز أن يفصل بين النّعت والمنعوت بالمبتدأ
والخبر، ومثال المبتدأ «قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (إبراهيم/10)

¹ - أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:407.

² - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:221.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
والخبر نحو: زيْدٌ قائمٌ العاقلُ»¹، فقد فصل بين المنعوت (الله) والنعْت (فاطر) بالمبتدأ (شكُّ)
كما فصل بين المنعوت (زيْدٌ) والنعْت (العاقلُ) بالخبر (قائمٌ).

3- الفصل بالمقسم به وجوابه:

يجوز أن يفصل بين النعت والمنعوت بالمقسم، وذلك «نحو: قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (سبأ/03)»²، فقد فصل بين النعت (عالم) والمنعوت (رَبِّي)
بجملة القسم (لَتَأْتِيَنَّكُمْ).

4- الفصل بالفاعل:

يعد الفاعل واحدا من الأمور التي يجوز أن تقع بين النعت والمنعوت، وذلك كما «في
قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ
قَبْلُ﴾ (الأنعام/158)»³، فالمنعوت هو كلمة (نفسًا) أما النعت، فهو الجملة (لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ
قَبْلُ) وقد فصل بينهما بفاعل الفعل ينفع (إيمانها).

5- الفصل بمعمول النعت:

ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا
يَسِيرٌ﴾ (ق/44)، فـ(علينا) معمول لـ (يسير)، وقد فصل بين النعت والذي هو (يسير)
والمنعوت الذي هو (حشر)»⁴.

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1935.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

³ - جميل أحمد ظفر. النحو القرآني. ص:466.

⁴ - المرجع نفسه. ص:467.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

6- الفصل بالاستثناء:

إضافة إلى الأمور السالفة الذكر، فإنَّ يجوز أن يكون الاستثناء فاصلاً بين النِّعْت والمنعوت، ومثال ذلك «مَا جَاءَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ»¹، فقد فصلَ بين المنعوت (أَحَدٌ) والنعْت (خَيْرٌ) بالاستثناء (إِلَّا زَيْدٌ).

وتجدر الإشارة في ختام الحديث عن الفصل بين النِّعْت والمنعوت، أنَّ النِّعْت إذا كان «لمبهم، فلا يجوز الفصل بينهما، فلو قلت: ضربَ هذا الرجلُ زيداً، لم يجز: ضربَ هذا زيداً الرجلُ»²، لأنَّ المنعوت في هذا المثال هو لفظ اسم الإشارة (هذا) وهو من الأسماء المبهمة. ورغم أنَّ العلماء أجازوا أن يفصل بين النِّعْت والمنعوت، إلا أنَّ هذه الظاهرة قليلة جداً في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم، ومن مواضعها قوله تعالى:

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿138﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (النساء/138-139).

ففي هذه الآية نُعْت لفظ (المنافقين) باسم الموصول (الذين) في قوله: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)، وقد فصل بين النِّعْت والمنعوت بقوله: (بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)، وهذه الجملة لها علاقة بالفعل (بَشِّرْ) الذي سبق لفظ المنعوت (المنافقين).

والفصل هنا بين النِّعْت والمنعوت كان بقوله (بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)؛ وذلك لأنَّ قوله: (بِأَنَّ) متعلِّق بالفعل (بَشِّرْ)، والجار والمجرور (لَهُمْ) في محل رفع خبر أنَّ مقدَّم، وعذابا هو

¹- أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب المصدر من لسان العرب. ج:4. ص:1935.

²- المصدر نفسه. ص:1936.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
خبرها، وقد جاء منعوتاً بالنعْت المفرد (عظيماً)¹، وجاء الفصل بين النعْت والمنعوت في هذه
الآية بمتعلّق العامل في النعْت، وهو الفعل (بشّر).

خامساً/ تقدّم النعْت على المنعوت:

لقد أوردنا في المدخل أنّ التابع لا يتقدّم على متبوعه، وكذلك النعْت يمتنع أن يتقدّم
على المنعوت، وذلك لسببين «أولهما أنّ الصفة تابعة للموصوف ولا تتقدّمه، فيكون تابعا لها
وينطلق عليها العامل دونه، والثاني أنّ في الصفة ضميرا يعود على الموصوف، فإنّ تقدّمت
لم يعد الضمير على مذكور»²، فلا يمكن أن يتقدّم النعْت على المنعوت؛ لأنّه لا يمكن أن
يتقدّم التابع على المتبوع كما لا يتقدّم الضمير على عائده.

وفي بعض الأحيان قد يتقدّم لفظ النعْت على لفظ المنعوت، وفي هذه الحالة لا يعرب
نعْتاً، بل يصبح حالاً أو بدلاً، فلو «تقدّم ما لو تأخر لكان وصفاً، فالفصيح انتصابه على
الحال، وإن كان معرفة وصلحت الصفة لمباشرة العامل كان الذي يكون موصوفاً لو تقدّمت
بدلاً»³، والنتيجة هي أنّ النعْت لا يتقدّم على المنعوت، فإنّ تقدّم تغبّر شكل الجملة وتركيبها
وإعراب كلّ من النعْت والمنعوت إلى الحال أو البذل.

¹ - انظر: محيي الدين الدرويش. إعراب القرآن وبيانه. دار اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد. سوريا، لبنان. ط: 7.
1999. ص: 132.

² - علي بن سليمان الحيدرة. كشف المشكل في النحو. ص: 385.

³ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1929.

الفصل الأول:.....النعْت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وفي ختام هذا الفصل وانطلاقاً مما قمنا بعرضه وتحليله سواء ما تعلّق بأراء علماء النحو والبلاغة أم ما تعلّق باستعمال النّعت في آيات الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم يمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- تنوع استخدام النّعت في الرَّبْع الأوَّل بين المفرد والجملة وشبه الجملة، وكان منه الحقيقي والسببي.
- أكثر أنواع النّعت استخداماً في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله هو النّعت الحقيقي، وكان النّعت المفرد أكثر أنواع النّعت الحقيقي وروداً.
- تنوع النّعت المفرد بين المشتق والجامد، وكان هذا الاختيار متعمداً يتناسب مع الغرض منه، ومناسباً لسياق الآية.
- استخدمت المشتقات المختلفة (اسم فاعل، واسم مفعول، وصفة مشبّهة، وصيغة مبالغة، واسم تفضيل)، وكان استعمالها مناسباً لدلالة كلّ مشتق، كما أنّها دلّت على معانٍ إضافية بعد استعمالها الفعلي في الآيات القرآنية.
- تعدد النّعت في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم، وقد رتبت النّعوت بما يوافق آراء النّحاة في مواضع، وبما يخالفها في مواضع أخرى، وجاء الترتيب بما يناسب الدلالات التي يقتضيها السياق.
- يجوز حذف النّعت أو المنعوت إذا دلّ عليهما السياق، وهذا ما وقفنا عليه في بعض آيات الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم.
- يجوز الفصل بين النّعت والمنعوت ببعض الأمور كالجملّة الاعتراضية والمبتدأ والخبر وغيرها.

الفصل الأول:.....النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم

- استعمل النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم لأغراض بلاغية مختلفة

كالتوضيح والتخصيص والمدح والذم والتوكيد وغيرها من الأغراض التي يحددها

السياق الذي يرد فيه النّعت، والله أعلم.

✍️ الفصل الثاني: التوكيد في الرَّبْع الأوَّل من

القرآن الكريم

المبحث الأوَّل: التوكيد مفهومه وأنواعه:

أولاً/ مفهوم التوكيد.

ثانياً/ أنواع التوكيد.

ثالثاً/ التطابق بين التوكيد والمؤكِّد.

المبحث الثاني: صور التوكيد وأغراض استعماله

في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم:

أولاً/ أنواع التوكيد في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

ثانياً/ تعدد التوكيد في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

ثالثاً/ تقديم التوكيد على المؤكِّد وحذفه والفصل


بينهما.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

لقد تمّ الحديث في الفصل الأول عن أول أنواع التوابع ، وهو النّعت وذلك بالحديث عن أنواعه وأغراضه، وعلاقته مع المنعوت من حيث التقديم والتأخير والحذف والفصل بين النّعت والمنعوت، وقد أسقطنا هذا الكلام على النّعت في المدونة موضوع الدراسة (الربع الأول من القرآن الكريم)، ووقفنا بشكل جليّ على أنّ النّعت قد استخدم في هذه المدونة بشكل موسّع، ولأغراض مختلفة منها التوضيح، والتخصيص والمدح والذم والتوكيد وإنما حددنا هذه الأغراض انطلاقاً من السياقات المختلفة للآيات.

أما هذا الفصل فسيتم التطرق فيه - إن شاء الله- لثاني أنواع التوابع وهو التوكيد وهو يضم مبحثين، أما الأول فسنحدث فيه عن مفهوم التوكيد في معاجم اللغة وعند علماء النحو إضافة إلى التفصيل في نوعيه (اللفظي، والمعنوي)، وسنقف بعدها على أوجه التطابق بين التوكيد والمؤكّد؛ أي ما يتبع فيه التوكيد المؤكّد.

أما المبحث الثاني، فسنقف فيه على صور التوكيد في الربع الأول من الذكر الحكيم متتبعين أغراضه، جامعين بين الشق النحوي من خلال بيان أشكاله النحوية، والشق البلاغي من خلال بيان سرّ البلاغة والأغراض التي يدلّ عليها السياق، بداية بالتطرق إلى التوكيد اللفظي وانتهاءً بدراسة التوكيد المعنوي، كما سننتظر في ثنايا هذا الفصل إلى بعض المسائل الخلافية المرتبطة بالتوكيد، وذلك عن طريق عرض آراء النحاة البصريين والكوفيين فيها كالمسألة المتعلقة بتوكيد الضمير، وغيرها من المسائل، بمشيئة الله.

المبحث الأول: 

التوكيد مفهومه وأنواعه

أولا/ مفهوم التوكيد:

1- التوكيد لغة:

لقد تناول علماء اللغة مادة (أ ك د) في معاجمهم وقاموا بمعالجتها، وقد تتبعناها في بعض هذه المعاجم فوجدنا في القاموس المحيط: «أَكَّدَ الحنطة داسها وَأَكَّدهُ تَأَكِّدًا وَكَّدهُ والأكيد الوثيق»¹، فمن معاني أَكَّدَ حسب القاموس المحيط دوس الحنطة والوثوق.

أما ابن منظور في لسان العرب فلم يبتعد عمّا ذهب إليه الفيروزأبادي من معان، وإن أشار إلى الفرق بين (أَكَّدَ) و(وَكَّدَ)، إذ هما عنده لغتان لمعنى واحد، فهو يقول: «أَكَّدَ العهد والعقد: لغة في وَكَّدهُ ، وقيل هو بدل والتأكيد لغة في التوكيد، وقد أَكَّدت الشيء ووكَّدته، ابن الأعرابي: دست الحنطة ودرستها وأكَّدها»².

والملاحظ أنّ هذه المعاجم القديمة أوردت لمادة (أ ك د) معان مختلفة هي: دوس الحنطة، كما جاء في القاموس المحيط ولسان العرب، إضافة إلى ما أشار إليه ابن منظور وهو يورد المعنى اللغوي للكلمة إلى الفرق بين كلمتي (تأكيد، وتوكيد)، فهما إمّا لغتان في كلمة واحدة، أو أنّ الهمزة في (أَكَّدَ) أبدلت (واوا) فأصبحت (وَكَّدَ).

أمّا في المعاجم الحديثة فقد جاء في المعجم الوسيط «أَكَّدَ الشيء أَكَّدًا وثَّقَه وأحكمه وقرره فهو أكيد، أَكَّده تَأَكِّدًا، يقال: قول مؤكَّد، ويمين مؤكَّده»³.

وبما أوردته المعجم الوسيط يمكن جمع المعاني اللغوية لكلمة (توكيد) في:

¹ - الفيروزأبادي. القاموس المحيط. مادة (أ ك د). ج: 1. ص: 262.

² - ابن منظور. لسان العرب. مادة (أ ك د). مج: 3. ص: 74.

³ - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (أ ك د). ص: 22.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

- دوس الحنطة ودرسها.

- الوثوق والتوثيق والإحكام والتقرير.

ومما أشارت إليه هذه المعاجم أيضا أن كلمتي تأكيد وتوكيد هما لغتان لكلمة واحدة في رأي بعض العلماء، وإبدالاً للهمزة إلى (واو) في رأي طائفة أخرى من العلماء.

2- التوكيد في الاصطلاح:

التوكيد أو التأكيد هل هما لفظان يدلان على مصطلح واحد، أم أنّ هناك اختلافا بينهما؟ هذه قضية من بين القضايا التي انطلق علماء النحو منها، وهم يفصلون في مصطلح (التوكيد)، فقد تحدثوا عن الأصل اللغوي لهذا المصطلح، كما أنهم ناقشوا قضية أيّ المصطلحين أكثر استخداما.

فالتوكيد والتأكيد كما أورد ابن يعيش في شرح المفصل: «لغتان وليس أحد الحرفين بدلا من الآخر، لأنهما يتصرفان تصرفا واحدا، ألا تراك تقول: أَكَّدَ يُؤَكِّدُ تَأَكِّدًا (وَكَّدَ يُؤَكِّدُ تَوَكِّدًا)، ولم يكن أحد الاستعمالين أغلب فيجعل أصلا، فلذلك قلنا أنّهما لغتان»¹.

والواضح من خلال هذا أنّ ابن يعيش يميل إلى كون كلمتي (توكيد) و(تأكيد) لغتان لكلمة واحدة وليستا من باب إبدال حرف مكان حرف، وحقته في ذلك أنّ كلّ كلمة تحافظ على تصريفاتها وإنّ تغيرت صيغتها بين الماضي والمضارع والمصدر (أكَّدَ يُؤَكِّدُ تَأَكِّدًا) و(وكَّدَ يُؤَكِّدُ تَوَكِّدًا)، وإضافة إلى هذا فقد رفض أنّ يُغلب صيغة على الأخرى فيجعلها أصلا؛ لأنّه لا توجد صيغة أكثر استعمالا من الأخرى.

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج : 2. ص: 219.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد وافق السيوطي ابن يعيش في طرحه هذا، فالتوكيد عنده «مصدر وكَّدَ والتأكيد مصدر أكَّدَ لغتان»¹.

أما الدكتور هادي نهر فرغم انطلاقه من أنّ التوكيد والتأكيد لغتان، فقد ذهب إلى أنّ (الواو) أفصح وبها جاء القرآن، قال الله تعالى: «بَعَدَ تَوَكُّدِهَا» ﴿النحل/19﴾²، وهو بهذا يجعل كلمة (توكيد) أفصح في الاستعمال من كلمة (تأكيد) لورود هذا الاستعمال في القرآن الكريم.

فإذا جمعنا هذه الآراء يمكن أن نقول إنّ كلمتي (التوكيد) و(التأكيد) لغتان، وأنّ لفظ (توكيد) أفصح لورود استعماله في القرآن الكريم، وأما إذا أردنا معرفة أيّهما أوسع في الاستعمال، فلا توجد صيغة منهما أكثر استعمالاً من الأخرى فتغلب.

هذا فيما يخص الأصل اللغوي لكلمة توكيد أما في الاصطلاح، فقد جمّع العلماء في وضع حدٍ للتوكيد بين الناحية التركيبية الإعرابية؛ أي كونه تابعا من التوابع، وبين الناحية الدلالية والمعاني التي يضيفها استخدام التوكيد في الجملة.

فهو عند ابن جني: «لفظ يتبع الاسم المؤكّد (في إعرابه) لرفع اللبس وإزالة الاتساع»³ وبهذا نجد ابن جني يركّز في تعريفه للتوكيد على كونه تابعا، فينطبق عليه بذلك ما ينطبق على التوابع من تبعية الاسم الذي قبله في إعرابه، كما أنه أورد في تعريفه وظيفة التوكيد في الكلام من رفع للبس وإزالة للاتساع.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 197.

² - هادي نهر. شرح للمحة البدرية. ج: 2. ص: 285.

³ - ابن جني. اللّمع في العربية. ص: 66.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

ولم يزد الزجاجي على تعريف ابن جنى للتوكيد، فهو عنده «لفظ يراد به تثبيت المعنى في النفس وإزالة اللبس عن الحديث أو المُحدّث عنه»¹، والتعريف يكشف عن تركيز الزّجاجي في تطرقه للتوكيد على وظيفته في الكلام، فهو إما لتثبيت المعنى في النفس أو لإزالة اللبس عن الحديث أو المُحدّث عنه.

وخلاصة القول إنّ التوكيد هو لفظ يتبع ما قبله في إعرابه هذا من الناحية الشكلية التركيبية، أما من الناحية الدلالية، فوظيفته تثبيت المعنى في نفس السامع، أو إزالة اللبس عن الكلام، أو إزالة الاتساع الوارد فيه.

ثانيا/ أنواع التوكيد:

لقد بيّنا في العنصر السابق أنّه يُؤتى بالتوكيد في الكلام لتثبيته في نفس السامع أو إزالة اللبس أو الاتساع، وقد أورد علماء اللغة أنّ هذا لا يكون إلا بإعادة لفظ المؤكّد أو باستعمال أفاظ خاصة للتوكيد، ومن هذا المنطلق قسّموا التوكيد إلى نوعين، هما التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي:

1- التوكيد اللفظي:

ويكون هذا النوع من التوكيد بإعادة المؤكّد بلفظه أو بمرادفه، وقد أورد أبو حيّان أنّ هذا النوع من التوكيد لا يختص بالمعرفة دون النكرة أو العكس، إذ قال: «وهذا النوع يكون في المعرفة والنكرة»²، وهذا أوّل فرق بينه وبين ما يُسمى بالتوكيد المعنوي، والذي سنفصّل الحديث فيه لاحقا، بإذن الله .

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 262.

² - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1957.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

إضافة إلى هذا فالتوكيد اللفظي لا يخص نوعا واحدا من الألفاظ، بل يكون في الاسم سواء كان اسما ظاهرا أم ضميرا، ويكون في الفعل، كما يكون في الحرف والجملة «فالظاهر نحو: (جَاءَ عَلِيٌّ عَلِيًّا)، والضمير نحو: (جِئْتَ أَنْتَ)، و(قمنا نحن)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/35)، والفعل نحو (جَاءَ جَاءَ عَلِيًّا) والمرادف نحو: (جَاءَ أَتَى عَلِيًّا)¹.

فالتوكيد اللفظي إذن كما تبيّنه الأمثلة السابقة يكون بإعادة اللفظ المؤكّد كما في الأمثلة الأولى على اختلاف نوع هذا المؤكّد (اسم، وفعل، وضمير، وجملة) كما يكون التوكيد اللفظي أيضا بمرادف المؤكّد كما جاء في المثال الأخير.

والتوكيد اللفظي كما تبيّن «جار في كلّ شيء في الاسم والفعل والحرف والجملة والمظهر والمضمر، تقول: (ضَرَبْتُ زَيْدًا زَيْدًا)، و(ضَرَبْتُ ضَرَبْتُ زَيْدًا)، و(إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقًا)، و(جَاءَنِي زَيْدٌ جَاءَنِي زَيْدًا)، و(مَا أَكْرَمَنِي إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ)²، فقد كرر الاسم (زَيْدًا) والفعل (ضَرَبْتُ)، والحرف (إِنَّ)، والجملة (جاءني زيد)، والضمير (أنت) توكيدا لها، وهي توكيد لفظي.

وإضافة إلى كون التوكيد اللفظي جار في الأسماء والأفعال والحروف والجملة، فهو يجري كذلك على المضمر والمظهر، وقد فصلّ الزمخشري في حالات توكيد الظاهر وحالات التوكيد به، وحالات التوكيد بالضمير وتوكيده، إذ قال: «يُؤكّد المظهر بمثله لا بالمضمر، والمضمر بمثله وبالمظهر جميعا، ولا يخلو المضمران من أن يكونا منفصلين

¹ - مصطفى غلابيني. جامع الدروس العربية. ج: 3. ص: 232.

² - الزمخشري. المفصل. ص: 157.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم
كقولك: (زَيْدٌ قَامَ هُوَ) و(انطَلَقَتْ أَنْتَ)، وكذلك (مررتُ بِكَ أَنْتَ)، و(بِهِ هُوَ)، و(بِنَا نَحْنُ)
و(رَأَيْتَنِي أَنَا)¹.

إذن فالتوكيد يشمل الأسماء الظاهرة والضمائر، أما الأسماء الظاهرة فلا تُؤكَّد إلا بأسماء ظاهرة مثلها، أما الضمائر فهي تُؤكَّد بالضمائر وبالأسماء الظاهرة، كما يُؤكَّد الضمير المنفصل بمنفصل، كما في قوله: (مَا ضَرَبَنِي إِلَّا هُوَ هُوَ) ويؤكَّد الضمير المتصل بالمنفصل كما في قوله: (زَيْدٌ قَامَ هُوَ، وانطَلَقَتْ أَنْتَ).

2- التوكيد المعنوي:

وهو النوع الثاني من أنواع التوكيد، ويكون بألفاظ مخصوصة، وإذا كان التوكيد اللفظي في النكرة والمعرفة معا، فإنَّ المعنوي «يكون في المعرفة دون غيرها»² ولعلَّ السؤال الذي يُطرح هنا: لِمَ تُؤكَّد الأسماء المعرفة بألفاظ التوكيد المعنوي رغم ما عُرِف من وضوح المعرفة، وأنَّ الغرض من التوكيد رفع اللبس؟.

والإجابة هي أنَّ «العرب تستعمل المجاز في كلامها حتى إنهم يقولون: (مررتُ بفلانٍ)، وربما مرُّوا بِدَارِهِ، و(جَاءَنِي فُلَانٌ)، وربما جاءهم غلامه، فإنَّ قَالاً قائل: (جَاءَنِي زَيْدٌ)، فيظن ظان في نفسه ما جرت عاداتها من التوسع والمجاز، فإنَّ قال: (جَاءَنِي زَيْدٌ نَفْسُهُ) ارتفع ذلك اللبس، وعلم يقينا أنَّه جاء لا غيره، فالتوكيد على هذا يرفع اللبس الواقع في كلام العرب»³.

¹ - الزمخشري. المفصل. ص: 157.

² - الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللمع لابن جني. ص: 278.

³ - المرجع نفسه. ص: 278-279.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وبذلك كان الغرض من توكيد المعارف حسب ما سبق إزالة اللبس والتوسع الناتج عن استعمال المجاز في اللغة العربية، والتوكيد المعنوي لا يكون إلا بألفاظ خاصة وهي: نفس وعين، وكلا ، وكلتا، وكلّ، وجميع، وعامة، وأجمع، وأكتع، وأبصع، وأبتع، وسنقف - بمشيئة الله وتوفيقه - عند كل لفظ واستعمالاته في الربع الأول من القرآن الكريم، وذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ثالثاً/ التطابق بين التوكيد والمؤكّد:

إذا أردنا دراسة التطابق بين التوكيد ومتبوعه، فلا بد أن نفرّق بين التوكيد اللفظي والمعنوي، ففي التوكيد اللفظي «تكون التبعية عامة ومطلقة، إذ ليس ثمة إلا تكرار المتبوع اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً نكرة كان هذا الاسم أو معرفة»¹، أي أنّ لفظ التوكيد يتبع لفظ المؤكّد في الإعراب والعدد والجنس والتعريف والتكثير.

أما التوكيد المعنوي، فإنّ ألفاظه لا بد أن تتبع لفظ المؤكّد في مجموعة من الأمور «فالواجب أن يكون المؤكّد (التوكيد) يتبع المؤكّد في تسعة أشياء: في رفعه ونصبه وجره وتوحيده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه وتعريفه»²، فهو بذلك يتبعه في إعرابه وعدده وجنسه وتعريفه.

وإذا كان النعت يقطع إعرابياً عن المنعوت إذا كان المقام للمدح أو الذم ففي التوكيد «يُجمع النّحاة على أنّ القطع الإعرابي لا يكون في التوكيد، على خلاف الغرض من القطع الإعرابي الذي يكون إما للمدح أو الذم»³، إذ الغرض كما أوردنا إزالة اللبس والتوسع.

¹ - عادل خلف. نحو اللغة العربية. مكتبة الآداب. مصر. دط. 1994. ص: 210.

² - علي بن سليمان الحيدرة اليمني. كشف المشكل في النحو. ص: 406.

³ - انظر: الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 102.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

والى جانب الإعراب، فإنّ التوكيد المعنوي يتبع متبوعه في عدده وجنسه، فللمفرد المذكر نستعمل (نفس، وعين، وكلّ، وأجمع، وأكتع، وأبصع وأبتع)، «وللمؤنثة: (نفسها عينها جمعاء كتعاء بصعاء بتعاء)، وللاثنتين: (أنفسهما أعينهما كلاهما) (وللجمع): (أنفسهم أعينهم كلهم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون) وللمؤنثات: (أنفسهن أعينهن كلهن جُمع كُتّع بُتّع بُتّع)¹، وهذه هي تصريفات ألفاظ التوكيد المعنوي.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ ألفاظ التوكيد معارف؛ لأنّ المؤكّد لا يكون كما أسلفنا إلى معرفة، وهي إما «معارف بذاتها، أو بإضافتها إلى الضمير المطابق للمؤكّد»².

أما الألفاظ المعرفة بإضافتها للضمير المطابق للمؤكّد، فهي (نفس، وعين، وكلّ، وكلا وكتا)³، وأما المعرفة بذاتها، فهي الألفاظ المتبقية، وقد فسّر علماء النحو تعريفها بتفسيرين «الأوّل جعل تعريفها بنية الإضافة؛ لأنّك إذا قلت: (قبضَ المالَ أجمَع)، فمعناه أجمَعه»⁴ أما الثاني، فجعل تعريفها «بالعلمية لأنها أعلام للتوكيد علقت على معنى الإحاطة»، فهي لا تستعمل إلا في هذا المعنى.

كما تجدر الإشارة هنا أيضا أنّه ورغم أنّ الأصل في التوكيد المعنوي أنّ يكون للمعارف، فإنّ «الكوفيين أجازوا تأكيد المنكر إذا كان معلوم المقدار أو مؤقتا كدرهم ودينار ويوم وليلة وشهر، بـ(كلّ) وأخواتها لا بالنفس والعين»⁵، وبذلك أجازوا توكيد النكرة

¹ - هادي نهر. شرح اللحة البدرية. ج:2. ص:293.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج:3. ص:522.

³ - انظر: ص: 169، و174، و176. من هذا البحث.

⁴ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:272.

⁵ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:202.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

المعلومة المقدار والزمن بلفظ من ألفاظ الإحاطة والشمول، لأنها تشبه المعرفة في كونها معلومة المقدار.

وخلاصة ما قيل أنّ التوكيد المعنوي يتبع الاسم المؤكّد في الأصل في إعرابه وعدده وجنسه وتعريفه، وهو في الأصل لتوكيد المعارف بألفاظ مخصوصة، يستثني من ذلك ما أجازه الكوفيون من توكيد النكرة بألفاظ الإحاطة والشمول إذا كانت معلومة المقدار والزمن والله أعلم.

ونصل في ختام هذا المبحث إلى أنّ التوكيد نوعان توكيد لفظي، وتوكّد به المعرفة كما توكّد به النكرة، وهو لتوكيد الأسماء، والأفعال، والحروف، والجمل، ويكون بتكرار المؤكّد بلفظه أو بمعناه، وتوكيد معنوي وهو خاص بالمعارف فقط، ويكون بألفاظ محددة ذكرناها سابقاً، وسنفصل الحديث عنها أكثر في المبحث الثاني، بمشيئة الله.

المبحث الثاني: 

صور التوكيد وأغراض استعماله في الرَّبْع
الأوّل في القرآن الكريم.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

أولا/ أنواع التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم:

بعدما تناولنا في المبحث الأول مفهوم التوكيد وأبرزنا وحددنا أنواعه، أي ما يتعلق بالتوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، سنقوم في هذا المبحث - بعون الله - بالوقوف على مواضع استعماله وأشكاله في الربع الأول من كتاب الله، ولعلّ أول ملاحظة لفتت انتباهنا ونحن نقوم بتتبع التوكيد في هذا الربع من القرآن الكريم أنه لم يرد بصورة كثيفة كما ورد النعت.

فقد ورد التوكيد بنوعيه إحدى وثلاثين (31) مرة، منها خمس وعشرون (25) مرة في صورة توكيد لفظي وست (06) مرات في صورة توكيد معنوي، أما التوكيد اللفظي فقد أُكِّد به الظاهر كما أُكِّد به الضمير سواءً كان هذا الضمير مستترا أم متصلا، أما التوكيد المعنوي فقد استعملت فيه ألفاظ سببها في هذا المبحث، إن شاء الله.

1- التوكيد اللفظي:

إنّ التوكيد اللفظي كما أسلفنا يكون بإعادة اللفظ اسما كان أو فعلا أو حرفا أو جملة وقد ورد هذا النوع من التوكيد في الربع الأول من كتاب الله في خمسة وعشرين (25) آية وذلك وفق صور نحوية مختلفة، فقد أُكِّد الظاهر كما أُكِّد الضمير، وكان ذلك لأجل أغراض مختلفة.

فلا يرد التوكيد في الكلام عبثا، بل يُؤتى به بعد الاسم المؤكِّد من أجل أغراض بلاغية مختلفة، فهو يستعمل في تثبيت المعنى و«تحقيق مفهومه ومدلوله أعني جعله مستقرا محققا

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

ثابتا بحيث لا يُظن به غيره نحو: جاءني زيدٌ زيدٌ إذا ظن المتكلم غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه، أو عن حملة على معناه»¹.

وقد ورد التوكيد في الربع الأول من كتاب الله في مواضع كثيرة، ولأغراض مختلفة وذلك وفق هذه الأنماط والصور النحوية:

النمط الأول: توكيد الظاهر:

لقد تتبعنا هذا النوع من التوكيد في الربع الأول، فوجدنا أن أكثر ما كرر فيه الجمل ولذلك أحصينا في المدونة هذا النوع في عشر (10) آيات، ومن أمثلته قوله تعالى:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (149) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة/149-150).

وقد كرر الخطاب القرآني الجملة: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) تأكيدا لها، وقد فصل بين المؤكّد والتوكيد بقوله: (وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ).

وفي هذه الآية أمرٌ من الله لعباده باتخاذ المسجد الحرام قبلةً لهم، وتكرار هذه الآية أدى إلى توكيد الأمر «وتقرير نسخ استقبال بيت المقدس، لأنّ النسخ هو من مظان الفتنة والشبهة وتزيين الشيطان للطعن في تبديل قبلة بقبلة إذ كان ذلك صعبا عليهم»²، فلما كان هذا الأمر

¹ - التفتازاني سعد الدين. مختصر المعاني. دار الفكر. بيروت- لبنان. دط. 2004. ص: 59.

² - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 1. ص: 613.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

يحتمل الشبهة والالتماس ووسوسة الشيطان استعمل الخطاب القرآني هذا التوكيد تقريراً للأمر وإزالة للشك واللبس.

وهذا الاستعمال للتوكيد في الآية القرآنية الكريمة يبيّن أنّ التوكيد يستخدم في سياقات خاصة تُلزم المتكلم على تكرار اللفظ لتبيينه للسامع، تقريراً له وثبتاً في ذهنه، وإيعاداً لكلّ شك أو إبهام¹، فقد كرر الله عزّ وجلّ هذه الجملة تقريراً لحكم تغيير القبلة وثبتاً له في ذهن النبي صلى الله عليه وسلّم، ومن خلاله في ذهن المسلمين جميعاً، والله أعلم.

وهذا النوع من التوكيد؛ أي التوكيد اللفظي إضافة إلى كونه موضحاً ومزيلاً للتوهم فإنّ تكرار لفظ المؤكّد نفسه يجعل له وظيفتين خاصة إذا تعلّق الأمر بالقرآن الكريم والشعر أما الوظيفة الأولى فهي تتعلّق بالجانب المعنوي؛ أي تثبيت المعنى وتقريره، أما الثانية فهي مرتبطة بالجانب الأسلوبي وتفصيل ذلك أنّ «الأولى أو المعنوية فهي التوكيد، أما الثانية فهي تنغيمية موسيقية تؤدّيها الأصوات والمقاطع المكررة في الكلمات أو في الجمل»².

وهذا ما نجده ونحن نقرأ آيات القرآن الكريم التي يكون فيها تكرار، فنجد فيها إضافة إلى البيان والوضوح وقوة المعنى- والذي ينتج عن التكرار- نجد نغماً موسيقياً جميلاً، وهذا ما أحدثه تكرار الجملة (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) في الآية السابقة.

ولعلّ السياق الذي ذكر فيه التوكيد في هذه الآية الكريمة يذكرنا بما سمّاه البلاغيون أضرب الخبر، فالخبر لا يرد إلا مراعاة للحالة النفسية للمُخاطَب بين جاهل به غير متردد فيه أو منكر له، وبين متردد أو منكر.

¹ انظر: محمد أحمد نحلة. في البلاغة العربية (علم المعاني). دار المعرفة. مصر. دط. 2002. ص:66.

² - سناء حميد البياتي. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. ص:260..

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

فالخبر يكون ابتدائياً إذا كان المُخاطب خالي الذهن، ولهذا لا يحتاج المتكلم إلى تأكيد الكلام، ومن أمثله قول أبي تمام:

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَكْدَى الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحَبَا هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ

أما إذا كان المُخاطب مترددا في الخبر، فلا بد للمتكلم من استعمال مؤكد، فإذا كان واحداً، فالخبر طلبي، ومن أمثله قول لبيد: " إنَّ المنايا لا تطيش سهامها " .

فإن كان منكرًا لمضمون الخبر ومعتقدًا خلافه وجب تأكيده بأكثر من مؤكّد واحد، وهذا هو الضرب الإنكاري، ومثاله قول حسّان بن ثابت:

وَإِنِّي لَحُلُوٌّ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَتَرَاكُ لِمَا لَمْ أُعَوِّدِ¹.

وهنا تتضح مناسبة اللفظ القرآني للسياقات التي ورد فيها، فالآية الكريمة إنّما نزلت في وقت فتن فيه المسلمون بسبب تغيير القبلة، فكان المقام يقتضي التكرار والتوكيد لما فيه من تثبيت وتقرير للمعنى في الأذهان، كما أنه أبعد كلّ تردد في الخبر أو إنكار له، والله أعلم.

ومن أمثلة هذه الصورة من التوكيد اللفظي أيضا قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة/253).

¹ انظر: عبده عبد العزيز قلقيلة. البلاغة الاصطلاحية. دار الفكر العربي. القاهرة- مصر. ط:3. 1993. ص: 129-

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

فقد كرر الخطاب القرآني في هذه الآية قوله: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) توكيدا لها وقد فصل بين المؤكّد والتوكيد بقوله: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ).

والله سبحانه وتعالى في قوله: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) يبيّن أنّ حياة الإنسان تسير وفق مشيئة الله وإرادته، وإنّما كرر هذه الجملة لتوكيد وتقرير معناها، وفي هذا «تمهيد لقوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)؛ ليعلم الواقف على كلام الله تعالى أنّ هدي الله تعالى مقنع لهم لو أرادوا الاهتداء... فالله يخلق ما يشاء، ولكنه يكمل حال الخلق بالإرشاد والهدي وهم يفرطون في ذلك»¹، وبذلك جعل الله تأكيده قضية القضاء والقدر مقرونا بالإرشاد والهدي الذي يوليه لعباده عن طريق رسله وكتبه.

ومما ورد وفق هذه الصورة من التوكيد أيضا قوله تعالى:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران/188).

فقوله تعالى: (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) «تأكيد تقديره: لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين»²، فقد أكد الله سبحانه وتعالى قوله: (لَا تَحْسَبَنَّ) بتكراره في قوله: (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) وجاء التوكيد مقترنا بـ(الفاء)، وقد فصل بين المؤكّد والتوكيد بقوله: (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا).

وتجدر الإشارة هنا أنه في توكيد الجملة، أجاز علماء النحو أن تقترن جملة التوكيد بأحد حروف العطف (الفاء) أو (ثم)، «فالأكثر اقتران الجملة المؤكدة بحرف عطف صوري

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:3. ص:13.

² - الزمخشري. الكشاف. ج:7. ص:673.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

الغالبُ فيه أن يكون (ثمّ)، وقد يكون (الفاء)¹، ولا تستعمل هذه الحروف في الجملة المؤكدة لجملة أخرى دائماً، فقد يؤدي استعمال هذه الحروف إلى إحداث لبس، فيتوهم السامع ما لا يريده المتكلم من الجملة لما تحمله هذه الحروف من معان.

فيشترط إذن لاستعمالها مع جملة التوكيد ألا يؤدي إلى لبس، «فإن حصل لم يؤت بها، نحو: (ضربتُ زيداً ضربتُ زيداً)، إذ لو جاء بها لتوهم أنّهما ضربان»²، فاستعمال (ثمّ) في هذه الجملة يعني قولنا: (ضربتُ زيداً ثمّ ضربتُ زيداً) يُوهم أنّ الضرب تكرر مرتين لما تحمله (ثمّ) من معنى الترتيب والتراخي؛ ولذلك يمنع استعمال حرف العطف بين الجملة المؤكدة وجملة التوكيد في هذه الحالة.

ومن أمثلة استعمال حرف العطف بين المؤكّد والتوكيد جملة، قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾³ ثمّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ (التكاثر/3-4)، وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران/188)، ومعنى كون العاطف هنا صورياً أنّه مهمل، ولا يعطف مطلقاً، بل كلّ ما فيه أنّه في صورة العاطف وشكله دون حقيقته»³.

وإذا عدنا إلى الآيتين السابقتين سنجد أنّ الخطاب القرآني لم يستخدم حرفي العطف (ثمّ) و(الفاء) إلا من أجل توكيد معنى الجملتين، وهما لا يدلان على المعاني التي يستعملان من أجلها عند عطف الجملة على الجملة، فاستعمالهما كان صورياً فقط، وإنّما ارتبطا بالجملة من أجل التوكيد فقط.

¹ - عبد السلام السيد حامد. الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى). ص: 281.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 211.

³ - عبد السلام السيد حامد. المرجع السابق. ص: 281.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

و إذا عدنا إلى الآية من سورة آل عمران، والتي نزلت في «قوم من أهل الكتاب دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، وخرجوا من عنده، فذكروا لمن كان رأيهم في ذلك الوقت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد آثروهم بأشياء قد عرفوها، فحمدهم من شاهدتهم من المسلمين على ذلك، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وأقاموا بعد ذلك على الكفر، فأعلم الله عزّ وجلّ النبي أمرهم وأعلمه أنّهم ليسوا بمفازة من العذاب»¹.

وبذلك يكون تكرار الفعل المضارع المسبوق بأداة النهي (لَا تَحْسَبَنَّ)، والمؤكد باتصاله بنون التوكيد (نّ)، زيادة في توكيد منع الله نبيه والمؤمنين من إعلاء هذا الصنف من الناس أو الثناء عليهم؛ لأنهم ورغم ما يُبدون من صلاح عملهم في الدنيا، فإنهم يوم القيامة في عذاب أليم، وذلك لما تحتويه قلوبهم من كفر، وإنّما استعمل الخطاب القرآني التوكيد في هذه الآية بهذا الشكل المكثف لأنّ السياق يكشف وجود لبس يحتاج إلى توضيح عند الناس حول هذه الطائفة، والله أعلم.

إضافة إلى الأغراض السابقة أي إزالة الغموض والتقرير والتثبيت، يرد التوكيد في لأجل تنبيه المُخاطب إلى أمر غفل عنه، فيكون التوكيد في هذا السياق من أجل «التقرير وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، مثل: (قَدِمَ الشُّجَاعُ الشُّجَاعُ)»².

فقد استعمل التوكيد اللفظي (الشجاع) لتقرير حقيقة هي قدوم شخص شجاع، وقد ركّز المتكلم على كلمة (الشجاع) بتكرارها حتى يُحقق المفهوم في ذهن السامع، ويثبتته مخافة أن يكون غافلا عنه غير مدرك لحقيقته، فالتوكيد اللفظي انطلاقاً من هذا «يتوجه إلى تمكين

¹ - الزّجّاج أبو إسحاق إبراهيم (ت311 هـ). معاني القرآن وإعرابه. شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شبلي. عالم الكتب. بيروت - لبنان. ط:1. 1988. ج:1. ص:497.

² - وليد عبد المجيد إبراهيم. في البلاغة العربية. ص:43.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم
معنى اللفظ أيا كان نوعه عن طريق تكرار اللفظ¹، وبهذا تتم وظيفة التوكيد في التقرير
وتحقيق المفهوم.

ومما جاء من التوكيد اللفظي لهذا الغرض قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ
لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء/94).

وفي هذه الآية الكريمة كررت الجملة (فَتَبَيَّنُوا) تأكيدا لها وتقريراً لضرورة التأكد قبل
الإقدام على الضرب أو القتال في سبيل الله، ولفتا لانتباه كل غافل على هذا الحكم معتقدا عدم
وجوده، أو متصورا خلافه.

ولا نصل إلى وظيفة التوكيد في هذه الآية بشكل جلي وواضح إلا إذا وقفنا على سبب
نزولها، والذي أورده ابن كثير في تفسيره للقرآن الكريم، إذ قال: «مرّ رجل من بني سليم
بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرمى غنما له فسلم عليهم، فقالوا: لا يسلم علينا
إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم»²، فكان في نزول
هذه الآية أمر للمؤمنين بالتبيين، والتأكد قبل القتل، وعدم قتل المسالمين.

وإذا عدنا إلى الآية الكريمة سنجد الخطاب القرآني ذكر الفعل (تبيينوا) في بداية الآية ثم
استرسل في الكلام حتى إنّ السامع لكتاب الله أو القارئ له قد ينسى الهدف منه، وهو الأمر
(تبيينوا)، وبعدها عاد فكرر الفعل من باب التأكيد من جهة، ومن أجل ربط الكلام ببعضه
ببعض من جهة أخرى.

¹ - عبد السلام السيد حامد. الشكل والدلالة. ص: 280-281.

² - ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت 774هـ). تفسير القرآن العظيم. دار ابن حزم. لبنان. ط: 1. 2000. ص: 519.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى وظيفة الربط في التوكيد اللفظي خاصة إذا كان بين الجملة المؤكدة وجملة التوكيد فاصل، والأصل كما قال: «في الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه، ويحدث في الكثير من الربط في القرآن الكريم أن يكون بإعادة اللفظ»¹.

وقد دلّ هذا الأمر (فَتَبَيَّنُوا) ثمّ تأكيده بتكراره، وارتباطه بـ (الفاء) كنوع من زيادة التوكيد على حماية الشريعة الإسلامية للروح البشرية، وإن كانت مُشركة، وجعل الله التبيين في معاملة غير المسلمين حلا لتجنب الخطأ، فأكد الأمر بالتزامه؛ لأهميته وتقريراً لضرورته، ودفعاً للتوهم في هذه المسألة أو الغفلة، والله أعلم.

وبهذه الآية يمكن أن نصل إلى أنّ توكيد الظاهر توكيدا لفظيا في الربع الأول من القرآن الكريم جاء لأغراض مختلفة حددتها سياقات الآيات، وأسباب نزولها، وقد لعب هذا التوكيد دورا أسلوبيا يتمثل في النغمة الموسيقية التي يضيفها التكرار على الآية إلى جانب وظيفة الربط الذي يؤديها هذا التكرار، هذا كلّهُ إلى جانب الوظيفة الأصلية للتوكيد، والتي تكمن في تقرير المعاني وتثبيتها في ذهن السامع، وإزالة اللبس، والله أعلم.

¹ - تمام حسان. البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني). ص: 109.

النمط الثاني: توكيد الضمير:

إذا كان التوكيد اللفظي هو إعادة للفظ، فإنّ لهذا اللفظ المؤكّد حالات مختلفة، فهو إما أن يكون مستقلاً أو أن يكون غير مستقل، ولكلّ حالة ونوع أحكام تختص بها، وقد أورد الأسترابادي تعريفا لهذه المصطلحات، فقال: «والمستقل ما يجوز الابتداء به مع الوقوف عليه، وغير المستقل ما لا يجوز فيه ذلك، كالضمير المتصل، وكلّ حرف إلا ما يؤدي معنى الكلمة وتحذف معه في الغالب، وهي (لا) و(نعم) و(بلى)، فإنّ جميعها يصحّ الوقوف عليها والابتداء بها»¹

فالألفاظ المؤكّدة إذن مستقلة، وهي التي يمكن الابتداء بها والوقوف عليها، وتشمل الأسماء الظاهرة، نحو: (زيد)، والأفعال، نحو: (قام)، والضمائر المنفصلة، نحو: (أنت) وغير مستقلة وهي ما لا يمكن الابتداء بها ولا الوقوف عليها، وهذا النوع يشمل الضمائر المتصلة وجميع الحروف يُستثنى منها بعض الحروف كحروف الجواب (لا، نعم، بلى) إذ يصحّ الابتداء بها والوقوف عليها .

ولكلّ نوع من هذه الألفاظ طريقة في التوكيد، فيكون توكيد الألفاظ المستقلة بإعادة المؤكّد فقط، وهذا ما وقفنا عليه في الأمثلة السابقة نحو: (ضَرَبْتُ زَيْدًا زَيْدًا)، و(ضَرَبْتُ ضَرَبْتُ زَيْدًا)، أما غير المستقلة «فإنّ كان المؤكّد ضميراً متصلاً أو حرفاً غير جواب عاملاً أو غيره، لم يُعدّ اختياراً إلا مع ما دخل عليه لكونه كالجاء منه، نحو: (قُمْتُ قُمْتُ)، (رَأَيْتُكَ رَأَيْتُكَ)، (مَرَرْتُ بِهِ بِهِ)، (إِنَّ زَيْدًا إِنَّ زَيْدًا قَائِمًا)»².

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 97.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 209.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

إذن فشرط توكيد الضمير المتصل والحروف سواءً كانت عاملة أم غير عاملة باستثناء حروف الجواب (الألفاظ غير المستقلة) أن تكرر مع ما ارتبطت به؛ لأنها كالجاء منه، فلا يمكن الفصل بينها وبين ما اتصلت به، إذ لا يمكن مثلاً فصل الضمير المتصل عما اتصل به في (قُمْتُ، ورَأَيْتُكَ، وبِهِ).

ولأنّ اللفظ المؤكّد ينقسم إلى مستقل وغير مستقل، والضمير المتصل من الألفاظ غير المستقلة، فقد وجدنا أنّ الضمير المتصل يؤكّد بضمير متصل، وذلك بإعادته مع ما اتصل به، ويؤكّد بالضمير المنفصل، وهذا الضمير يكون ضمير رفع منفصل.

ويقول أبو حيّان الأندلسي في هذه المسألة: «فيجوز توكيد الضمير المتصل مطلقاً بالضمير المرفوع المنفصل مطابقاً له في التّكلم والخطاب، والغيبة والإفراد، والتنثية والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: قمتُ أنا، وأكرمتني أنا، ومررتُ بي أنا، وزيدٌ قامَ هو، وأكرمتُهُ هو، ومررتُ به هو، وقمتُ أنتَ، وأكرمتك أنتَ، ومررتُ بك أنتَ»¹.

والملاحظ في هذه الأمثلة أنّ الضمائر المنفصلة المرفوعة (أنا، وهو، وأنتَ) جاءت مؤكّداً لضمائر متصلة اتفقت معها في التّكلم، والخطاب، والغيبة، والعدد، والتأنيث والتذكير، والإعراب، كما في قوله: (قُمْتُ أَنَا، وَقَامَ هُوَ، وَقُمْتَ أَنْتَ).

أما في قوله: (أكرمتني أنا، ومررتُ بي أنا، وأكرمتُهُ هو، ومررتُ به هو، وأكرمتك أنتَ، ومررتُ بك أنتَ)، فقد وافق لفظ التوكيد (الضمير المتصل المرفوع) (أنا، وهو وأنتَ) المؤكّد (الضمائر المتصلة) (الياء، والهاء، والكاف) في التّكلم والغيبة والخطاب، بينما خالفه في الإعراب.

¹ - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1960.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وتفصيل ذلك أنه قد أُكِّد بالضمير المرفوع (أنا) الضمير المتصل (الياء) في قوله: (أَكْرَمَنِي أَنَا، وَمَرَرْتُ بِِي أَنَا)، والأول في محل نصب والثاني في محل جر، وكذلك أُكِّد بالضمير المرفوع (هو) الضمير المتصل (الهاء) في قوله: (أَكْرَمْتُهُ هُوَ، وَمَرَرْتُ بِهِ هُوَ) والأول في محل نصب والثاني في محل جر أيضا، وكذلك في تأكيد الضمير المتصل (الكاف) بالضمير المتصل المرفوع (أنت) في قوله: (أَكْرَمْتُكَ أَنْتَ، وَمَرَرْتُ بِكَ أَنْتَ) .

وفي توكيد الضمير المتصل بمنفصل، خلاف بين علماء اللغة، فطائفة ترى أنه إذا توافق الضميران في الإعراب، فالضمير المنفصل إما (توكيد) أو (بدل)، وأما إن اختلفا في الإعراب فمذهب البصريين أن الضمير المنفصل (بدل) ومذهب الكوفيين أنه (توكيد).

وتفصيل هذا كما قال أبو حيان الأندلسي: «إذا أتبع الضمير المتصل بمنفصل مثله في الإعراب نحو: (قَمَّتْ أَنْتَ) و(أَكْرَمْتُكَ إِيَّاكَ)، جاز في (أنتَ) أن يكون توكيدا، وأن يكون بدلا، وأما (إِيَّاكَ) فمذهب البصريين أنه بدل من الضمير المتصل ومذهب الكوفيين أنه توكيد لا بدل»¹.

ويذهب الأسترابادي في هذه المسألة منطلقا من تعريف التوكيد بأنه إعادة للفظ أو لمعناه أن إعراب (أنت) في قولنا: (ضَرَبْتُكَ أَنْتَ) توكيدا، وإعراب (إِيَّاكَ) في قولنا: (ضَرَبْتُكَ إِيَّاكَ) بدلا ليس كلاما منطقيا؛ إذ كرر الضمير (الكاف) بمعناه في الضمير (أنت)، كما كرر الضمير (الكاف) بمعناه في الضمير (إِيَّاكَ).

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب .ج:4. ص: 1960.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وهو يقول في هذه المسألة إنَّ كون «الضمير المنفصل في نحو: (ضَرَبْتُكَ أَنْتَ) تأكيد، وفي (ضَرَبْتُكَ إِيَّاكَ) بدل أمر عجيب، فإنَّ المعنيين واحد، وهو تكرير الأوّل بمعناه، فيجب أن يكون كلاهما تأكيداً لاتحاد المعنيين»¹.

فالضمير المتصل على هذه الحال يُؤكِّد بضمير متصل مثله مع وجوب تكرار ما اتصل به، كما يُؤكِّد بضمير منفصل، والأصل أن يكون هذا الضمير المنفصل ضمير رفع، فإن لم يكن كذلك جاز أن يكون توكيداً أو بدلاً عند بعض العلماء، ووجب أن يكون بدلاً عند الآخرين، وقد ذهب الأسترابادي إلى كونه توكيداً دائماً لما توفّر من تكرار في المعنى بين الضمير المتصل والضمير المنفصل، وهذا ما نذهب إليه لما وجدنا من قوة حجة في رأيه والله أعلم.

والجدير بالذكر في توكيد الضمير المنفصل، أنه بالإضافة إلى أنه يُؤكِّد بمنفصل مثله أو بظاهر، فقد ذهب بعض علماء اللغة إلى القول بأن اسم الإشارة من بين مؤكداته أيضاً وبذلك «أجازوا تأكيد الضمير المنفصل بالإشارة، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ (البقرة/85)»²، فقد أُكِّد الضمير المنفصل (أَنْتُمْ) في الآية باسم الإشارة (هَؤُلَاءِ).

وإذا كان علماء اللغة قد رسموا لتوكيد الضمير هذه الحدود، ووضعوا له هذه الشروط فإننا قد رصدناه في خمسة عشر (15) موضعاً من الربع الأول من كتاب الله، موزعاً على صورتين هما:

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 99.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 211.

الصورة الأولى: توكيد الضمير المتصل:

وقد ورد هذا النوع من التوكيد في أحد عشر (11) موضعا من المدونة، وقد ارتبط عشر (10) منها بالله سبحانه وتعالى، فكان فيها وصف لله وثناء عليه، ومن أمثلة توكيد الضمير المتصل قوله تعالى:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة/32).

وقد أكد الضمير المتصل (الكاف) بالضمير المنفصل (أنت) في قوله تعالى: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، وهما يعودان على الله سبحانه وتعالى، وفي إعراب الضمير (أنت) في هذه الآية عدّة أوجه، أوردها العكبري، إذ قال: «(أنت) مبتدأ و(العليم) خبره، والجملة خبر (إن) ويجوز أن يكون (أنت) توكيدا للمنصوب، ووقع بلفظ المرفوع، لأنه هو (الكاف) في المعنى ولا تقع ها هنا (إِيَّاكَ) للتوكيد؛ لأنها لو وقعت لكانت بدلا، و(إِيَّاكَ) لم يُؤكّد بها، ويجوز أن يكون فصلا لا موضع لها من الإعراب»¹.

وضمير الفصل هو الضمير المنفصل المرفوع الذي يفصل بين المبتدأ والخبر كي يبيّن أنّ المعرفة بعده خبر وليست تابعا، وهذا المصطلح هو مصطلح البصريين، أما الكوفيون فيسمونه العماد، وقد جاء في شرح المفصل أنه: «يتوسط بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده، إذا كان الخبر معرفة، أو مضارعا له في امتناع دخول حرف التعريف عليه، كـ " أفعلٌ من كذا " أحد الضمائر المنفصلة المرفوعة ليؤذن من أول أمره بأنّه خبر لا نعت، وليفيد ضربا من التوكيد...وذلك قولك: زيدٌ هو المنطلق»².

¹ - العكبري . التبيان في إعراب القرآن . ج: 1 . ص: 43.

² - ابن يعيش . شرح المفصل للزمخشري . ج : 2 . ص: 328.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

فشرط ضمير الفصل أن يتقدمه المبتدأ وإن سبق بالعوامل اللفظية التي تدخل على الجملة الاسمية، نحو كان وأخواتها، وأن يكون ما بعده معرفة أو يشبه المعرفة في امتناع دخول (ال) التعريف عليه، نحو قوله: أفعل من كذا، إذ لا يجوز دخول (ال) عليها، ووظيفته تبين أنّ ما بعده خبر وليس مبتدأ بسبب ما بيّنا سابقا من أنّ الضمير لا يكون منعوتا¹ فاللفظ (المنطلق) في قولنا: (زيد هو المنطلق) لا يمكن أن يكون نعنا للضمير (هو)، فهو خبر للمبتدأ (زيد)، والضمير المرفوع (هو) ضمير فصل .

ولم يختلف علماء المدرستين النحويتين في تسمية هذا الضمير فقط، بل كان الخلاف بينهم في إعرابه أيضا، فهو ضمير لا محل له من الإعراب عند البصريين، بينما له محل من الإعراب عند الكوفيين، وقد أورد ابن هشام أوجه إعرابه في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعراب.

والوجه الأول: ويحتل فيه الفصلية والتوكيد، وذلك إذا كان ما بعده منصوبا مثل قوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة/117)، فالضمير المرفوع (أنت) في الآية إما ضمير فصل لا محل له من الإعراب، أو توكيد للضمير المتصل في (كنت)، وهو في محل رفع.

والوجه الثاني: ويحتل فيه الفصلية والابتداء دون التوكيد، وذلك في حالتين الأولى إذا دخلت عليه لام الابتداء، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (الصافات/165) والثانية إذا لم يسبق بضمير؛ لأنّ الظاهر لا يؤكد بالمضمر، وذلك نحو: زيدٌ هو العالمُ.

¹ - انظر: ص: 29 - 30. من هذا البحث.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

والوجه الثالث: ويحتمل فيه الفصلية والتوكيد والابتداء، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ

عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة/116)، ونحو: أنت أنت الفاضل¹.

وعلى هذا يكون الشاهد الذي أوردناه مطابقاً للحالة الثالثة، والضمير الوارد فيه (أنت) في محل رفع توكيد، أو مبتدأ، أو هو ضمير فصل لا محل له من الإعراب. هذا من الناحية الإعرابية، أما من الناحية البلاغية، فضمير الفصل عند علماء البلاغة يدلّ على التوكيد².

ولقد اخترنا إدراج هذه الآية ضمن التوكيد اللفظي لما تحتويه من دلالة التقرير والتأكيد، ولما عُرِفَ عند البلاغيين من استعمال هذا الضمير للتوكيد، إضافة لما وجدناه من تطابق معنوي بين الضمير المتصل (الكاف)، والمنفصل (أنت)، فكلاهما يدلّ على المخاطب المفرد.

وهذا لما هو معلوم من أنّ التوكيد إنّما يرد في الكلام لأجل التقرير وإبعاد اللبس والإبهام، وهذا الغرض من استخدام التوكيد مرتبط بما عرفناه من استعمال العرب للمجاز في كلامهم، ولهذا يُؤتى بالتوكيد «لتقرير المؤكّد مع دفع توهم خلاف الظاهر، أو دفع توهم التجوز فيه كقولك: (جَاءَنِي الْوَزِيرُ نَفْسُهُ)، فقد أُكِّدَ المسند إليه حتى لا يتوهم السامع أنّ يكون المقبل نائب الوزير مثلاً على سبيل المجاز»³.

فطبيعة اللغة العربية؛ أي وجود الاستعمال الحقيقي والمجازي استوجب وجود تراكيب لغوية تدفع التوهم إذا وُجد احتمال أن يفهم السامع الكلام، ويرده إلى المعنى المجازي رغم

¹ - انظر : ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 2. ص: 496 - 497.

² - انظر : السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 58.

³ - عبد اللطيف شريقي وزبير دراقي. الإحاطة في علوم البلاغة. ص: 69.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

أنه مستعمل على وجه الحقيقة، والتوكيد من بين هذه التراكيب، فإذا خاف المتكلم أن يحمل السامع كلامه محمل المجاز أكدّه حتى يزيل هذا الوهم ويدفعه.

وإذا عدنا إلى السياق الذي ورد فيه التوكيد اللفظي (أنت) وجدناه متبوعا بعدة أسماء تدلّ على صفات الله، والتي تحمل دلالات بلاغية مختلفة، وقد أدى توكيد الضمير (الكاف) في الآية السابقة إلى تأكيد الملائكة على أن المخاطب والمقصود بهذه الآية هو الله، وأن ما ارتبط بهذا الضمير من صفات، فإنما تعود عليه، وهو يختصُّ بها وحده.

كما أنهم بهذا التوكيد أكدوا طاعتهم لله، وذلك من خلال تقريرهم لعلمه وحكمته، وقد قدّم العلم على الحكمة في الآية (العليم الحكيم)؛ لأنّ مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم لأنّ الحكمة كمال في العلم¹، وهذا من باب إتباع الخاص بالعام، فكان في هذه الآية توكيد الملائكة على طاعتهم لله وتنفيذهم لأوامره، لأنهم يعرفون صفاته سبحانه؛ ولذلك فهم أكثر خلقه عبادة له وتوحيدا، والله أعلم.

ومن بين المواضع التي وردت فيها هذه الصورة من التوكيد أيضا سورة المائدة، وذلك في سياق قصة سيدنا موسى عليه السلام؛ وذلك ردا على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْبِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (المائدة/116) فكان موسى عليه السلام يثني على الله ويذكر صفاته، قال تعالى:

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة/116)، وقوله تعالى: ﴿ كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (المائدة/117)، وقوله تعالى أيضا: ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة/118).

¹ - انظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:1. ص:416.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذه الآيات جميعاً أكد الضمير المتصل (الكاف، والتاء) بضمير منفصل (أنت) وهو يعود على الله ثم أتبع هذا بذكر صفات الله سبحانه وتعالى مدحا له وثناء عليه وتخصيصا لهذه الصفات به سبحانه، والله أعلم.

وقد ورد هذا التركيب في الربع الأول في مواضع أخرى هي: (البقرة/ 127، 128 (129) (آل عمران/ 8، 35) (المائدة/ 109).

وإذا كان الضمير المتصل في الآيات السابقة الذكر يحتمل أكثر من وجه إعرابي، فقد أكد الضمير المتصل، بضمير منفصل في قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ (الأنعام/91).

فقد أكد ضمير الفاعل (واو الجماعة) في (تَعْلَمُوا) بالضمير المنفصل (أنتم)، أما الخطاب في هذه الآية، فقيل «إنه لبنى إسرائيل،... وقيل الخطاب للعرب... وقيل لمن آمن من قريش»¹، وفي الآية تذكير بنعم الله على هذه الفئة المخاطبة سواء كانت بني إسرائيل أو العرب أو المسلمين، وفيه لفت لانتباههم بتكرار الضمير الدال عليهم، والله أعلم.

وفي نهاية هذا العنصر نصل إلى أن الضمير المتصل أكد في الربع الأول من القرآن الكريم، فكان في أكثر المواضع التي استعمل فيها مرتبطا بالثناء على الله وبيان صفاته، وهو عند البصريين ضمير فصل لا محل له من الإعراب، والله أعلم.

¹ - أبو الحَيَّان الأندلسي. البحر المحيط. ج:4. ص:182.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

الصورة الثانية: توكيد الضمير المستتر:

لقد وقفنا في هذه المدونة على أربع (4) آيات أكد فيهما الضمير المستتر بضمير منفصل، أما الأولى فهي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/35).

وأما الثانية فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (البقرة/ 249).

وأما الثالثة فقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة/24).

وأما الرابعة فقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام/ 59).

أما الآية الأولى فجاءت في سياق قصة آدم عليه السلام وزوجته، وقد أكد فيها الضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (اسكن)، وهو عبارة عن فاعل بالضمير المنفصل (أنت)، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى بهذا الفعل آدم عليه السلام.

وإنما أكد الضمير المستتر هنا بالضمير المنفصل «ليصح العطف عليه»¹، أي ليصح

عطف كلمة (زوجك) على الضمير المستتر في (اسكن).

وأما الثانية فقد وردت في سياق قصة طالوت، وأكد الضمير المستتر في الفعل

(جاوزه) وتقديره (هو)، والذي في محل رفع فاعل بالضمير المنفصل (هو)؛ وذلك ليجوز

العطف عليه بالظاهر (الذين).

أما الآية الثالثة ففيها خطاب من بني إسرائيل لموسى عليه السلام وإعراض عن أوامر

الله وأوامر رسوله، وقد أكد الله في هذه الآية الضمير المستتر (أنت) في فعل الأمر (اذهب)

والذي يعود على سيدنا موسى عليه السلام، وهو فاعل بالضمير المنفصل (أنت) وذلك لكي

يجوز العطف عليه أيضا بقوله (وربك)، وهذا من باب عطف الظاهر على الضمير المستتر

أيضا.

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:1. ص:254.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

أما الآية الرابعة فأكدَّ فيها الضمير المستتر في الفعل (يعلمها)، وتقديره (هو) بالضمير المنفصل (هو)، وقد اجتمع في هذه الآية النفي (لا)، والاستثناء (إلا)، وهذا ما سمَّاه البلاغيون قصراً، وهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وله أربع طرق، هي: النفي والاستثناء، وإنّما، والعطف بـ "لا"، أو "لكن"، أو "بل"، وتقديم ما حقه التأخير¹.

والقصر في هذه الآية كان بالنفي والاستثناء كما ذكرنا، وفيه تخصيص العلم بالله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

وبهذه الآية نكون قد أنهينا الحديث عن توكيد الضمير المستتر في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم، والذي نستطيع أن نقول أنّ أكثر ما رصدنا منه جاء في سياق توكيد الضمير المرفوع المستتر ليجوز العطف عليه، والذي سنتناوله - بمشيئة الله - في الفصل الخاص بالعطف بشيء من التفصيل، والله أعلم.

2- التوكيد المعنوي:

لقد أشرنا في المبحث السابق أنّ التوكيد المعنوي لا يكون إلا بالألفاظ خاصة، وكلّ لفظ منها له استعمالات وشروط، وسنقوم في هذا العنصر - بمشيئة الله - برصد هذه الألفاظ وبيان المستعمل منها وغير المستعمل في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم، وأغراض هذا الاستعمال.

ولقد وقفنا في هذه المدونة على ست (06) آيات تحتوي على توكيد معنوي ثلاث (03) منها كان التوكيد فيها بـ (كلّ) وثلاث (03) كان بـ(أجمع).

¹ - انظر: إنعام فوّال عكاوي. المعجم المفصل في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:3. 1996. ص:

أ- التوكيد بـ (نفس وعين):

لقد جعل علماء النحو اللفظين (نفس، وعين) أول ألفاظ التوكيد المعنوي، كما أنهم تطرقوا إلى أغراض استخدامهما، «فهما لرفع المجاز عن الذات، تقول: «جَاءَ زَيْدٌ» فيحتمل مجيء ذاته، ويحتمل مجيء خبره أو كتابه، فإذا قلت: نَفْسُهُ ارتفع الاحتمال الثاني»¹.

إذن فاللفظان (نفس، وعين) يؤكدان الذات ويدفعان الاحتمالات الأخرى التي قد يتوهمها السامع بسبب استخدام العرب للمجاز، فلما تقول: (جَاءَ زَيْدٌ)، يتبادر إلى ذهن السامع عدّة أمور، كمجيء خبره، كتابه... لوجود المجاز في اللغة العربية، لكن عندما تقول: (جَاءَ زَيْدٌ نَفْسُهُ)، أو (عَيْنُهُ) تؤكد مجيء الذات؛ أي مجيء زيد ذاته لا غير، وتزيل الاحتمالات الأخرى.

ولا يصحّ التوكيد باللفظين (نفس، وعين) إلا بتوفر شروط، هي أن يربط بين المؤكّد والتأكيد (نفس، وعين) بضمير متصل يعود على المؤكّد، لفظي (نفس، وعين) يكونان «مضافين لضمير المؤكّد المطابق له في الإفراد والتذكير وفروعهما، نحو: جَاءَ زَيْدٌ نَفْسُهُ وَهِنْدٌ نَفْسُهَا، وَالزَيْدَانِ أَوْ الْهِنْدَانِ أَنْفُسُهُمَا، وَالزَيْدُونَ أَنْفُسُهُمْ، وَالْهِنْدَاتُ أَنْفُسُهُنَّ»².

فالأمثلة السابقة تبين أنّ ألفاظ التوكيد (نَفْسُهُ، وَنَفْسُهَا، وَأَنْفُسُهُمَا، وَأَنْفُسُهُنَّ) قد ارتبطت جميعاً بضمائر (هـ، ها، هما، هم، هنّ)، وهذه الضمائر تعود على لفظ المؤكّد (زَيْدٌ وَهِنْدٌ، وَالزَيْدَانِ أَوْ الْهِنْدَانِ، وَالزَيْدُونَ، وَالْهِنْدَاتُ)، وتطابقه في الجنس (التذكير والتأنيث) والعدد (الإفراد والتثنية والجمع)، كما تطابقه في الإعراب (الرفع).

¹ - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 325-326.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 197.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن خلال الأمثلة السابقة لاحظنا أنّ لفظي (نفس، وعين) عند توكيدهما للمفرد وردا بصيغة المفرد (نفس، وعين)، وعند توكيدهما للمثنى وردا بصيغة الجمع (أنفس) مع ارتباط الضمير العائد على المؤكّد (أنفسهما)، وكذلك عند توكيدهما للجمع (أنفسهم)، وقد قال ابن مالك في هذه المسألة:

«بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْعَيْنِ الْأِسْمَ أَكْثَرًا

مَعَ ضَمِيرٍ طَابِقٍ الْمُؤَكَّدًا

وَاجْمَعُهُمَا بِأَفْعَلٍ إِنْ تَبِعَا

مَا لَيْسَ وَاحِدًا تَكُنْ مُتَّبِعًا»¹

وكما تؤكّد (نفس، وعين) الألفاظ الظاهرة، وهذا ما تبيّنه الأمثلة المذكورة سابقا (جاء زيدٌ نفسه)، فإنها تستعمل في توكيد الضمائر، وقد اشترط العلماء في تأكيدها للضمائر المتصلة شروطا تختلف باختلاف الضمير المؤكّد.

فإن كان الضمير المؤكّد ضميرا متصلا مرفوعا، فلا يؤكّد بألفاظ التوكيد المعنوي مباشرة، بل «لا بد من تأكيد ذلك الضمير بمنفصل مرفوع نحو: قُمْ أَنْتَ نَفْسُكَ، وَقَامُوا أَنْفُسُهُمْ، وَقُمْتَ أَنْتَ نَفْسُكَ، وَذَكَرَ الْأَخْفَشُ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَى ضَعْفِ قَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ»².

فشرط توكيد الضمير المتصل بلفظي (نفس، وعين) إذن أن يؤكّد بضمير منفصل قبل تأكيده تأكيدا معنويا، وهذا مذهب جمهور العلماء، أما الأخفش فقد أجاز عدم التوكيد بالضمير المنفصل، وهذا ضعيف.

وعلة تضعيف توكيد الضمير المتصل المرفوع دون توكيده بضمير منفصل كما قال السيوطي: «أنّ تركه يؤدي إلى اللبس في بعض الصور نحو: (هِنْدٌ ذَهَبَتْ نَفْسُهَا أَوْ عَيْنُهَا)

¹ - ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص: 41.

² - الشريف عمر إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللّمع لابن جني. ص: 197.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

لاحتمال أن يُظن أنها ماتت أو عميت¹، ولهذا اللبس ضعّف العلماء ذلك، أي توكيد الضمير المتصل بألفاظ التوكيد المعنوي مباشرة دون توكيدها توكيدا لفظيا بضمير منفصل.

هذا إذا كان الضمير المتصل ضمير رفع، فإن كان الضمير المتصل غير ذلك سقط عنه هذا الشرط، أي شرط توكيده توكيدا لفظيا قبل توكيده بألفاظ التوكيد المعنوي، فإنه إن كان «الضمير منصوبا أو مجرورا جاز توكيده من غير إظهاره»²، فشرط توكيد الضمير المتصل بمنفصل قبل توكيده بـ (نفس أو العين) يخص الضمائر المرفوعة فقط.

ومن الأمور التي يختص بها التوكيد بـ (نفس، وعين) دون بقية ألفاظ التوكيد المعنوي أنهما يسبقان بحروف جر زائدة، «فإنه يجوز جرهما بالباء الزائدة نحو: (جاء زيدٌ بنفسه) أو بعينه)، وجعل منه بعضهم: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...﴾ (البقرة/228)، ولا يجوز ذلك في غيرهما من ألفاظ التوكيد»³.

فيجوز جر (نفس، وعين) بحرف جر زائد كما في قوله: (جاء زيدٌ بنفسه)، فقد جُرَّ التوكيد المعنوي (نفسه) بحرف الجر (الباء) وهو زائد، وهذا الأمر يختص به اللفظان (نفس وعين) عن باقي ألفاظ التوكيد المعنوي.

أما الآية القرآنية من سورة البقرة فيرى الدكتور هادي نهر أنها ليست من باب التوكيد «لأنه لا يؤكّد الضمير المرفوع المتصل إلا بعد توكيده بضمير منفصل»⁴، ففي هذه الآية المؤكّد هو (النون) وهو ضمير متصل مرفوع، وقد أوردنا سابقا أنّ العلماء اشترطوا توكيده

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 197.

² - الشريف عمر إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللمع لابن جني. ص: 280.

³ - السيوطي. المرجع السابق. ج: 5. ص: 198.

⁴ - هادي نهر. شرح للمحة البدرية في علم اللغة العربية. ج: 2. ص: 288.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم
بضمير منفصل قبل توكيده بالنفس والعين، وهذا الشرط غير متوفر في الآية الكريمة، فلا
يصح الاستشهاد بها هنا، والله أعلم.

وباستثناء هذه الآية فإننا وبعد عملية الإحصاء التي قمنا بها على آيات الربع الأول من
القرآن الكريم، فإننا لم نقف على استعمال الله سبحانه وتعالى للفظي التوكيد المعنوي (نفس
وعين) من أجل التوكيد، والله أعلم

ب- التوكيد بـ (كلا وكتا):

إذا كان استعمال اللفظين (نفس، وعين) يؤدي إلى إزالة اللبس عن الذات، فإن إزالة
اللبس عن المثنى وتوكيده توكيدا معنويا يكون بألفاظ تدلّ على المثنى، وقد خصص علماء
النحو لهذا الغرض اللفظان (كلا، وكتا)، ويستعمل هذان اللفظان «لإزالة الاحتمال والمجاز
عن التثنية، وإثبات أنها هي وحدها المقصودة حقيقة، أما (كلا) فهي للمثنى المذكر، وأما
(كتا) فهي للمثنى المؤنث، نحو: (أَفَادَ الْخَبِيرَانِ كِلَاهُمَا)، و(نَفَعَتُ الْخَبِيرَتَانِ كِلْتَاهُمَا)، فلو لم
تذكر (كلا وكتا) لكان من المحتمل اعتبار التثنية غير حقيقية، وأن المقصود بالخبيرين
أحدهما وبالخبيرتين إحداهما»¹، فكان استعمال التوكيد المعنوي هنا للتأكيد على معنى التثنية
وإبعاد أي معنى سواه.

ولا تستعمل (كلا وكتا) لتأكيد المثنى، إلا إذا توفرت فيهما شروط هي:

1- «أن يكون المؤكّد بهما دالا على اثنين»²، وذلك لما عرفنا سابقا أنهما يردان لدفع
التوهم عن المثنى.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 508.

² - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 327.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

2- الشرط الثاني وهو أن يكون في إيراد لفظ التوكيد المعنوي زيادة في المعنى سواء بتوكيده أو بدفع المجاز واللبس عنه، وذلك يكون كما قال السيوطي: «بأن يَصْلُحَ موضعه للواحد، فلا يقال: (اِخْتَصَمَ الرَّجُلَانِ كِلَاهُمَا). ولا (رَأَيْتُ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ كِلَيْهِمَا)، ولا (المَالُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ كِلَيْهِمَا) لعدم الفائدة، إذ لا يحتمل في ذلك أن يراد بالرجلين أحدهما حتى يحتاج إلى التأكيد لدفعه، ولأنه لم يسمع من العرب قط»¹.

وهذا الشرط متعلق بالعرض من التوكيد، فلما كانت هذه الأسماء المثناة لا تحمل المعنى المجازي كالدلالة على المفرد، فالفاعل (الرجلان) لا يمكن أن يحمل معنى الإفراد من باب المجاز؛ لأنّ الفعل (اختصم) يدلّ على المشاركة بين اثنين، وكذلك في بقية الأمثلة، فإنّ الأسماء المثناة لا تحمل معان مجازية؛ ولذلك لم يجز توكيدها بألفاظ التوكيد المعنوي، لأنه لا فائدة من ذلك.

وهذا الكلام إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ كلّ لفظ في اللغة العربية لا يرد إلا وفي ثنایا استخدامه عرض، فإن لم يكن له هذا الغرض كان من باب الحشو واللغو فقط.

3- والشرط الثالث أن لا يختلف المؤكّد إذا كان مركبا من كلمتين في معنى العامل فيهما؛ فيجب «أن يكون ما أسندته إليهما غير مختلف في المعنى، فلا يجوز (مَاتَ زَيْدٌ وَعَاشَ عَمْرُو كِلَاهُمَا)»²؛ وذلك لاختلاف المسند (مات) والمسند (عاش)، فلا يمكن أن نجمع بين (زيد وعمرو) بتوكيد واحد، وقد اختلفا في العامل (مات وعاش)، فهما متضادان في المعنى.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 198.

² - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 327.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

4- أما الشرط الرابع فهو الشرط الذي وجدناه في ألفاظ التوكيد (نفس، وعين)، وهو «أن تضاف كل واحدة منهما إلى ضمير مذكور يطابق المؤكّد في التثنية»¹.

فإن توفرت هذه الشروط جميعا في (كلا وكلتا) جاز التوكيد بهما لإزالة الاحتمال والمجاز في المثني، هذا إذا كان المثني المؤكّد بلفظ واحد وعامل واحد، أما إذا كان المؤكّد عبارة عن اسمين متعاطفين، فتوكيده يحتمل وجهين هما:

أ- أن يختلف عامل اللفظين المعطوفين، لكن يتفقا في المعنى، وفي هذه الحالة: «أجاز الأخفش: (انطلق زيد) و(ذهب بكر كلاًهما)، ويحتاج إجازة ذلك إلى تصريح بسماع من كلام العرب، والذي تقتضيه القواعد المنع»²، فالسماع إذن لم يرد لإثبات هذا النوع من التوكيد وهذا ما يجعله ضعيفا، خاصة لكون قواعد النحو تنص على المنع.

ب- أن يختلف عاملا المتعاطفين في المعنى، وفي هذه الحالة «لا يصح اتحاد توكيد المتعاطفين... فلا يقال: غاب المسافر وحضر الغائب كلاهما»³.

ومما سبق يتضح أن توكيد المتعاطفين إذا اختلف معنى العاملين ممنوع، أما إذا اتفق المعنى فقد أجاز الأخفش هذا التوكيد، لكن أبا حيان الأندلسي مال إلى المنع، والله أعلم.

وإذا عدنا إلى المدونة موضوع الدراسة، فإننا لم نقف انطلاقا مما قمنا به من عملية إحصائية على توكيد المثني توكيدا معنويا باللفظين (كلا، وكلتا)، والله أعلم.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 508

² - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1953.

³ - عباس حسن. المرجع السابق. ج: 3. ص: 516.

ج- التوكيد بـ (كلّ وجميع وعامة):

إذا كان توكيد الذات بـ(النفس والعين)، وتوكيد المثنى بـ (كلا وكلتا)، فإنّ الغرض من ألفاظ التوكيد المعنوي (كلّ وجميع وعامة) هو توكيد الإحاطة والشمول، فالغرض منها «إفادة التعميم الحقيقي المناسب لمدلولة المقصود، وإزالة الاحتمال عن الشمول الكامل، نحو: (قَرَأْتُ دِيوَانَ الْمُتَنَبِّي كُلَّهُ)... فلو لم نأت بكلمة (كُلِّ) لكان المحتمل أنّ المراد من المقروء هو الأكثر أو الأقل أو النصف أو غير ذلك»¹، لكنّ استعمال التوكيد المعنوي (كُلِّ) دفع هذه المجازات وأكّد على معنى الشمول الكامل في القراءة.

ولا بد من الإشارة هنا، إلى أنّ الألفاظ (كلّ، وجميع، وعامة) رغم أنّها تحمل جميعا معنى الشمول، إلا أنّ علماء النحو اختلفوا في جعلها ألفاظا للتوكيد المعنوي، «فجعلوا (كُلِّ) من ألفاظ التوكيد بينما أنكر المبرد (عامة)، وقال إنّما هي بمعنى أكثر، ولم يذكر أكثر النّحاة جميعا»²، فالمتفق عليه هو (كلّ، وعامة)، والذي يُضعف كونه من ألفاظ التوكيد (جميع).

1/ استعمال (كلّ) في الربع الأول من كتاب الله:

قبل البحث عن استعمال (كلّ) كتوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم لا بد من التنبيه أنّها لا تستعمل توكيدا إلا إذا توفرت فيها مجموعة من الشروط هي:

1- «أنّ يكون المؤكّد بها غير مثنى - وهو المفرد والجمع-»³؛ لأنّ المثنى يؤكّد كما أوردها سابقا بـ (كلا) للمذكّر و(كلتا) للمؤنّث، أما (كلّ)، فتؤكّد المفرد والجمع مثل: (كَتَبْتُ الدَّرْسَ كُلَّهُ)، و(جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ).

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 509.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح الجوامع. ج: 5. ص: 199.

³ - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 327.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

2- والشرط الثاني فهو يتعلق بإمكانية تجزئة المؤكّد ولو حكماً، فـ(كلّ) لا تستعمل في التوكيد إلا إذا كان «المؤكّد متجزئاً، ولو حكماً، إذ ما لا يتجزأ لا يتوهم فيه عدم الشمول حتى يرفع بالتوكيد بها، فلا يقال: جاءَ زيدٌ كلّهُ، ويقال: قبضتُ المالَ كلّهُ، ورأيتُ زيداً كلّهُ وبعثتُ العبدَ كلّهُ، لإمكان رؤية وبيع بعض زيد والعبد»¹.

فالجمله (جاءَ زيدٌ) لا تحتل المعنى المجازي الدال على التجزئة، فـ(زيدٌ) لا يمكن أن يأتي بعضه أو نصفه، ولذلك امتنع توكيدها، بينما أُكِّدَت كلمة (المال)، وكلمة (زيد) وكلمة (العبد) لإمكانية تجزئتها حقيقة (المال)، وحكماً (زيد والعبد).

3- أما الشرط الثالث فهو موجود في التوكيد بألفاظ التوكيد المعنوي السابقة، وهو «أنّ يتصل بها ضمير عائد على المؤكّد»²، وقد وجدنا هذا الشرط في جميع ألفاظ التوكيد المعنوي المذكورة (نفس، وعين، وكلا، وكلتا، وكلّ)، فجميعها مضافة إلى ضمير يعود على المؤكّد.

وقد أفضت عملية الإحصاء التي قمنا به إلى أنّ الألفاظ السابقة الذكر لم تستعمل كتوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم باستثناء (كلّ)، وقد استخدمت بنسبة قليلة جداً فلم ترد إلا في ثلاثة (03) مواضع.

أما الأول فهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/31).

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 199.

² - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 327.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذه الآية يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه علم آدم الأسماء كلها، وقد اختلف العلماء في معنى كلمة الأسماء، فقيل «اسم كل شيء هذه الخيل وهذه البغال والإبل والجن والوحش وجعل يسمى كل شيء باسمه... وقيل أسماء الملائكة... وقيل أسماء ذريته كلها»¹. ومهما كان تفسير كلمة (الأسماء)، فإنّ هذه المعاني جميعا تدلّ على ما يقبل التجزئة كما أنّ لفظ (كلّ)، قد أضيف إلى ضمير يعود على المؤكّد (الأسماء)، وبذلك استوفى لفظ (كلّ) الشروط ليكون توكيدا يدلّ في هذه الآية ويؤكد معنى الإحاطة والشمول في تعليم آدم عليه السلام؛ أي أنّ تعليم الله له كان شاملا ولا يترك مجالا للجهل بأيّ مُسمى.

فالتوكيد هنا إضافة إلى كونه قد قرر علم آدم عليه السلام، فإنّه دفع الشك واللبس في قضية شمول علمه؛ وذلك لما يؤدّيه التوكيد المعنوي بـ(كلّ) من «تقرير المؤكّد ودفع عدم الشمول، مثل قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر/30)»²، وفي هذه الآية أُكِّدَت كلمة (الملائكة) بمؤكّدين معنويين هما (كلُّهم، وأجمعون)، وهما يدلان على العموم والإحاطة والشمول، وذلك لتقرير سجود الملائكة، ودفع توهم أنّ فردا من الملائكة رفض السجود، بل استعمال التوكيد أدى إلى الدلالة على أنّ فعل السجود يشمل كلّ جنس الملائكة دون استثناء.

وفي الآية الكريمة السابقة إنّما تعدد توكيد كلمة الملائكة «للدلالة على عظم جرم إبليس، إذ فعل ما لم يفعله أحد غيره بيقين»³، فالتوكيد انطلاقا من هذا لا يأتي للتقرير فقط بل يبرز معان ويوضح أفكارا يدلّ عليها السياق الذي ورد فيه، وهذا ما بينته الآية السابقة

¹ - الطبري محمد بن جرير (ت310هـ). تفسير الطبري. تحقيق: محمود محمد شاكر. مراجعة: أحمد محمد شاكر.

مكتبة ابن تيمية. مصر. ط:3. دت. ج:1. ص:485.

² - وليد عبد المجيد إبراهيم. في البلاغة العربية (علم المعاني). ص: 43.

³ - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص: 95.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

من سورة الحجر، فالسياق يدلّ أنّ التوكيد فيها لا يعني الشمول فقط، بل يجعله من باب الذم وتبيان عظم الفعل .

وبهذا الكلام نصل إلى أنّ استعمال التوكيد المعنوي (كلّ) مع المؤكّد (الأسماء) قد دلّ على تقرير الله سبحانه وتعالى لتعليمه الأسماء لآدم عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد دفع هذا التوكيد احتمالية عدم دلالة الجمع (الأسماء) على الشمول.

وفي هذا تعظيم للعلم الذي علّمه الله لآدم عليه السلام، وذلك من خلال بيان سعته وكان التوكيد أبلغ في التعبير عن هذا المعنى من قوله: (وعلم آدم الأسماء) لما تتركه هذه العبارة من احتمال عدم الشمول في تعلّم آدم عليه السلام ، والله أعلم.

أما الموضع الثاني الذي استخدمت فيه (كلّ) توكيدا معنويا، فهو قوله تعالى:

﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ (آل عمران/119).

وتقدير هذه الآية « (أنكم تؤمنون بكتبهم كلها وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم مع ذلك تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيءٍ من كتابكم)، وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم»¹.

وفي الآية الكريمة أكدّ لفظ (الكتاب) بالتوكيد المعنوي (كلّ)، لكنّ المقصود هو الجمع كما أوردنا في التقدير، وإنما استعمل المفرد هذا الاستعمال لأنه «ذهب به مذهب الجنس كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس»²، فرغم استعمال كلمة (درهم) في صيغة المفرد، فإنّ المراد هو الجمع (دراهم)، وبهذا فالتوكيد بـ (كلّ) قد دلّ على الإحاطة والشمول في الإيمان بالكتب السماوية كلّها.

1- الرازي فخر الدين (ت604هـ). تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب). دار الفكر. بيروت- لبنان.

ط:1. 1981. ج:8. ص:220.

2- المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وآخر موضع وردت فيه (كلّ) توكيدا معنويا في المدونة هو قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران/154).

والآية حوار بين فئة من الناس والرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الفئة «هم أهل النفاق (الذين قد أهتمتهم أنفسهم)، تخوّف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة»¹، فلا يقدمون على الجهاد إلا وفي قلوبهم شك وريبة وخوف على أنفسهم على عكس المؤمنين الذين يقبلون على الجهاد بلا خوف؛ لأنهم يسلكون بالجهاد طريقا إلى الجنة.

وقد لخص المنافقون هذا الخوف في قولهم: (هل لنا من الأمر من شيء؟) أي «لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا، ما خرجنا إليهم ولا قُتل منا أحد في الموضع الذي قتل فيه بأحد»²، فهم يظنون أنهم يملكون من أمرهم شيئا إن أرادوا الخروج وإن أرادوا لم يخرجوا، وبذلك يحفظون حياتهم.

والملاحظ أنّ كلام المنافقين (هل لنا من الأمر من شيء) جاء بصيغة الأسلوب الإنشائي، وهو استفهام إنكاري، وقد قال أبو حيان إنهم «أكدوا كلامهم بزيادة (من) في قوله (من شيء)، فجاء الردّ مؤكّدا بـ(إنّ)، وبولغ في توكيد العموم بقوله: (كلّه الله) فكان الجواب أبلغ»³.

وبذلك كان الردّ مناسبا للاستفهام، بل هو أقوى منه من ناحية التوكيد، فإذا كان كلام المنافقين مؤكّدا بزيادة الحرف (من)، فإنّ الله سبحانه وتعالى بالغ في توكيد الردّ؛ وذلك باستعمال (إنّ) بداية، ثمّ استعمال (كلّ) للتوكيد على معنى العموم، وإبعاد كلّ توهم أو لبس

¹ - الطبري. تفسير الطبري. ج:7. ص:221.

² - المصدر نفسه. ص:322-323.

³ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:94.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
إذ لا يقع شيء إلا بأمر الله، فلا يُنجي المنافقين من القتل بقاؤهم في منازلهم، وإنما هو أمر
الله الذي يجري على كل شيء، والله أعلم.

2/ استعمال (جميع) في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله:

ولا بد بداية من الإشارة هنا إلى أنّ الألفاظ المذكورة سابقا لا ترد توكيدا معنويا فقط
«فقد تقع معمولة لبعض العوامل ولا تعرب توكيدا لعدم وجود المؤكد، فتعرب على حسب
حاجة ذلك العامل، فاعلا، أو مفعولا، أو مبتدأ، أو خبرا، أو...»¹، ومن هذه الألفاظ ما يحافظ
على معناه، وإن تغير إعرابه، ومنها ما يتغير معناه.

والألفاظ التي تفقد معنى التوكيد إذا كانت معمولة لعوامل أخرى هي: (نفس وعين)
فهما «يخرجان عن مدلولهما في التأكيد تقول: فَاضَتْ نَفْسُ زَيْدٍ، وَفُقِنَتْ عَيْنُ عَمْرٍو، وتقول:
مررتُ بجميعهم، وبعامتهم، وعامتهم يتحدثون، فيبقى جميع وعامة على مدلولهما الذي كانا
يدلان عليه حالة استعمالهما للتوكيد»².

ومن خلال الأمثلة السابقة نجد أنّ دخول عامل على (نفس وعين) غير المؤكدة غير
معناها، إضافة إلى تغيير الإعراب، فـ(نفس) أصبحت تعني الروح، وأصبح يقصد بـ(عين)
العضو في الإنسان، أما لفظي (عامة، وجميع)، فرغم اختلاف العامل والإعراب (اسم
مجرور، ومبتدأ) إلا أنّهما حافظا على دلالة الإحاطة التي يدلان عليها في حالة التوكيد.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 512.

² - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 5. ص: 1955.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

ولم يبق سوى (كلّ)، والتي «يكثر وقوعها عند فقد المؤكّد بعد عامل الابتداء، فتكون مبتدأ ويقل وقوعها بعد غيره»¹، فالأصل في (كلّ) إذا لم ترد لتوكيد أن تكون مبتدأ ولا ترد غير ذلك إلا قليلا.

وإذا عدنا إلى استعمال (جميع) في الربع الأول، فسنجد أنها لم تستعمل توكيدا معنويا لأنها لم تستوف الشروط التي وضعها العلماء، لكنّها وردت دالة على معنى الإحاطة والشمول رغم عدم إعرابها توكيدا، وقد وردت على هذا الشكل سبع عشرة (17) مرة، ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ (البقرة/38).

وقد وردت هذه الآية في سياق قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة، والملاحظ أن كلمة (جميعا) في الآية الكريمة، ورغم دلالتها على العموم والشمول إلا أنها لا تعرب توكيدا معنويا؛ وذلك لعدم إضافتها إلى ضمير يعود على اللفظ المؤكّد، وهي تدلّ على أن «آدم وحواء والحية وإبليس»² أمروا جميعا بالهبوط من الجنة إلى الأرض، والله أعلم.

وإضافة إلى هذا الموضع، فقد وردت (جميعا) أيضا في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة/165).

فجاء لفظ (جميعا) دالا على أنّ «جميع جنس القوة ثابت لله، وهو مبالغة لعدم الاعتداد بقوة غيره»³ وفي هذا دلالة على العموم والشمول والإحاطة، إذ قوة الله عامة تشمل جميع القوى ولا يوجد قيمة لأي قوة أمامها، والله أعلم.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 115.

² - الطبري. تفسير الطبري. ج: 1. ص: 548.

³ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 2. ص: 95.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي سياق تحريم الله لقتل النفس إلا بالحق قال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة/32).

وقد جاءت هذه الآية بعد قصة ابني آدم قابيل وهابيل، وما كان فيها من قتل الأخ لأخيه بغير وجه حق، وقد شبه الخطاب القرآني قتل النفس بغير حق بقتل الناس جميعاً وشبه إحياءها بإحيائهم جميعاً، وأدى استعماله تعالى لـ (جميعاً) إلى الدلالة على الشمول وفي هذا «تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشتنر الناس من الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأنّ المتعرض لقتل النفس تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عَظُمَ ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها»¹.

وبذلك فقد أدى استخدام كلمة (جميعاً) والتي تدلّ على الشمول والعموم والإحاطة إلى تعظيم شأن النفس عند الله، وفي ذلك زجر لمن يريد قتلها وترغيب لمن يريد إحياءها، والله أعلم.

د- التوكيد بـ (أجمع وأكتع وأبصع وأبتع):

إضافة إلى ألفاظ التوكيد السابقة الذكر، فقد استعمل العرب ألفاظاً أخرى، وهي قليلة الاستعمال إذا قورنت بالألفاظ الأولى، وهي: (أجمع، وأكتع، وأبصع، وأبتع).

وإذا كان شرط الألفاظ السابقة أن تشتمل على ضمير يعود على المؤكد، فإنّ هذا الشرط يسقط في هذه الألفاظ، فإنّه «لا تجوز إضافتها»²، وقد خصّ العلماء كلّ لفظ من هذه الألفاظ بمجموعة من الشروط، كما أنّهم حددوا معانيها واستعمالاتها، وفصلوا الحديث في إعرابها، وذلك على هذا النحو:

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:2. ص:228.

² - الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللّم لابن جني. ص: 279.

1/ معانيها واستعمالاتها:

ونبدأ الحديث والتفصيل في هذه الألفاظ باللفظ (أجمع)، وقد اشترط العلماء للتوكيد به شروطاً، فهو عندهم لا يستعمل في التوكيد إلا إذا سبق بلفظ التوكيد (كلّ)، «فإنما يؤكّد بـ (أجمع) بعد (كلّ)»، قال الله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر/30) ... وزعم الزجاج أنه إذا قيل: (قَامَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ)، احتمل أن يكونوا قاموا مجتمعين أو متفرقين، وأنه إذا قيل: أجمعين أفاد أن قيامهم في زمن واحد، وأنّ هذا هو السبب في ذكر (أجمعين) بعد (كلّهم) في الآية¹.

وهذا المثال إذن يبيّن الغرض من استعمال (أجمعين) في الكلام، فكأنّ في قولهم (كلّهم) توكيداً على قيامهم جميعاً، وفي قوله (أجمعين) توكيداً على قيامهم جميعاً في وقت واحد، وفي هذا توكيد للتوكيد وزيادة في توضيح المعاني، ودفع للبس عنها.

وكما وردت (أجمع) بعد (كلّ) في هذه الآية للتوكيد، فقد ترد دونها أيضاً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة/13)، وفي هذه الآية دليل على أنه لا فرق في المعنى بين (كلّ) و(أجمع)، فمن المعلوم أنّ النّاس ليسوا مجتمعين في جهنّم، فجهنّم دركات، فمنهم من هو في الدرك الأسفل منها، ومنهم من هو بخلاف ذلك².

وبذلك يصبح استعمال (أجمع) للتوكيد مماثلاً في الدلالة للتوكيد بـ(كلّ)؛ أي أنّ استعمالها دال على توكيد الإحاطة والشمول من غير الدلالة على الإحاطة والشمول في زمن واحد، فإن اقترنت (أجمع) بـ (كلّ) كان المعنى أكثر توكيداً، وبذلك يتعدى التوكيد مثلاً في

¹ - هادي نهر. شرح اللّحة البديّة. ج: 2. ص: 290.

² - انظر: ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 272.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

قولنا (قام القوم كلهم أجمعون) الدلالة على الإحاطة والشمول، إلى الدلالة على قيامهم في وقت واحد، والله أعلم.

أما استعمالات (أجمع)، فهي استعمالات (كل) نفسها؛ وذلك لارتباطها بها في الكثير من السياقات، فهي تستعمل مع المفرد والجمع، «فتقول (اشتريتُ العبدَ كلهُ أجمع) و(الأمّة كلها جمعاء) و(العبيد كلهم أجمعين) و(الإماء كلهنّ جمع) ...، ولفظ (أجمع) لا يثنى، فلا يقال: (أجمعان ولا جمعاوان)، وهذا مذهب جمهور البصريين»¹.

أما عن استعمالات (أجمع) في آيات الربع الأول من القرآن الكريم، فقد وقفنا على ثلاثة (3) استعمالات لها، وقد جاءت فيها جميعا منفردة دون (كل)، فقد وردت في قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة/161)، كما وردت في قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (آل عمران/87).

فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبة الكفار في الآيتين اللعن، ولم يكتف بلعنهم وإقصائهم وإبعادهم من رحمته سبحانه، وكفى بها عقوبة، فقد كان يستطيع القول: (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ)، فيكون غضب الله كاف.

لكنه عطف عليها قوله: (وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ)، فبالإضافة إلى أنّ الله يعاقب الكفار بلعنهم سبحانه، فإنه يضيف لهذه العقوبة لعن الملائكة والناس، «أما لعن الملائكة لما في النفوس من

¹ - ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ص: 328.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

عظم شأنهم وعلو منزلتهم وطهارتهم، أما لعن الناس لأنهم من جنسهم فهو شاق عليهم، لأنّ مفاجأة المماثل مما يدعي المماثلة بالمكروه أشق بخلاف صدور ذلك من الأعلى»¹.

ولم يكتف الله بجعل العقوبة تشمل لعنه تعالى وملائكته والناس، بل أكد أنّها تشملهم جميعا بقوله (أجمعين)، فكان في استعمال التوكيد المعنوي هنا إضافة إلى معنى التقرير زيادة في قوة الدلالة؛ أي أنّ التوكيد هنا قد دلّ على أنّ عقابهم وعذابهم أليم وعظيم، والله أعلم.

وإضافة إلى هذا المعنى، فقد استعمل الخطاب القرآني التوكيد بـ(أجمع) في قوله:

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام/149).

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/148)، فكان ردُّ الله (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) والمقصود بالحجة البالغة كما قال أبو حيان: «أن خلق عقولا يفكر بها وأسماعا يسمع بها وكلّ هذه مدارك للتوحيد ولاتباع ما جاءت به الرّسل عن الله»²، وفي هذا حجة على كلّ إنسان مشرك لم يستعمل عقله، وأعرض عن كلام الله فلم يسمعه، ولم يؤمن به ولم يوحد.

ولما كانت هذه حال الإنسان في الأرض، فالله يقول ردا على المشركين إنه لا «يحمل عباده على الإيمان والطاعة على سبيل القهر؛ لأنّ ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف»³، فالله سبحانه وتعالى له القدرة على هداية الناس بل أكدّ أنه يهدي كلّ الناس لو شاء ذلك.

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:1. ص:636.

² - المصدر نفسه. ج:4. ص:249.

³ - الرازي. تفسير الفخر الرازي. ج:13. ص:239.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد أكد الخطاب القرآني الضمير المتصل (كم) في قوله: (هَذَاكُمْ) بالتوكيد المعنوي (أَجْمَعِينَ)؛ ليؤكد أنّ هداه لو شاء يشمل، ويكون محيطا عاما لجميع الناس، لكنّ الله جعل التكليف مرتبطا بما رزقه الله عباده من عقول، وآذان توصلهم إلى التوحيد، ولم يجعل الهداية والتوحيد على سبيل القهر والإجبار، والله أعلم.

2/ إعرابها:

أما إعراب هذه الألفاظ، فتجدر الإشارة هنا أنّ ألفاظ التوكيد السابقة (أَجْمَعُ، وَجَمَعَاءُ وَجُمِعَ) لم يلحقها التتوين كما أنّها في حال الجر تجر بالفتحة النائية عن الكسرة؛ لأنّ «ما كان من ألفاظ التأكيد على وزن (أَفْعَلْ) كأجمع أو (فَعَلَاءَ) كَجَمَعَاءُ أو (فُعَلْ) كَجُمِعَ؛ فإنه لا ينصرف»¹.

وقد ألق العلماء بـ (أجمع) ألفاظا أخرى للتوكيد، فهي للتوكيد المعنوي، وتحمل معنى (أجمع)، ولا تأتي في الكلام إلا بعدها، وهذه الألفاظ «تجيء مجتمعة أو غير مجتمعة مرتبة وجوبا بعد (أجمع) وفروعها، وهي بمعناها... وتفيد فائدتها في تقوية معنى (كلّ) إن وجد في الكلام لفظ (كلّ)»²، وإنّما يكون استعمالها زيادة في التوكيد، فهي بمعنى (أَجْمَعُ). وهذه الألفاظ هي «أَكْتَعُ، وَأَبْصَعُ، وَأَبْتَعُ»³، وبهذا تصبح ألفاظ التوكيد المعنوي الدال على الإحاطة والشمول تشمل: كلّ، وجميع، وعامة، وأجمع، وأكتع، وأبصع، وأبتع، وفي استعمالها إزالة للبس، وتوكيد على معنى الشمول، والله أعلم.

ولم نقف في آيات الربع الأول من كتاب الله إلا على استعمال (كلّ)، و(أجمع)، أما بقية الألفاظ، فلم نقف على استعمالها، والله أعلم.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 272.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 518.

³ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 111.

ثانيا/ تعدد التوكيد:

أجاز علماء اللغة تعدد ألفاظ التوكيد، إذ يمكن أن تتعدد ألفاظ التوكيد، ويكون المؤكّد واحدا، وتختلف أحكام التعدد بين التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، أما التوكيد اللفظي «فلا يصح تكرار لفظ المؤكّد أكثر من ثلاث مرات كقول الشاعر:

أَلَا حَبْدًا حَبْدًا حَبْدًا صَدِيقٌ تَحَمَّلَتْ مِنْهُ الْأَذَى¹.

فقد أُكِّدَت كلمة (حبذا) الدالة على المدح بتكرارها مرتين، وبذلك تعدد توكيدها.

أما التوكيد المعنوي، فقد تجتمع ألفاظ التوكيد المعنوي لمؤكّد واحد، عند ذلك يكون ترتيبها وفق هذا المنوال، فيكون التوكيد «بالنفس، فالعين، فكلّ، فأجمع، فأكتع، فأبصع فأبتع وأنت مخير بين أبتع وأبصع أيهما شئت قدّمته»².

وإذا جاز أن يفصل بين النعوت في حال تعددها بحرف عطف، فإنّ ألفاظ التوكيد المعنوي إذا اجتمعت لا يجوز الفصل بينها بحرف عطف، «فلا يقال: (قَامَ زَيْدٌ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ) ولا (جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَأَجْمَعُونَ)، لاتحادهما في المعنى»³، فالغاية من تعدد هذه الألفاظ هي الزيادة من توكيد المعنى نفسه، فالمعنى واحد، في كلمة (نفس) و(عين) ولذلك لم يجر تعاطفها.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 526.

² - السيوطي. الأشباه والنظائر. ج: 2. ص: 123.

³ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 206.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذه الألفاظ كلّها مرتبطة بلفظ المتبوع، وإنّما جاءت لتوكيد المتبوع أو اللفظ الأوّل «وليس الثاني تأكيدا للتأكيد»¹، فكلمة (أجمعون) مثلا في قولك: (قَامَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) ليست من باب توكيد التوكيد (كلّ) بل هي توكيد ثانٍ لكلمة (القوم)، والله أعلم.

ثالثا/ تقديم التوكيد على المؤكّد وحذفه والفصل بينهما:

إنّ الغرض من التوكيد هو البيان والتوضيح وإزالة الإبهام الذي يسببه استعمال المجاز في اللغة العربية، فيكون التوكيد هو البيان، واللفظ المؤكّد هو المبهم أو الغامض، وهذا يجعل تقديم التوكيد على المؤكّد ممنوعا؛ «لأنّ معناه البيان، فلا يتقدم المبيّن»²، فأنت تأتي في الكلام بالغامض أو المبهم الذي فيه لبس ثمّ تتبعه بكلام يبيّن هذا اللبس والغموض، فلا تُقدّم التوضيح على الغامض (الموضّح)، وكذلك التوكيد يزيل اللبس عن الكلمة التي قبله، فلا يمكن أن يتقدّم عليها.

أما حذف المؤكّد ففيه خلاف بين من أجاز وبين من منع، فقد «أجاز الخليل وسيبويه وابن طاهر وابن خروف، فيقال في "الذي ضربته نفسه زيد": "الذي ضربت نفسه زيد"... ومنعه الأخفش والفارسي وابن جني وثعلب»³.

فالذي أجاز حذف المؤكّد يجيز (الذي ضربت نفسه زيد)، فيصبح (نفسه) توكيد لمؤكّد محذوف هو (الضمير المتصل (هاء)) في قولنا: (الذي ضربته نفسه زيد)، ولعلّ الرأي الثاني أي منع حذف المؤكّد أقرب عندنا إلى الصواب؛ لما علمنا من أغراض التوكيد، فإذا

¹ - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1954.

² - علي بن سليمان الحيدرة اليمني. كشف المشكل في النحو. ص:407.

³ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ص:205.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

كان الغرض منه هو التبيين والتوضيح، فإنّ حذف المؤكّد سيؤدّي إلى غموض المعنى وإن ذكر لفظ التوكيد، وهذا يتعارض مع وظيفة التوكيد، والله أعلم.

وإذا كان الفصل بين النعت والمنعوت جائزا ببعض الفواصل، فإنّ التوكيد والمؤكّد «لا يجوز الفصل بينهما بما ليس بينهما علاقة، ويجوز إن كان بينهما علاقة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ (الأحزاب/51)، فكلمة تأكيد لنون الإناث»¹، وقد فصل بينهما بـ (بما آتيتهن)، وجاز ذلك لوجود علاقة بين المؤكّد (النون) وهذه الجملة.

وإضافة إلى هذا فقد أجاز بعض العلماء الفصل بين المؤكّد والتوكيد بـ(إمّا) ومنعه آخرون، نحو: (مررتُ بقومك إمّا أجمعين وإمّا بعضهم)².

وفي الأخير يمكن أن نقول إنّ للتوكيد أحكاما يختص بها هي أنه لا يتقدّم على اللفظ المؤكّد، ولا يُقطع عنه، ولا يجوز أن يحذف إلا عند بعض علماء اللغة، ولا يفصل بينه وبين المؤكّد إلا عند فئة من علماء اللغة أيضا، والله أعلم.

أما استعماله في الربع الأول من القرآن الكريم، فقد كان ضيقا إذا قرن باستعمال النعت، وكان موزعا بين التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي.

أما التوكيد اللفظي فجاء موزعا على عدّة صور، إذ أكّد الظاهر بالظاهر لقرير المعاني وإبعاد التردد والإبهام، وكان استعمال التوكيد بما يناسب طبيعة المخاطب في الآية، وسبب نزولها، كما أكّد الضمير المتصل والمستتر، أما النوع الأول فأكثر السياقات التي ورد فيها كان ضمير فصل، وأما النوع الثاني فقد ورد في سياق توكيد الضمير المرفوع ليجوز العطف عليه.

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص: 1953-1954.

² - انظر: المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:.....التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم

وأما التوكيد المعنوي فكان وروده في آيات الربع الأول من الذكر الحكيم ضيقاً جداً، إذ رصدنا استعمال لفظي التوكيد (كلّ، وأجمع) فقط، إضافة إلى استعمال اللفظ (جميعاً) في عدّة آيات، والذي لا يُعرب توكيدا معنوياً؛ بسبب عدم توفره على أحد شروط التوكيد به، وهو ارتباطه بضمير يعود على المؤكّد، وقد اجتمعت ألفاظ التوكيد المعنوي المستخدمة في الدلالة على معنى الشمول والإحاطة، وإن اختلف الغرض من استخدام كلّ لفظ حسب اختلاف السياق الذي ورد فيه، وهذا ما بيّناه سابقاً، والله أعلم.

✍ الفصل الثالث: البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن

الكريم

المبحث الأوَّل: البدل مفهومه وأنواعه:

أولا/ مفهوم البدل.

ثانيا/ أنواع البدل.

المبحث الثاني: صور البدل وأغراضه في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم:

أولا/ بدل كلِّ من كلِّ .

ثانيا/ بدل بعض من كلِّ.

ثالثا/ بدل الاشتمال.

رابعا/ البدل على المحل.

خامسا/ البدل من اسم الإشارة.

سادسا/ البدل من المنادى.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

بعدهما تنقلنا في الفصلين السابقين بين النعت والتوكيد، وذلك بالوقوف عندهما في الدرس النحوي وكذلك البلاغي سنقف في هذا الفصل- إن شاء الله- على ثالث تابع من التوابع، وهو البديل وذلك من خلال بيان مفهومه وأنواعه، وما يأتي من أجله من أغراض بلاغية، وسيتم في هذا الفصل أيضا البحث عن البديل وأغراضه في الربع الأول من كتاب الله.

و سيكون العمل في هذا الفصل في مبحثين، أما المبحث الأول فسنناول فيه ما تعلق بالبديل من مفهوم وأنواع انطلاقا من المفهوم اللغوي ومرورا بما وضعه علماء اللغة من حدود لهذا المصطلح، وانتهاء إلى الأنواع التي أقرها العلماء لهذا التابع، وسنقف ونحن نتحدث عن بدل كل من كل على العلاقة بينه وبين العطف المسمى عطف البيان.

هذا بالنسبة للمبحث الأول، أما المبحث الثاني فسنخصصه لتسليط الضوء على الاستعمال القرآني للبديل في الربع الأول من كتاب الله، وذلك بالوقوف عند صورته وأشكال وروده، وذلك بربطها بسياقاتها القرآنية لبيان الغرض البلاغي من استعماله.

المبحث الأول: 

البدل مفهومه وأنواعه

أولا/ مفهوم البدل:

1- البدل لغة:

البدل في اللغة كما أوردت المعاجم اللغوية هو الخلفُ والعوضُ، فقد جاء في لسان العرب أن بدل الشيء هو «الخلفُ منه»¹، وهو عند مجمع اللغة في المعجم الوسيط «الخلفُ والعوضُ»² أيضا، فالبدل لغة إذن يكون خلفا من الشيء الذي أُبدل منه وعوضا عنه، فهو يحلُّ محله.

2- البدل في الاصطلاح:

قد أشرنا فيما سبق أن البدل واحد من التوابع التي تتبع ما قبلها في إعرابه، ولا بد في بداية وقبل الوقوف على مفهوم مصطلح (البدل) من الإشارة إلى أن مدرستي البصرة والكوفة تستخدمان مصطلحات مختلفة للتعبير عن هذا التابع، وتسمية البدل «هي للبصريين أما الكوفيون فقد اختلفوا فيها، قال الأخفش: يسمونه الترجمة والتبيين وقال ابن كيسان يسمونه: التكرير»³.

ورغم أن جميع هذه المصطلحات تطلق على هذا النوع من التوابع، إلا أن «المعنى النحوي يتضح بصورة أدق في المصطلح البصري، ومن ثم كتبت له الذبوع والاستمرار»⁴ ومن هنا كان استعمال مصطلح (البدل) هو أكثر المصطلحات ارتباطا، وتعبيرا عن هذا الباب النحوي؛ ولذلك كان أكثر المصطلحات استعمالا.

¹ ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان. ط:3. 1994. مج:11. مادة (ب د ل). ص:48.

² مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة (ب د ل). ص:44.

³ السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:212.

⁴ عادل خلف. نحو اللغة العربية. ص:213.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد عرّف البديل من طرف الكثير من علماء النحو، إذ عرفه السيوطي، فقال: «هو التابع المقصود بحكم بلا واسطة»¹، فكونه تابعا يجعله يتصف بما تتصف به التوابع من تبعية للاسم الذي قبلها، لكنّه يتميّز بكونه المقصود بالحكم، ولا يتوسط بينه وبين متبوعه واسطة.

وأما قوله: (بلا واسطة) فالمقصود به عدم توسط حرف بين البديل والمبدل منه، وأما قوله: (المقصود بالحكم)، فالمراد به أنّ البديل هو المقصود بالحكم الذي تتضمنه الجملة وليس المبدل منه، فمثلا في قولنا: «(جاءَ الأستاذُ وليدٌ)... فنسبة الحكم في المثال السابق للفظ (الأستاذ) توطئة، وليس (الأستاذ) مقصودا بالحكم وإنما المقصود هو (وليد)»²، فكانت كلمة (وليد) بدلا من كلمة (أستاذ)، وهي المقصودة بحكم (المجيء)، كما أنه لم يتوسط بين البديل والمبدل منه أي واسطة.

وإنّ كون البديل هو المقصود بالحكم يجعلنا نفرّق بينه وبين بقية التوابع «من نعت وتوكيد وعطف بيان، لأنّ كلّ واحد منهما مكملّ للمقصود بالحكم»³، فالنعت إنّما يؤتى به كما أسلفنا لتوضيح المنعوت أو تخصيصه، والتوكيد يؤتى به لإزالة اللبس والاتساع، فهما غير مقصودين بالحكم، وإنّما جاءا لتوضيح المقصود بالحكم وهو المتبوع، أما عطف البيان فبينه وبين البديل المُسمى (بديل كلّ من كلّ) تداخل سنقف عنده بالتفصيل في هذا الفصل إن شاء الله.

وإضافة إلى هذا فإنّ هذا الحدّ يُخرج الاسم المعطوف من باب البديل، وإن كان في حرف العطف ما يدلّ على أنّ التابع هو المقصود بالحكم، فيخرج «المعطوف بـ (بل) نحو:

¹ - السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 212.

² - محمد أسعد النادري. نحو اللغة العربية. المكتبة العصرية. لبنان. ط: 2. 1997. ص: 837.

³ - فهد خليل زايد. التوابع بين الألفية والواقع. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع. عمان - الأردن. ط: 1. 2003. ص: 115.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

(جاء زيدٌ بل عمرو)، ويخرج المعطوف بالواو، ونحوها¹، فيخرج المعطوف بـ (الواو) ونحوها، لأنه يتبع بتوسط حرف هو حرف العطف، ويخرج المعطوف بـ (بل)، وإن كان التابع فيه هو المقصود بالحكم للسبب ذاته.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الفرق بين النعت والبديل هو كون الأصل في النعت الاشتقاق بينما الأصل في البديل أن يأتي جامداً، «فالأغلب أن يكون البديل جامداً، فإن كان مشتقاً وصحّ أن يُعرب إعراباً غير البديل كان هذا الإعراب أحسن»²، والله أعلم.

وإذا عدنا إلى التعريف السابق وجدنا أنّ عبارة (المقصود بالحكم) تُوحى بأنّ أهميته في الجملة أكبر من أهمية المبدل منه، وأنّ «المقصود هو البديل دون المبدل، وإنّما ذكر المبدل على طريق التأكيد، ولهذا إذا حذفت الأول قام الثاني مقامه وأغنى عنه»³.

وكانّ هذا الكلام يوحي بأنّ المبدل منه زائد في الكلام ولا يجب ذكره، ففي المثال السابق مثلاً، يمكن حذف المبدل منه (الأستاذ)، ويبقى المعنى تاماً صحيحاً، فنقول: (جاء وليدٌ)، لأنه هو المقصود بحكم المجيء.

وإذا ركّزنا في هذه الجملة، فنلاحظ ولا شك أنّه، ورغم أنّ حذف المبدل منه لم يخل بتركيب الجملة، فهي سليمة التركيب (فعل + فاعل)، إلا أنّها أصبحت أقلّ وضوحاً وبيانا من الجملة التي ورد فيها البديل؛ أي: (جاء الأستاذ وليدٌ)، «ألا ترى أنّه يقول: (جاءني زيدٌ) فيشكُّ أيُّ الزيدين جاءه أ أخوك أم غيره؟ فإذا قال: (جاءني أخوك) فيلتبس عليك، أي إخوتك

¹ - فهد خليل زايد. التوابع بين الألفية والواقع. ص: 115.

² - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ - الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللمع لابن جني. ص: 292.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

أزيد أم غيره من إخوتك؟ فإذا قال: (جَاعَيْ زَيْدٌ أَخُوكَ)، ولما أتى بمجموعي الاسم زال اللبس وتبين المعنى»¹.

وهذا يعني أنه ورغم كون البديل هو المقصود بالحكم، إلا أنّ حذف المبدل منه ينقص في وضوح الدلالة. ولعلماء النحو في حذف لفظ المبدل منه من الكلام آراء مختلفة، «فقيل يجوز وعليه الأخفش وابن مالك نحو: (أَحْسِنُ إِلَى الَّذِي وَصَفْتَ زَيْدًا)، أي وصفته، ومنه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ﴾ (النحل/ 116)، وقيل لا وعليه السيرافي وغيره لأنّ البديل للإسهاب والحذف ينافيه»².

ولعلّ الرأي الصواب عندنا في هذا الباب هو رأي السيرافي ومن ذهب مذهبه؛ أي عدم جواز حذف المبدل منه؛ وهذا راجع للغرض من إيراد البديل، فإذا كان البديل لا يرد إلا لبيان وتوضيح اللبس والغموض الوارد في المبدل منه، فمن الأولى إذن أن يذكر الغامض ليأتي بعده ما يوضحه لا أن يحذف، وذلك زيادة في التوضيح، والله أعلم .

وفي الأخير فإنّ هذا العرض لآراء العلماء في هذا الموضوع يجعلنا نرى أنّ البديل هو الاسم الذي يأتي جامدا غالبا، ويكون مقصودا بالحكم في الجملة، وذلك دون توسط حرف أو واسطة بينه وبين المبدل منه، ويؤدي استعماله مع المبدل منه إلى إزالة اللبس وتبيين المعنى.

¹ - علي بن سليمان الحيدرة اليمني. كشف المشكل في النحو. ص:309.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:222.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ثانيا/ أنواع البديل:

لقد قسم علماء النحو البديل إلى أنواع مختلفة، وإنما اعتمدوا في تقسيمهم على العلاقة بين البديل والمبدل منه، وهذه الأنواع هي:

1- بديل كل من كل:

وهذا أول أنواع البديل، وقد أطلق عليه النحويون عدة تسميات كلها تدل على علاقة التطابق بين البديل والمبدل منه، ومن هذه التسميات (بديل موافق من موافق)، و(بديل الشيء من الشيء)¹.

وإذا عدنا إلى مصطلح (بديل المطابق)، سنجد أن هذا المصطلح قد استعمل عند ابن مالك، وقد أطلقه عليه « لوقوعه في اسم الله تعالى نحو: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم/1)، في قراءة الجر، وإنما يطلق (كل) على ذي أجزاء وهو ممتنع هنا²؛ لأنه مرتبط بلفظ الجلالة، وهذا ما جعل ابن مالك يختار هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات، لأنه يتناسب مع لفظ الجلالة في المقام الأول كما أنه يتناسب مع العلاقة بين البديل والمبدل منه في هذا النوع في المقام الثاني.

والواضح أن هذه التسميات جميعا تدل على التطابق بين البديل والمبدل منه في هذا النوع من البديل، وبديل كل من كل كما عرفه المبرد «هو أن تبدل الاسم من الاسم إذا كانا لشيء واحد، معرفتين كانا، أو معرفة ونكرة، أو مضمرا ومظهرا، أو مضمرين أو مظهرين وذلك نحو قولك: مَرَرْتُ بِأَخِيكَ زَيْدٍ»³.

¹ - انظر: أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1965.

² - الصبّان محمد بن علي (ت1206هـ). حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ضبط وتصحيح وتخرّيج الشواهد: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 2002. مج: 3. ص: 183.

³ - المبرد. المقتضب. ج: 4. ص: 295.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

فقد أُبدل المجرور (أخيك) بالبديل (زَيْدٍ) في المثال الذي قدّمه المبرد؛ لأنهما لشيء أو شخص واحد، والواضح من خلال هذا التعريف أيضاً أنه لا يجب التطابق بين المبدل منه والبديل في كلّ الأمور، أي في التعريف والتكثير والجنس والعدد، وهذا ما سنفصّل الحديث فيه في العنصر اللاحق، إن شاء الله.

وإذا كان شرط النّعت كما ذكرنا سابقاً أنّ لا يكون مطابقاً للفظ منعوته، بينما يكون التوكيد اللفظي بإعادة اللفظ، فإنّ هذه المسألة في البديل تتضح من خلال قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة/6-7)، فالصراط الثاني بدل من الأول، وهو هو، لأنّ الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم¹ فالكلمتان تدلان على شيء واحد، فأبدل لفظ (الصراط) في قوله: (الصراط المستقيم) بـ لفظ (صراط) في قوله: (صراط الذين أنعمت عليهم).

وظاهر البديل والمبدل منه في هذه الآية من سورة الفاتحة هو أنّهما من لفظ واحد وكأنّ هذا من قبيل إعادة لفظ المتبوع، وهذا من باب التوكيد، لكن الفرق بين التوكيد والبديل في هذه الآية أنّ الدلالة في التابع والمتبوع في التوكيد متطابقة، نحو: (جاء جاء زيد)، فدلالة الفعل واحدة، أما في الآية السابقة، فقوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) أكثر بيانا ووضوحاً من قوله تعالى: (الصراط المستقيم).

والقاعدة إذن أنه جاز اتّحاد لفظ البديل مع لفظ المبدل منه كما في الآية الكريمة، «لأنّ الثاني أفاد زيادة بيان وإيضاح»²، فلفظ البديل (صراط) في الآية الكريمة قد وضّح وبيّن معنى الصراط المستقيم؛ بأن فسّره بصراط الذين أنعمت عليهم.

¹ - ابن يعيش. شرح المفصّل للزمخشري. ج:2. ص:259.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج:3. ص:665.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد منع العلماء في هذا النوع من البديل أن يتقدم التابع على المتبوع، فمنعوا أن يتقدم بديل الكل على المبدل منه؛ «لأنه لا يدري أيهما المعتمد عليه»¹، ففي المثال السابق مثلاً: (مررت بأخيك زيد) لا يجوز تقدم البديل (زيد) على المبدل منه (أخيك)، فلو قدمنا لما فرقنا وتعرفنا على اللفظ المقصود بالحكم.

ولا يذكر بديل كل من كل دون ذكر عطف البيان لما بينهما من تداخل، هذا التداخل الذي جعل عطف البيان يلتبس والبديل إلى حد يصعب التمييز بينهما، وهذا ما أدى ببعض الدارسين إلى الدعوة إلى ضرورة إسقاط عطف البيان والاكتفاء بالبديل فقط، وقد أشار ابن هشام إلى هذه المسألة، فقال: «يجوز أن يعرب بدل (كل من كل) كل عطف بيان إن لم يجب ذكره ك: (هَذَا قَامَ زَيْدٌ أَخُوها)، ولم يمتنع إحلاله محلّ الأول، نحو: يَا زَيْدَ الحارث»².

فكلمة (أخوها) في المثال الأول إنما هي عطف بيان، لأنه لا بد من ذكره، فلا يمكن أن نقول: (هَذَا قَامَ زَيْدٌ) وكلمة (الحارث) أيضاً عطف بيان؛ لأنه لا يمكن أن تحل محلّ المبدل من (زيد)، فنقول: (يا الحارث).

بل ذهب الأسترابادي أبعد من هذا إذ قال: «لم يظهر لي فرق جليّ بين بدل كل من كل وبين عطف البيان، بل لا أرى إلا البديل»³، وعلى هذا الأساس ذهب إلى إسقاط عطف البيان والاكتفاء ببديل كل من كل.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 222.

² - ابن هشام عبد الله (ت761هـ). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تقديم: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 2. 2004. ص: 378.

³ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 113 وانظر: إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. ص: 123.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذا ما ذهبنا إليه في هذا البحث؛ لأنّ الغرض الأول الذي نرمي إليه إنّما هو الوقوف عند استعمالات التوابع، وتتبع الأغراض البلاغية لهذا الاستعمال، وكلّ من (بدل كلّ من كلّ) و(عطف البيان) إنّما يُؤتى بهما لنفس الأغراض، أي التبيين والتوضيح، والله أعلم.

2- بدل بعض من كلّ:

وبدل بعض من كلّ أو جزء من كلّ هو النوع الثاني من أنواع البدل، وفيه يكون البدل جزءاً من المبدل منه، ويستعمل هذا النوع من البدل إذا كان المبدل منه ينقسم إلى أجزاء وأراد المتكلم أن يبيّن جزءاً محدداً؛ كي لا يتوهم السامع خلاف المقصود من الكلام. وبدل بعض من كلّ كما عرفه المبرد: «أن تبدل بعض الشيء منه، لتعلم ما قصدت له، وتبيّنه للسامع، وذلك قولهم: ضربتُ زيداً رأسه»¹، فكلمة (رأسه) هي بدل من كلمة (زيداً)، وهي جزء منه، وقد أدى استعمالها إلى توضيح مكان الضرب وتبيّنه للسامع؛ وذلك لتعدد وتنوع الاحتمالات الدالة على مكان الضرب، فكان البدل (رأس) في هذا الشاهد مبيناً للجزء من زيد الذي كان فيه الضرب؛ ليزول احتمال الضرب عن الأجزاء الأخرى كاليد والبطن وغيرهما.

3- بدل الاشتمال:

إذا كان بدل بعض من كلّ مرتبطاً بجزء حقيقي من أجزاء المبدل منه، فإنّ بدل الاشتمال يرتبط بالصفات أو الأشياء التي لها علاقة بالمبدل منه، ولا تكون جزءاً منه «فأكثر وروده بالأوصاف، نحو: أعجبتني زيدٌ علمه وأعجبتني الجارية ظرفها، وقد جعلوا منه ما كان ذاتاً، نحو: سرق زيدٌ ثوبه، وسرق زيدٌ فرسه وسرني زيدٌ قلنسوته»².

¹ - المبرد. المقتضب. ج:4. ص:296.

² - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1966.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذه الأمثلة جميعا تبين أنّ بدل الاشتمال لا يرتبط بالأوصاف المعنوية فقط، بل قد يرتبط بأشياء مادية ليست جزءا حقيقيا من المبدل منه، وإنما لها علاقة به، ولعلّ أدقّ تعريف وقفنا عنده لهذا النوع من البدل هو أنّه البدل الذي «بينه وبين المبدل منه تعلقٌ ما عدا نسبة الجزئية»¹، لأنّ نسبة الجزئية يختص بها بدل بعض من كلّ كما بيّنا سابقا.

4- بدل الإضراب:

وبدل الإضراب كما يبدو من اسمه هو ما كان فيه بين البدل والمبدل منه معنى الإضراب، وذلك بترك المبدل منه وإثبات البدل، يطلق على هذا النوع من البدل أيضا اسم «بدل البداء (يسمى بذلك، لأنّ المتكلم بدا له ذكره بعد ذكر الأول قصداً)، وهو ما لا تتناسب بينه وبين الأول.... ولا تلازم بل هما متباينان لفظا ومعنى، نحو: مررتُ برجلٍ امرأةٍ»².

والملاحظ في المثال السابق أنّه قد أُبدلت كلمة (رجلٍ) بكلمة (امرأةٍ)، وهما مختلفان في اللفظ، متباينان في المعنى، وقد أخبر المتكلمُ السامعَ في البداية بخبر هو مروره برجلٍ ثمّ بدا له أنْ يخبر بمروره بامرأةٍ دون أنْ ينفي أو يثبت مروره بالرجل.

وانطلاقاً من هذا الكلام يتّضح أنّه في بدل الإضراب «يُذكر المبدل منه قصداً، ولكن يُضرب عنه المتكلم، أي ينصرف عنه ويتركه مسكوتا عنه من غير أن يتعرض له بنفي أو إثبات ويتجه إلى البدل»³.

ففي المثال السابق ذكر المبدل منه (رجلٍ) قصداً، ثمّ ذكر البدل (امرأةٍ)، فصار هذا الكلام «كخبرين مصرح بها، إذ التقدير: مررتُ برجلٍ مررتُ بامرأةٍ»¹.

¹ - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1966.

² - السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:214.

³ - عباس حسن. النحو الوافي. ج : 3. ص: 671-672.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذا ما يجعل هذا النوع من البدل يحمل الكثير من اللبس، فإنّ حمل هذه الجملة على سبيل الإخبار بالمرور بالرجل وبالمرور بالمرأة لا يتفق مع كون البدل هو المقصود بالحكم وبذلك لا يصح أن يكون لفظ (امرأة) بدلا من لفظ (رجل).

وقد أدى هذا اللبس إلى إنكار بعض علماء اللغة لهذا النوع من البدل، ومن ثمّ «جعلوه ضمن باب ما حذف منه حرف العطف، نحو: أكلتُ لحمًا سمكًا تمرًا، أي لحمًا وسمكًا وتمرًا»².

ولكنّ بعض العلماء ذهبوا إلى إثباته؛ لما وجدوا من استعمال له، وعلى «رأسهم سيبيويه وابن مالك...، ومثّل له ابن مالك وغيره بحديث أحمد وغيره: « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ نِصْفُهَا تَلْتُهُا»، أخبر أنّه قد يصلّيها وما كتب له نصفها، ثمّ أضرب عنه وأخبر أنّه قد يصلّيها، وما كتب له تلتها»³.

ورغم أنّ هذا الحديث دليلٌ من أثبت هذا النوع من البدل وحثهم على وجوده، إلاّ أنّه يمكن تأويله من منطلق حذف حرف العطف، فيصبح: (إنّ الرجل ليصلي الصلاة ما كتب له نصفها وما كتب تلتها).

والرأي عندنا أنّ هذا النوع من البدل يمكن أن يستعمل في الكلام إذا أمن اللبس كحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فكلامه لا يمكن إدراجه ضمن الغلط أو النسيان، أما في مثل قولنا: مررت برجلٍ امرأةٍ، فلا يوجد في الجملة ما يدلّ على معنى الإضراب، فهناك احتمال أنّ الكلام من باب الغلط أو النسيان، وفي هذا لبس، والله أعلم.

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1970.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

³ - السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 214. وقد أخرج الحديث الإمام أحمد بن حنبل في مسنده. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط: 1. 2008. ج: 7. ص: 623.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

5- بديل الغلط:

والمقصود ببديل الغلط أنّ المبدل منه ذكر خطأ في الكلام، وإنّما يُؤتى بالبديل بعده كنوع من التصحيح، فيكون هذا النوع من البديل في « ما ذكر فيه الأوّل من غير قصد، بل سبق اللسان إليه»¹.

وهنا يمكن أن نفرّق بين بديل الإضراب وبديل الغلط، ففي بديل الإضراب قلنا إنّ المبدل منه يذكر بقصد، أما في بديل الغلط، فيذكر من غير قصد، وذلك نحو: «هذا زيدٌ حمارٌ والأصل أنّك أردت أن تقول: هذا حمارٌ، فسبقك لسانك إلى زيد، فرفعت الغلط بقولك حمارٌ»²، فأنت بذلك قد أتيت ببديل الغلط تصحيحاً لغلط لسانك.

6- بديل النسيان:

وقد جعل بعض العلماء كابن جني والسيوطي والزمخشري³ بديل النسيان والغلط نوعاً واحداً من أنواع البديل لما بينهما من تداخل، أما ابن عصفور في شرحه لجمل للزجاجي، فقد فرّق بين بديل الغلط والنسيان، والثاني عنده هو «أنّ تبديل لفظ من لفظ بشرط أن يكون ذكر الأوّل على جهة النسيان»⁴.

ومن هنا يتضح الفرق عنده بين بديل الغلط وبديل النسيان، وهو أنّ المتكلم في الأوّل إنّما يذكر المبدل منه على سبيل الغلط، أما في الثاني فيذكره على سبيل النسيان، ولا يمكن أن ندرك هذا إلا إذا ورد في السياق ما يدلّ عليه.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:215.

² - ابن هشام. شرح شذور الذهب من معرفة كلام العرب. ص:384.

³ - انظر: ابن جني. اللّمع في العربية. ص:69، والسيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص:215.

وابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص:262.

⁴ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:283.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

إضافة إلى هذا فقد أشار ابن يعيش أنّ بدل الغلط والنسيان لا يكون في فصيح الكلام إذ قال: « بدل الغلط والنسيان لا يكون في القرآن ولا في الشعر، أما القرآن فهو منزّه عن الغلط، وكذلك الشعر الفصيح؛ لأنّ الظاهر من حال الشاعر معاودة نظمه، فإذا وجد غلطا أصلحه، وإنما يكون مثله في بدأة الكلام»¹.

وإذا كان البديل يرد وفق الأنواع السالفة الذكر، فإنّ المبدل منه يكون اسما كما يكون فعلا ويكون جملة أيضا، فيبدل الاسم من الاسم ويبدل الفعل من الفعل وتبدل الجملة من الجملة، مع وجود اختلاف في إبدال الاسم من الفعل والاسم من الجملة²، وهذا ما سنوضحه في المبحث الثاني، بعون الله .

وأما عن الفصل بين البديل والمبدل منه، فقد أورد أبو حيّان الأندلسي: «الأحسن ألا يفصل بين البديل والمبدل منه، وقد يفصل بالظرف والصفة ومعمول الفعل، نحو: أكلتُ الرغيفَ في اليومِ ثلثه»³، فقد فصل بين البديل (ثلثه)، وهو بدل بعض من كلّ والمبدل منه (الرغيف) بالظرف (في اليوم).

وفي الأخير وفي ختام هذا العرض الذي قدّمناه حول مفهوم البديل وأنواعه يمكن أن نخرج بمجموعة من النتائج يمكن إجمالها في أنّ البديل هو اللفظ التابع لما قبله في إعرابه ويرد جامدا غالبا، ويكون هو المقصود بالحكم، وهو أنواع بدل كلّ من كلّ وبدل بعض من كلّ وبدل الاشتمال وبدل الإضراب وبدل الغلط وبدل النسيان، وسنبحث - بمشيئة الله في المبحث الثاني- عن هذه الأنواع في الربع الأول من كتاب الله للوقوف عند دلالاتها والغرض من استخدامها

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص: 262.

² - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 220-221.

³ - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1974.

المبحث الثاني: 

صور البدل وأغراضه في الربع الأول في
القرآن الكريم.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

إنَّ عملية الاستقراء التي قمنا بها على آيات هذا الرَّبْع من كتاب الله جعلتنا نصل إلى أنَّ البدل قد ورد فيها في ست وخمسين ومائة (156) آية، وجاء موزعا على أنماط وصور نحوية مختلفة تنوعت بين بدل كلِّ من كلِّ وبعض من كلِّ وبدل الاشتمال، والبدل على المحل والبدل من اسم الإشارة، والبدل من المنادى، وذلك حسب هذه الأنماط والصور:

أولا/ بدل كلِّ من كلِّ:

بدل كلِّ من كلِّ هو أوَّل أنواع البدل التي وقفنا عليها في آي الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله وفيه يتطابق البدل مع المبدل منه، إذ يتبع البدلُ المبدلَ منه في التعريف والتكثير كما يتبعه في الإعراب.

وإذا كان العلماء على اتفاق في التبعية الإعرابية، فقد وقع بينهم خلاف في التبعية في التعريف والتكثير، بين من جعل التطابق بين البدل والمبدل منه تعريفا وتكثيرا شرطا، وبين من أجاز إبدال النكرة بالمعرفة، وإبدال المعرفة بالنكرة .

أما التطابق بينهما فقد اتفق العلماء عليه، وأما جواز الاختلاف بينهما، فمن العلماء الذين أجازوا الاختلاف بين البدل والمبدل منه تعريفا وتكثيرا الزمخشري، إذ قال: «ليس بمشروط أن يتطابق البدل والمبدل منه تعريفا وتكثيرا، بل لك أن تبدل أي النوعين شئت من الآخر»¹.

وهذا الكلام من الزمخشري يجعله يُقرُّ ويجيز أن تبدل المعرفة من المعرفة كما تبدل النكرة من النكرة كما تبدل المعرفة من النكرة، وتبدل النكرة من المعرفة.

¹ - الزمخشري. المفصل. ص: 166-167.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد شرح ابن يعيش رأي الزمخشري فوضّح كل نوع من هذه الأنواع بشاهد يمثل كل صورة من صور البديل التي أقرّها الزمخشري، فقال: «أما بدل المعرفة من المعرفة فمثاله قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاحة/6-7) وأما بدل النكرة من المعرفة... فمثاله قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ﴿15﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق/15-16)... وأما بدل النكرة من النكرة نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿31﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (النبا/31-32) ... وأما بدل المعرفة من النكرة فمثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿52﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (الشورى/52-53)»¹.

ففي الشاهد من سورة الفاتحة أُبدل اللفظ (صراط) في قوله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) وهو لفظ معرفّ بالإضافة باللفظ (الصراط) المعرّف بالألف واللام (ال) فهذا الشاهد على هذه الصورة من باب إبدال المعرفة من المعرفة.

أما في الشاهد من سورة العلق، فقد أُبدل اللفظ (ناصية) النكرة من اللفظ (الناصية) المعرفة، وهو دليل على جواز إبدال النكرة من المعرفة.

وأما في سورة النبا فقد أُبدل اللفظ (حدائق) النكرة من اللفظ (مفازا) النكرة أيضا وفي هذا الشاهد دليل على جواز إبدال النكرة بالنكرة.

بينما في سورة الشورى فقد أُبدل اللفظ (صراط) في قوله: (صراط الله) المعرّف بالإضافة من اللفظ (صراط) النكرة، وفي الشاهد دليل على إبدال المعرفة بالنكرة.

ورغم ما جاء به ابن يعيش من شواهد لشرح ما ذهب إليه الزمخشري، فإنّ علماء النحو في هذه المسألة قد ذهبوا إلى الإجماع على جواز بدل المعرفة من المعرفة والنكرة من

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج:2. ص:265-266، وانظر: ابن السراج: الأصول في النحو.

ج:2.ص:46.

الفصل الثالث:.....البذل في الربيع الأول من القرآن الكريم
النكرة، فهو جائز عند جمهور العلماء دون شروط، أما الخلاف بينهم، فكان في إبدال النكرة
من المعرفة بين من اشترط أن تتعت النكرة كي يجوز الإبدال، وبين من أجاز الإبدال دون
شروط.

وإنّ كلّ ما قمنا بتقديمه حول إبدال المعرفة بالمعرفة والنكرة بالنكرة والنكرة بالمعرفة
جعلنا نهتدي إلي تقسيم بدل كلّ من كلّ وفق هذا التقسيم، وسنعرّج - إن شاء الله - في كلّ
قسم على آراء النحاة فيه بين مجيز و مانع ومجيز بشروط.

وقد وجدنا بعد عناية الإحصاء التي أجريناها على آيات الربيع الأول من كتاب الله أنّ
بدل كلّ من كلّ قد تواتر ستا وستين (66) مرة، وسنقوم بتوزيعها وفق أنماط وصور نحوية
مختلفة انطلقنا مما ناقشناه سابقا:

النمط الأول: بدل الاسم الظاهر من الاسم الظاهر:

من المتفق عليه بين علماء النحو واللغة أنّ الاسم يبذل من الاسم، وأنّ الفعل يبذل من
الفعل، وأنّ الجملة تبذل من الجملة، وقد أفضى استقراؤنا لآيات الربيع الأول من الذكر الحكيم
إلى وقوفنا على بدل الاسم من الاسم كنمط من أنماط البذل التي استخدمت في سياقات مختلفة
ولأغراض ودلالات متنوعة حددتها هذه السياقات، وقد ورد هذا النمط في ثلاثة وخمسين
(53) موضعا، وجاء موزعا على صور مختلفة هي:

الصورة الأولى: بدل المعرفة من المعرفة:

إنّ هذه الصورة من بين الصور التي تواتر ورود البذل كلّ من كلّ وفقها، وهي صورة
أقرّها جمهور علماء اللغة، وقد تكررت أربعاً وأربعين (44) مرة، وذلك بدلالات مختلفة.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن أمثلة إبدال المعرفة من المعرفة، قوله تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاطحة/6-7).

فكلمة (صراط) المعرفة بالإضافة هي بدل من كلمة (الصراط) المعرفة بالألف واللام

(ال)، والملاحظ أنّ البديل هنا قد تبع المبدل منه في الإعراب (النصب) ولم يقطع.

هذا من الناحية الشكلية النحوية للبديل في سورة الفاتحة، أما من الناحية الدلالية البلاغية، فالملاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن لعباده الصراط الذي يبتغيه كلّ مسلم عند دعائه، فبدأ فنعته بكلمة (المستقيم)، وفي ذلك تخصيص له وتوضيح فالمسلم لا يدعو ربّه إلاّ أن يهديه الصراط المستقيم.

ولم يكتف الخطاب القرآني بوصف صراط المسلمين بلفظ (المستقيم)، بل قال: (صراط الذين أنعمت عليهم)، فكان البديل (صراط) لزيادة التقرير والتوضيح، فلا يكون صراط المنعم عليهم إلا مستقيماً، ولا يكون الصراط المستقيم إلا صراط المنعم عليهم، فكان البديل في هذه الآية بذلك توكيدا لصفة الصراط الذي يجب على المسلمين اتباعه.

والتوكيد من الأغراض الذي يستعمل البديل لأجلها، إذ أورد علماء البلاغة أنه قد يرد لغرض التوكيد؛ وذلك «بعد الإخبار فإذا قلت: أكرمتُ محمداً أخاك... فقد أكّدت؛ لأنّ البديل يكون على نية تكرار العامل من جهة ولدلالة المبدل منه على البديل؛ أي دلالة محمد على الأخ، فأجري البديل من المبدل منه مجرى التوكيد لتكراره»¹.

وقد أبدلت المعرفة من المعرفة أيضا في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ ﴾ (آل عمران/45).

¹ - عبد القادر حسين. فن البلاغة. ص:218.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم
وقد أورد الله سبحانه في هذه الآية قصة المسيح عيسى عليه السلام، وكيف بشر أمّه
مريم العذراء بولادته، فوصفه بداية بأنه كلمة منه، وسبب هذه التسمية أنه كان بسبب كلمة
من الله هي كن دون أب¹، وفي هذا إعلاء لقدر عيسى عليه السلام بأن جعل الله ميلاده آية
ومعجزة.

ثم فصل الله في هذه الآية الكريمة في التعريف بهذا النبي فقال: (اسمه المسيح عيسى
بن مريم)، فلم يكتف بقوله اسمه المسيح، بل جاء بالبديل (عيسى)، ثم أتبعه بقوله: (ابن مريم)
تشريفا للسيدة مريم بأن ذكر اسمها صريحا في القرآن الكريم.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد شرفها بأن نسب عيسى عليه السلام إليها، فقال:
(عيسى بن مريم)، وذلك ليؤكد أن ميلاد عيسى عليه السلام كان معجزة من معجزات الله بأن
جعله يولد دون أب.

وإضافة إلى هذا فقد وقفنا في هذه الآية الكريمة على مجموعة من الظواهر اللغوية فالله
سبحانه وتعالى قد اختار أن يبدأ بلقب عيسى عليه السلام وهو (المسيح)، ثم ذكر اسمه وهو
(عيسى)، ثم كنيته وهي (ابن مريم)، والمشهور عند النحويين أن يتقدم الاسم ويتأخر اللقب
مثل: عمر الفاروق هو الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين.

وهذا الترتيب واجب، إن لم يكن اللقب أشهر من الاسم، فإن كان أشهر جاز الأمران
مثل: المسيح عيسى بن مريم رسول كريم، هذا و يشترط الترتيب بين الاسم والكنية، أو بين

¹ - انظر: أبو الحَيَّان الأندلسي. البحر المحيط. ج:2، ص:480.

الفصل الثالث:.....البذل في الربع الأول من القرآن الكريم
اللقب والكنية¹، ولهذا السبب أي شهرة اللقب كان الترتيب في هذه الآية بهذه الطريقة: اللقب
أولا ثم الاسم ثم الكنية.

وبذلك تكون كلمة (عيسى) بدلا من كلمة (المسيح)، وهو بدل كل من كل، لأن المسيح
عيسى هو ذاته ويجوز أن يعرب عطف بيان أيضا، وقد أتبع هذا البذل بالنعته (ابن)، وذكر
الله سبحانه وتعالى اللقب والاسم والكنية جميعا في موضع واحد.

والملاحظ تكرار هذا التركيب كثيرا في آيات الذكر الحكيم رغم أنه كان يستطيع
الاكتفاء بالقول: (اسمه المسيح) لكونه أشهر ما عُرف به، وكان هذا التكرار توكيدا منه على
أن (عيسى عليه السلام) هو المقصود من هذه الآية من جهة، وتبيانا لصفته من جهة أخرى
فهو (ابن مريم) لا (ابن الله) كما ادعى المسيحيون، فإبدال كلمة (عيسى) من كلمة (المسيح)
تصريف كل ادعاء لألوهية عيسى عليه السلام، ووصفه بأنه (ابن مريم) كان لتأكيد هذا
المعنى.

ومما ورد من بدل كل من كل في الربع الأول من القرآن الكريم أيضا قوله تعالى:

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران/154).

وفي هذه الآية الكريمة يتحدث الله عن طائفة من الناس أهمتهم أنفسهم، وهي طائفة
المنافقين، «ومعنى (قد أهمتهم أنفسهم)؛ أي لا يهتمهم إلا أنفسهم، ولا يهتمهم النبي صلى الله
عليه وسلم، والعرب تطلق هذا اللفظ على الخائف الذي شغله هم نفسه عن غيره»².

¹ - انظر: عباس حسن. النحو الوافي. ج:1. ص:316.

² - انظر: الألوسي. روح المعاني. ج:4. ص:94.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأوّل من القرآن الكريم

فبعد أن نعت الله المنافقين بقوله: (قد أهتمهم أنفسهم)، وهي جملة فعلية فعلها ماض مؤكّدة بأداة التوكيد والتحقيق (قد)، وهذا ما أكسب المعنى توكيدا، ودلّ على أنّ هذه الصفة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنافقين.

وبعد هذا الوصف قام الله سبحانه وتعالى بتفصيل وبيان خصائص هذه الطائفة فقال: (يظنون بالله غير الحق)، وهي خاصية أخرى من خصائص المنافقين، فهم دائما يشككون ولا يحسنون الظن بالله، وكى يبيّن الله ويفصّل أكثر في ظن المنافقين به لم يكتف بالقول: (غير الحق)، بل أبدلها بقوله: (ظن الجاهلية).

فكان البدل (ظن) في قوله: (ظن الجاهلية) المعرف بالإضافة، والذي ورد مصدرا بدلا من اللفظ (غير) المعرف أيضا بالإضافة في قوله: (غير الحق)، وقد تبعه في إعرابه (النصب) كما تبعه في التعريف والعدد، والغرض من البدل في هذه الآية هو بيان نوع ظن المنافقين بالله، فهو (ظن الجاهلية)، فالمنافقون ورغم إعلانهم للإسلام إلا أنّ تصرفاتهم تصرفات جاهلية، والله أعلم.

ولا يُؤتى بالبدل لأجل الأغراض السابقة فقط، بل قد يستفاد منه معنى المدح إذا ورد في سياق يدلّ على هذا¹، وقد جاء بدل كلّ من كلّ في الربع الأوّل لهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (المائدة/97).

فقد أبدلت كلمة (الكعبة) المعرفة بالألف واللام بكلمة (البيت) في قوله: (البيت الحرام)، وهو بدل كلّ من كلّ، لأنّ الكعبة هي البيت الحرام، وقد تبع البديل المبدل منه في إعرابه (النصب)، والغرض من هذا البديل هو مدح الكعبة، وبيان مكانتها خاصة بعد وصفها بكلمة (الحرام) في قوله (البيت الحرام)، فقدسية هذا المكان مرتبطة بحرمة، والله أعلم.

¹ - انظر: عبد القادر حسين. فن البلاغة. ص: 219.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

هذا وقد وقفنا على بدل كل من كل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ
أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام/74).

إذ أبدلت كلمة (أبيه) المعرفة بالإضافة بالبديل (آزر) المعروف بالعلمية، وقد تبع البديل
والمبديل منه، ولم يقطع وإنما جاء البديل (آزر) مخالفا في حركته للفظ المبديل منه (أبيه)؛ لأنه
ممنوع من الصرف يجر بالفتحة النائية عن الكسرة، فهو ممنوع من الصرف لعلتين هما
العلمية والعجمة.

وللوقوف على الأغراض البلاغية للبديل في هذه الآية لابد بداية من الوقوف عند معنى
كلمة (آزر)، والتي اختلف المفسرون في تفسيرها، فلو أن كلمة (آزر) حقيقة هي اسم أبي
إبراهيم عليه السلام لكان قوله تعالى: «إذ قال إبراهيم لأبيه» كافيا لبيان المعنى ولا حاجة
للبدل من أجل هذا البيان والتوضيح، لعدم وجود اللبس أو الغموض.

فاستعمال البديل إذن في هذا السياق إن دل على شيء فإنما يدل على أن كلمة (أبيه) قد
تستعمل لمعان أخرى، ولذلك كان إبدالها في الآية ضروريا لتوضيح المعنى.

وقد أورد الألوسي أن هذه الآية قد فسرت على عدة أوجه، فمن العلماء «من رأى
وعلى رأسهم السيوطي أن الأب والجد والعم يطلق عليه مجازا أب»¹، وهذا المعنى يؤكد
فرضية كون كلمة (آزر) بدلا من قوله (أبيه)، لما تحمله من توضيح وإزالة لفرضية المجاز
عن كلمة (أب)، فالبدل هنا يدل أن الأب المقصود هنا اسمه (آزر)، وهو الأب الحقيقي
لإبراهيم عليه السلام، والله أعلم.

¹ - انظر: الألوسي. روح المعاني. ج:7. ص:194. والسيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج:3. ص:211.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

أما القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، فيرى أنّ (آزر) ليس اسم والد إبراهيم عليه السلام، وإنما هو لفظ يدلّ على صفة ذم... كأنه قال: «وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ ولا يتصرف لأنه على وزن أفعل»¹، وهنا ينتقل إعراب كلمة (آزر) من كونها بدلا إلى كونها نعنا لأبي إبراهيم عليه السلام.

وقد ملنا في هذا البحث إلى ترجيح أن يكون (آزر) اسم أب إبراهيم عليه السلام؛ وذلك استنادا إلى قراءة يعقوب بالضم على النداء²؛ أي (إذ قال إبراهيم لأبيه آزر)، أي يا آزر على تقدير حذف أداة النداء.

وبذلك تكون كلمة (آزر) منادا مبنيا على الضم في محل نصب؛ لأنه اسم علم وقراءة يعقوب من القراءات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا يؤيد كون (آزر) اسم أب إبراهيم عليه السلام، وهو بدل من قوله (أبيه)، وذلك لدفع توهم أن يقصد بلفظ (أب) الجد أو العم مجازا، والله أعلم.

الصورة الثانية: بدل النكرة من النكرة:

إذا كان الإجماع بين علماء اللغة قائما على جواز إبدال المعرفة من المعرفة، فإنهم أجمعوا كذلك على جواز إبدال النكرة بالنكرة، وقد تتبعنا سور الرَّبْع الأوَّل باحثين عن هذا النوع من البدل، فوجدنا أنّ النكرة أبدلت من النكرة خمس (5) مرات، فكان تواتر هذا النوع أقلّ من تواتر النوع الأوَّل، وكان هذا الإبدال لأغراض وأهداف بلاغية مختلفة حددتها وفرضتها سياقات الآيات القرآنية.

¹ - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج: 8. ص: 434.

² - يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205هـ)، وهو أحد القراء العشرة. انظر. الألويسي. روح المعاني. ج: 7. ص: 194. وابن الجزري. النشر في القراءات العشر. ج: 2. ص: 186 و ص: 259.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن أمثلة هذه الصورة من البديل، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نِعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ (آل عمران/154).

وقد نزلت هذه الآية في سياق الحديث عن غزوة أحد، فبعد أن مُني المسلمون بالهزيمة بسبب مخالفتهم لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم أنعم الله عليهم بأن أنزل عليهم بعد هذا الغم أمنة.

والأمنة في اللغة هي الأمن والأمان والطمأنينة، وبهذا المعنى وردت في معاجم اللغة¹ فهذه الكلمة إذن تدلّ على السكينة والراحة النفسية والطمأنينة.

وعلى الرغم من أنّ كلمة (أمنة) كما بيّنا تحمل معنى الأمن وعدم الخوف، فإنّ معناها إذا كانت منفردة يبقى محتاجا إلى تفسير وتوضيح، فلو توقف الله عندها، وقال: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة) لبقِيَ المعنى واسعا يحتمل عدة تأويلات، فقد يحتمل معنى النجاة من العدو، كما قد يحتمل معنى الفوز عليه، وقد يحتمل معنى الراحة النفسية.

وهذا راجع لما عُرف من أنّ النكرة لا تخص واحدا من الجنس دون بقية الجنس، إذ قال المبرّد: «الاسم المنكّر هو الواقع على كلّ شيء من أمته. لا يخصّ واحدا من الجنس دون سائره»²، وهذا ما جعل لفظ (أمنة) يضم معاني جنس الأمن كلّها، ولا يخصّ واحدا دون الآخر.

وقد جاءت كلمة (نعاسا) تبيانا لنوع الأمن، الذي أنعم الله به على المسلمين يوم أحد وصورة رائعة لقدرة الله وعظمته، إذ جعل (أمن) المسلمين يوم أحد يختلف عما تعود الناس فقد أبدلت كلمة (أمنة) بكلمة (نعاسا)، وهو بدل كلّ من كلّ أبدلت فيه النكرة من النكرة، وقد تبعه في إعرابه (النصب).

¹ - أمنٌ أَمْنًا وَأَمَانًا وَأَمَانَةٌ وَأَمْنًا وَإِمْنًا وَأَمْنَةً: اطمأنّ ولم يخف. انظر: المعجم الوسيط. مادة (أ م ن). ص: 28.

² - المبرّد. المقتضب. ج: 4. ص: 276.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

وقد كان إبدال كلمة (أَمَنَةً) بكلمة (نُعَاسًا) في هذه الآية، وفي سياق الحديث عن غزوة انهزم فيها المسلمون هي غزوة أحد دليل على أنّ المسلمين يوم أحد، ورغم عدم توفر أسباب الأمن من انهزام وقوة جيش العدو واستشهاد عدد كبير من الصحابة إلا أنّ الله «امتّن عليهم بأمنهم بعد الخوف والغم بحيث صاروا من الأمن ينامون»¹، وهذه أكبر درجات الأمن والطمأنينة، وهذا دليل على قدرة الله، والله أعلم.

ومن أمثلة إبدال النكرة من النكرة أيضا قوله تعالى، وهو يصف أجر المجاهدين، إذ قال: ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (95) ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء/95-96).

فالآية تبيّن أنّ الله فضّل المجاهدين على القاعدين وجعل لهم أجرا عظيما، إذ ذكر سبحانه جزاء المجاهدين فقال (أجرا)، ثم نعته بقوله: (عظيما)، وفي هذا توكيد وبيان لأجر المجاهدين الكبير، ومدح وثناء عليهم وحثّ للنّاس على الجهاد، ولم يكتف بهذا النعت رغم أنّ المعنى يدلّ على مكانة المجاهدين عنده سبحانه، بل جاء بكلمة (درجات) بدلا من قوله (أجرا عظيما).

والبدل في هذه الآية هو لفظ (درجات)، وهو جمع مؤنث سالم مفردة (درجة)، وهي كلمة نكرة أبدلت من كلمة نكرة (أجرا)، والملاحظ أنّ البدل جاء جمعا بينما جاء المبدل منه مفردا، وذلك رغم أنّ البدل يتبع المبدل منه على اتفاق بين العلماء في الجنس والعدد مثل: جاءني زيدٌ أخوك... وهذه رعدٌ أختك والهندان أختاك والفواطم نسوتك².

والتبعية بين البدل والمبدل منه من خلال هذه الشواهد تتضح ولا شك بشكل جليّ إذ تبع البدل (أخوك) المبدل منه (زيدٌ) في الإعراب (الرفع)، فالأوّل (زيدٌ) فاعل مؤخر مرفوع

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:92.

² - انظر: علي بن سليمان الحيدرة اليمني. كشف المشكل في النحو. ص:413.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم
والثاني(أخوك) بدل منه مرفوع مثله، وهو بدل كل من كل، كما تبعه في التذكير والإفراد
فكلاهما لفظ مذكر .

وكذلك البديل (أختك) تبع المبدل منه (رعد) في الإعراب (الرفع) والتأنيث والإفراد
وهكذا الشأن في البديل (أختاك)، والذي تبع المبدل منه (الهندان) في التأنيث كما تبعه في
الإعراب والتثنية، إضافة إلى هذا فقد تبع البديل (نسوتك) المبدل منه (الفواطم) في الإعراب
والجمع والتأنيث.

وإنما جاء بالبديل (درجات) جمعا رغم كون المبدل منه (أجرا) مفردا؛ «لما في الجمع
من معنى الكثرة فتستعار صيغته لمعنى القوة»¹، فكان إبدال المفرد بالجمع هنا دلالة على قوة
المفرد وعظمته؛ ولذلك استحق أن يبدل بلفظ جمع، وهذا يدل على أن البديل قد يخالف المبدل
منه في الإفراد والتثنية والجمع إذا كان السياق موجبا هذا .

وبذلك كان البديل (درجات) الذي أبدل من المبدل منه (أجرا) وتبعه في الإعراب
(النصب) ولم يقطع كما أنه ورد نكرة مثله توكيدا، وبيانا للدرجات العظيمة التي يصل إليها
المجاهدون عند الله، وفي هذا مدح لهم، وحث وترغيب للناس على الجهاد، والله أعلم.

الصورة الثالثة: بدل المعرفة من النكرة:

إن كون البديل تابعا من التوابع جعل العلماء يجمعون على جواز إبدال المعرفة من
المعرفة والنكرة من النكرة من منطلق تبعية التابع للمتبوع، كما أن هذا النوع قد ورد في
شواهد كثيرة من كلام العرب أو القرآن الكريم على حد سواء، أما مسألة إبدال المعرفة من
النكرة أو العكس فقد وقع فيها خلاف بين العلماء.

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:5. ص:172.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد عرض أبو حيان هذا الخلاف، فقال: «ذهب الكوفيون والبغداديون إلى اشتراط وصف النكرة إذا أبدلت من المعرفة، وتبعهم السهيلي على ذلك، ونقل ابن مالك أنّ مذهب الكوفيين لا يجوز إبدال النكرة من المعرفة إلا أن يكون من لفظ الأول»¹.

ففي إبدال المعرفة بالنكرة إذن أوجه ثلاثة إما إبدال دون شرط أو إبدال مع شرط نعت النكرة، أو اشتراط أن يكون لفظ البديل من لفظ المبدل منه، وإذا عدنا إلى الشواهد السابقة والتي استشهد بها في هذا الباب، فسنجد كلمة (ناصية) النكرة مثلا في سورة العلق في قوله تعالى: ﴿لَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾¹⁵ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (العلق/15-16) قد أبدلت من كلمة (الناصية) المعرفة، وهما من لفظ واحد، وقد جاء البديل نكرة منعوتا بقوله (كاذبة)، وهذا يوافق ما ذهب إليه الكوفيون والبغداديون.

وقد أشار السيوطي في هذه المسألة إلى أنّ الجمهور قد أجازوا إبدال النكرة من المعرفة دون شرط أن تتعت، وحجته في ذلك ورودها على هذه الصورة في كلام العرب إذ قال: «والجمهور أطلقوا الجواز لورودها غير موصوفة وليست من لفظ الأول كقوله:

فَصَدُّوا مِنْ خِيَارِهِنْ لِقَاحًا يَتَقَاذِفْنَ كَالْغُصُونِ غِزَارُ»².

وإذا كان الجمهور قد أجازوا أن تبدل النكرة من المعرفة وأن لا تكون من لفظ المبدل منه، فإن الأسترابادي قد قيّد هذا الإطلاق بأن اشترط أن يحمل لفظ البديل معنى إضافيا للفظ المبدل منه، وبذلك يؤدي البديل دوره في الكلام من إيضاح وتبيين، فإن لم يكن في البديل ما يوضّح به لفظ المبدل منه لم يجز هذا، وكان من باب الغموض بعد الوضوح.

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1962.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:218.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

فالشرط إذن حتى تبدل النكرة من المعرفة وإن لم تنعت أو يكن البدل من لفظ المبدل منه على مذهب الأسترابادي «أن يستفاد من البدل ما ليس في المبدل منه، فإن لم تفد لم يجز، لأنه يكون إبهاماً بعد التفسير، نحو: بزيد رجل»¹.

فالواضح من خلال هذا المثال أنه لا يصح أن نجعل لفظ (رجل) بدلاً من لفظ (زيد) لأنه لا يحمل فائدة إضافية على اللفظ الأوَّل، فلا يكون زيد إلا رجلاً، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن لفظ (زيد) أكثر وضوحاً من لفظ (رجل) على اعتبار الأوَّل معرفة دالاً على علم أما الثاني فهو نكرة، فكان ذكر لفظ (رجل) بعد لفظ (زيد) من باب الإبهام بعد التفسير، وهذا يتعارض مع الغرض من البدل، والذي لا يكون إلا للبيان والتوضيح بعد الإبهام والغموض.

ولقد وردت هذه الصورة من البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم في أربعة (4) مواضع، ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (آل عمران / 97).

وفي هذه الآية الكريمة بيّن الله سبحانه وتعالى مكانة البيت الحرام الذي جعل فيه آيات بينات ولكي يبين هذه الآيات، قال: (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ)، وكلمة (مقام) من الفعل قَامَ يَقُومُ، وتدلّ على مكان القيام، وقد أضيفت إلى كلمة (إبراهيم) للدلالة على أنّ هذا المقام الذي يمثل آيات بينات هو لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد أورد أبو حيّان الأندلسي لهذه الكلمة وجهين من الإعراب، فالأوَّل أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير هنا (هنّ مقام إبراهيم)، والثاني أنها بدل كلّ من كلّ من قوله: (آيات بينات)².

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 123.

² - انظر: أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 3. ص: 9.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد رجّحنا كونها بدلا لا خبرا لما وجدنا فيها من توضيح وتفصيل لكلمة (آيات) وهو بدل معرفة معرف بالإضافة (مقام إبراهيم) من مبدل منه نكرة (آيات)، وقد زالت عن هذا المبدل منه بعض خصائص النكرة بسبب نعته بالنعت (بينات)، والذي قام بتوضيحه وتخصيصه، فجاز أن تبدل المعرفة من النكرة وهذا على مذهب من اشترط في بدل المعرفة من النكرة أن تنعت النكرة.

والملاحظ أنّ لفظ البديل (مقام) جاء مفردا بينما جاء لفظ المبدل منه (آيات) جمع مؤنث سالم، وتفسير هذا أنّ المقام في حد ذاته آيات كثيرة؛ «لأنّ أثر القدم في الصخرة آية وإيقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية إبراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين، ومن أهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين آية»¹.

وعلى هذا الأساس تكون كلمة (مقام) بدلا من كلمة (آيات)، وقد تبعه في الإعراب (الرفع)، وكان البديل معرفًا بالإضافة، بينما ورد المبدل منه نكرة، وقد اختلف البديل (مقام) مع المبدل منه (آيات) في العدد إذ جاء البديل مفردا، بينما ورد المبدل منه جمعا؛ لأنّ البديل (مقام) في حد ذاته يعبرّ كما ذكرها عن آيات كثيرة، فكأنّه عبّر عن معنى الجمع بلفظ المفرد، والله أعلم.

¹ - انظر. أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:9.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ومما ورد من بدل المعرفة من النكرة أيضا قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ¹ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ (المائدة/95).

والملاحظ أنّ هذه الآية تحتوي على بعض أحكام الحج، فكان استعمال البديل ضرورةً وذلك لما يضيفه من تقييد للحكم الشرعي وتبيينه وتوضيحه وإزالة كل لبس عنه.

فمن وظائف البديل في الكلام أنّه يرد من أجل « الإجمال ثمّ التفصيل... نحو: جاء القوم أكثرهم²»، فقد فصلت كلمة (أكثرهم)، وهي بدل بعض من كلّ في المبدل منه (القوم) بعدما كان مجملا، لأنها بيّنت من جاء من القوم بشيء من التفصيل.

فلو أنّ الخطاب القرآني اكتفى بالقول (أو كفارة) لكان المعنى على الإطلاق، فصحّ أن تكون هذه الكفارة أيّ كفارة تعارف عليها المسلمون، لكنّ البديل (طعام مسكين أو عدل ذلك صياما) قد قيدها وجعلها محددة، فلا تكون الكفارة إلا طعام مسكين أو صيام.

وقد جاء البديل معرفة عرّف بالإضافة أبداً من المبدل منه (كفارة) وهو بدل نكرة ولم تنعت هذه النكرة كما أنّها ليست من لفظ البديل، وقد تبع البديل المبدل منه في الإعراب (الرفع).

ولعلّ هذه الآية تجعلنا نصل إلى أنّ النكرة أبدلت من المعرفة في الربع الأول مع نعت النكرة أو دونها، والله أعلم.

¹ - اختلفوا في الإضافة والتنوين من قوله: (كفارة طعام مسكين)، فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (أو كفارة) منونا (طعام) رفعا (مسكين) جمعا، وقرأ نافع وابن عامر (أو كفارة) رفعا غير منون (طعام مسكين) على الإضافة ولم يختلفوا في جمع مسكين. ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. ص: 248.

² - عبد اللطيف شريقي وزبير دراقي. الإحاطة في علوم البلاغة. ص: 96.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

النمط الثاني: بدل الاسم الظاهر من المضمّر:

إذا كان البديل كما وضّحنا يرد معرفة كما يرد نكرة والمعرفة تبدل من المعرفة وتبدل من النكرة، وكذلك النكرة تبدل من النكرة وتبدل من المعرفة، فإنّ البديل قد يكون اسما ظاهرا كما قد يكون ضميرا، وفي إبدال الظاهر من الظاهر والمضمّر من الضمر أو العكس يقول ابن عصفور: « يبدل الظاهر من الظاهر والمضمّر من المضمّر، والمضمّر من الظاهر والظاهر من المضمّر»¹.

أما إبدال الظاهر من الظاهر، فكلّ الأمثلة التي أوردناها تثبته وتبيّن حالاته من إبدال المعرفة من المعرفة، والنكرة من النكرة، والمعرفة من النكرة، والنكرة من المعرفة، ومنه مثلا قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة/6-7) فقد أبدل لفظ (صراط) من لفظ (الصراط) وكلاهما اسم ظاهر.

وأما إبدال المضمّر من المضمّر، فنحو: «ضَرَبْتُهُ إِيَّاهُ، (فإيَّاه) بدل أو توكيد وأوجب ابن مالك الثاني، وأسقط هذا القسم من أقسام البديل، ولو قلت: ضربته هو كان بالاتفاق توكيدا لا بدلا»².

ونحن في هذا المبحث نذهب مذهب ابن مالك في إسقاط هذا النوع من باب البديل وإدراجه في باب التوكيد لما فيه من إعادة للضمير وتكرار له، وذلك سواء كان الضمير الأول ضمير نصب والثاني كذلك كما في قوله: (ضَرَبْتُهُ إِيَّاهُ)، فالمبدل منه هو الضمير المتصل (الهاء)، وهو في محل نصب مفعول به، والبديل هو ضمير النصب المنفصل (إيَّاه)

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:287.

² - ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص:385.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

أم كان الأول ضمير نصب، والثاني ضمير رفع، كما في قوله: (ضَرَبْتُهُ هُوَ)، فكلاهما من باب التوكيد؛ لما يحمله تكرار الضمير من توكيد الكلام، والله أعلم.

وإذا كانت هذه هي آراء العلماء في إبدال الظاهر من الظاهر والمضمر من المضمر فإنّ في إبدال الظاهر من المضمر، والمضمر من الظاهر أقوالاً وآراء، فقد منع العلماء إبدال الضمير من الظاهر لعدم وروده في الاستعمال الفصيح، وجعلوا إبدال الظاهر من الضمير جائزاً بتوفر شروط.

أما بدل المضمر من الظاهر فقد قال فيه أبو حيان: «قلو أبدلت مضمرًا من ظاهر بدل كلّ من كلّ لقلت: رأيتُ زيدًا إِيَّاهُ...» وقال ابن مالك: لَمْ يستعمل هذا في كلام العرب نثره ونظمه، ولو استعمل لكان توكيداً¹.

فلو أتينا إلى تحليل هذا الكلام انطلاقاً من المثال المقدم أي قولنا: (رأيتُ زيدًا إِيَّاهُ) من منطلق أنّ البديل يبيّن المبدل منه ويوضّحه، ويمكن أن يكون عوضاً عنه ويحلّ محله، أي أن نقول: (رأيتُ إِيَّاهُ)؛ لتبيّن أنّ كلام ابن مالك صحيح، ومنطقي على اعتبار أنّ حذف المبدل منه هنا وتعويضه بالبديل يتجه بالجملة نحو الغموض، وبذلك فالضمير (إِيَّاهُ) في هذه الجملة توكيد لا بدل، والله أعلم.

أما إبدال الظاهر من المضمر، فهو يرتبط بنوع الضمير، أي هل هو ضمير غائب أم متكلم أم مخاطب، فإن كان الضمير دالاً على الغائب، فإنّه يبدل منه الظاهر مطلقاً دون

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1963.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

شروط نحو: زره خالداً¹، فقد أبدل الضمير (الهاء) في قوله: (زره) الدال على الغائب وهو في محل نصب مفعول به بالاسم الظاهر المنصوب (خالداً)، وهو بدل كل من كل.

أما إذا كان المبدل منه، أي الضمير ضمير حاضر (مخاطب أو متكلم)، ففيه وجهان الأول أن يبديل بدل كل من كل، والثاني أن يبديل بدل اشتمال أو بدل بعض من كل، ولكل وجه شروط واجب توفرها.

فأما إبدال الظاهر من ضمير الحاضر (المتكلم، المخاطب) بدل كل من كل، فشرطه دلالة البديل على الإحاطة والشمول، فإن لم يتوفر هذا الشرط لم يجز الإبدال .

وقد قال ابن هشام في هذه المسألة إنه: «إمّا أن يدلّ على إحاطة أولاً، فإن دلّ عليها جاز نحو: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَأَخْرِنَا﴾ (المائدة/114)، وإن كان غير ذلك امتنع»² ففي الشاهد من سوره المائدة أبدل الظاهر (أولنا وأخرنا) من الضمير (نا) الدال على المتكلم لدلالة البديل على الإحاطة؛ فهو دال على بني إسرائيل جميعاً، فلو أنه قال مثلاً: (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا) لما جاز الإبدال لعدم توفر شرط الإحاطة.

ومذهب الكوفيون في هذه المسألة هي قياس بدل الظاهر من المضمّر الحاضر على الظاهر من المضمّر الغائب، أي إبدال الظاهر من المضمّر دون شرط سواء كان المضمّر دالاً على حاضر أم غائب.

وهذا رأي الكوفيين وتبعهم فيه الأخفش، وقد استشهدوا عليه بقوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ (الأنعام/12)، فالبديل عندهم هو لفظ (الذين) وهو بدل من الضمير الدال على المخاطب (كم) في قوله (يجمعنكم)، وقد أبدل هنا دون الدلالة

¹ - انظر: ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج:2. ص:252.

² - ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص:386-387.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم
على الإحاطة، فالله لا يجمع الذين خسروا فقط، بل يجمع الناس كلهم، وقد أجيب على كلامهم
هذا بأن قوله: (الذين خسروا) كلام مستأنف¹.

هذا إذا أبدل الظاهر من الضمير بدل كل من كل، أمّا إذا أبدل الظاهر من ضمير
الحاضر بدل اشتمال أو بدل بعض من كل، فهذا جائز دون شروط، نحو: أَعْجَبْتَنِي وَجْهُكَ
وَأَعْجَبْتَنِي عِلْمُكَ²، فقد أبدل الضمير الدال على المخاطب (التاء) في (أعجبتني) بدل بعض
من كل بالبدل (وجهك)، كما أبدل الضمير الدال على المخاطب (التاء) بدل اشتمال بالبدل
(علمك).

وخلاصة القول في هذه المسألة إنه يجوز إبدال الظاهر من المضمّر، إذا كان المضمّر
دالا على الغائب مطلقا، ويجوز إذا كان المضمّر دالا على المتكلم والمخاطب دون شروط إذا
كان البدل بدل اشتمال أو بدل بعض من كل، ويجوز لكن بشرط أن يدل البدل على الإحاطة
إذا كان البدل بدل كل من كل، والله أعلم.

وقد وقفنا على بدل الاسم الظاهر من الضمير في الربع الأول من القرآن الكريم في
قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ ﴾ (آل عمران/195).

فإنه سبحانه وتعالى بيّن ووضّح المقصود بالضمير (كم) في قوله: (منكم)، فقال: (من
ذكر أو أنثى)، فقوله: (من ذكر أو أنثى) بدل من الضمير (كم) في قوله: (منكم).

¹ - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:218.

² - انظر: ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص:385.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

وهذه الآية الكريمة تجعلنا نقف عند ظاهرة لغوية هي إعادة حرف الجر مع البدل إذا كان المبدل منه مجروراً، والواضح في هذه الآية أنّ حرف الجر العامل في المبدل منه قد أُعيد مع البدل.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه قد « جاء في القرآن الكريم الإبدال من المبدل منه المجرور بحرف جر من غير إعادة الجار في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران 97)، وجاء بإعادة حرف الجر مع البدل»¹، ومثال ذلك الآية التي بين أيدينا.

ولا يعاد حرف الجر مع البدل إلا لغرض تقوية المعنى²، وإذا عدنا إلى الآية 195 من سورة آل عمران سنجد أنّ المبدل منه هو ضمير متصل دال على المخاطب (كم) وإنما جاز كون (من ذكر أو أنثى) بدلاً منه لدلالته على الإحاطة والشمول، فالبدل هنا دال على عموم المؤمنين إناهم وذكرهم.

وإذا عدنا إلى تفسير هذه الآية سنجد الطاهر بن عاشور يورد أنّ الأعمال التي قام بها المؤمنون هي «الإيمان ثم الهجرة ثم الجهاد، ولما كان الجهاد أكثر تكراراً خيفَ أن يتوهم أنّ النساء لا حظ لهن في تحقيق الوعد الذي وعد الله على السنة رسله»³، فكان البدل في هذه الآية لأجل دفع التوهم، والله أعلم.

واستعمال البدل في هذه الآية الكريمة يذكرنا بما أقرّه علماء النحو والبلاغة من استعماله من أجل توضيح اللفظ المبدل منه وتبيينه، فالبدل يرد «لزيادة التقرير والإيضاح

¹ - محمد عبد الخالق عزيمة. دراسات لأسلوب القرآني. دار الحديث. مصر. دط. دت. ج: 4. ص: 40.

² - انظر. ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص: 264.

³ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 4. ص: 203.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

لأنّ البديل مقصود بالحكم بعد إبهام، نحو: حضر ابني علي¹، فالبديل (علي) أدى إلي تقرير حضور الابن، كما أنّه وضّح كلمة (ابني) التي كانت مبهمة، فلولا البديل لما علّم أيّ الأبناء حضر.

وحتى يزول اللبس والإبهام عن الضمير في الآية القرآنية الكريمة، فلا يظن الرجال أنّ الخطاب موجّه لهم فقط، ولا تعتقد النساء أنّ الله استثناهن. جاء البديل تقريرا لدور المرأة وإثباتا لحقّها وأجرها الكامل في جميع الأعمال التي تقوم بها، وأنّ أجرها يساوي أجر الرجل فيها، وإنّ اختلفت الوظائف، وأنّ الله لا يضيع عمل عامل مهما كان العمل وأيّا كان العامل والله أعلم.

وإضافة إلى ضمير المخاطب فقد أبدل الضمير الدال على المتكلم أيضا في بعض الآيات من الربع الأول، ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة/114).

ففي هذه الآية يدعو سيدنا عيسى عليه السلام ربّه بأن يحقق طلب الحواريين فيجعل لهم مائدة منزلة من السماء، فقال (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا)، وقوله: (لأولنا وآخرنا) بدل من الضمير (نا) في قوله (لنا)، ولو تأملنا هذه الآية لوجدنا أنّ: الله لو توقف عند قوله: (تكون لنا عيدا) لكان المعنى تاما، لكنّه أبدل الضمير بقوله: (لأولنا وآخرنا) معيدا حرف الجر في المبدل منه زيادة في التوكيد.

وقد التمسنا بلاغة هذه الآية ونقبتنا عنها في كتب التفسير وبحثنا عما يضيفه البديل إلى معانيها، فوجدنا المفسرين قد اختلفوا في دلالة عبارة (لأولنا وآخرنا)، فقد أورد الزمخشري

¹ - السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص:148.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

أنّ معناها يمتد من زمن عيسى عليه السلام إلى زمن من يأتي بعده، أو أنّ جميع بني إسرائيل سيأكلون منها على اختلاف مستواهم الاجتماعي وزمن قدومهم، فقال إنّ معنى قوله: (لأولنا وآخرنا): «لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع»¹.

ومهما كان المعنى المقصود من هذه العبارة، فكونها بدلا من ضمير المتكلمين (نا) في قوله (لنا) يدلّ على توكيد أنّ المائدة عظيمة، فهي آية من آيات الله، فيأكل منها الأول كما يأكل الآخر، وكأنّ طعامها يزيد ولا ينقص، ويأكل منها المقدمون والأتباع على حد سواء وتصبح آية للنصارى في زمن عيسى عليه السلام في كلّ زمان، والله أعلم. وإنما جاز إبدال الضمير الدال على المتكلمين في هذه الآية باسم ظاهر لدلالته على الإحاطة والعموم، فهو دال على عموم النصارى، والله أعلم.

النمط الثالث: بدل الفعل من الفعل:

لقد أجمع العلماء على أنّه يجوز أن يبدل الفعل من الفعل كما يبدل الاسم من الاسم والجملة من الجملة، وقد قال أبو حيّان في أنواع بدل الفعل من الفعل: «واتفقوا على أنّ بدل الفعل من الفعل يكون فيه بدل الشيء من الشيء، ولا يكون في بدل بعض من كل واختلّفوا في بدل الاشتمال، ومن أثبتّه فيه جعل منه قوله تعالى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ (الفرقان/69)»².

فالفعل إذن يبدل من الفعل بدل كلّ من كلّ أو بدل اشتمال، ولا يبدل منه بدل بعض من كلّ «لأنّ الفعل لا يتبع بعض»³، فلا يمكن تقسيم الفعل (جاء) مثلا إلى أجزاء .

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:2. ص:314.

² - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1973.

³ - السيوطي . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص:221.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ولا يبدل الفعل من الفعل إلا إذا توفرت فيهما مجموعة من الشروط ترتبط بنوع الفعلين وزمنيتهما، فيشترط «أن يتّحدا في الزمان دون الاتّحاد في النوع»¹ فالفعل (يضاعف) في الآية الكريمة من سورة الفرقان مثلا هو بدل من الفعل (يلق)، وقد اتّحدا في الزمن لدالتهما على المستقبل، واتّحدا في النوع، فهما فعلاّن مضارعان، وشرط الاتّحاد في الزمن واجب أما الاتّحاد في النوع فهو غير واجب.

وإذا كان الفعل يبدل من الفعل بدل كلّ من كلّ وبدل اشتمال ولا يبدل منه بدل بعض من كلّ للأسباب التي بيّنا، فإنّه يجوز أن يبدل بدل إضراب أو غلط أو نسيان « في مثل: إن تطعم المحتاج تكسه ثوبا يحرسك»²، فالفعل (تكسه) بدل من الفعل (تطعم)، ويمكن أن يكون بدل إضراب أو بدل غلط أو بدل نسيان حسب ما يقتضيه السياق الكلامي.

وإضافة إلى كلّ هذا فشرط إبدال الفعل من الفعل أن «يكون الثاني راجح البيان على الأول»³؛ لأنّ البديل كما بيّنا سابقا هو المقصود بالحكم، وهو المبيّن لمعنى المبدل منه.

وإننا في هذا البحث، وبعدما قمنا به من إحصاء واستقراء لآيات الربع الأول من كتاب الله العزيز لم نعثر فيما وقفنا عليه على هذا النوع من البديل، والله أعلم.

¹ - الصّبّان. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. مج: 3. ص: 193.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 686.

³ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 130.

النمط الرابع: بديل الجملة من الجملة:

لقد أجاز العلماء أن تبديل الجملة من الجملة، لكنهم وضعوا لذلك شروطا ترتبط بوظيفة البديل في الكلام من توضيح وتبيين للمبدل منه، فلا يمكن لأي جملة أن تبديل من جملة أخرى إلا إذا كانت «الثانية أوفى من الأولى بتأدية المراد»¹ لأنه إذا كانت الثانية تطابق الأولى في معناها لكانت توكيدا لها وليست بدلا، ولو أنها كانت أكثر منها غموضا لما صحّ هذا؛ لأنه من قبيل الغموض بعد البيان.

وبدل الجملة من الجملة يكون «بديل كلّ من كلّ، نحو: أقطع قمح الحقل أحصده»² فالجملة (أحصده) هي بدل من الجملة (أقطع قمح الأرض).

كما تبديل الجملة من الجملة بدل بعض من كلّ ومثاله: «قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿132﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنِينَ ﴿133﴾ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿﴾ (الشعراء/132-134)، فجملة (أمدكم بأنعام وبيينين وجنات وعيون) بدل من التي قبلها بدل بعض من كلّ»³، وقد بيّنتها ، فبيّنت وفصلت في الأشياء التي أمدّ الله بها الناس.

ويمكن أيضا أن تقول جملة ثمّ تضرب عنها أو تجد نفسك في مقام النسيان أو الغلط فتبدلها بأخرى، ولذلك فإنّه «تبدل الجملة بالجملة بدل النسيان وبدل غلط»⁴.

وإذا كان إبدال الاسم من الاسم بدل بعض من كلّ أو بدل اشتمال يستوجب ضميرا يعود على المبدل منه، فإنّه «لا يشترط في بدل بعض من كلّ وبدل الاشتمال في الأفعال والجمل لتعذر عود الضمير عليهما»¹.

¹ - الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 194.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 686.

³ - جميل أحمد ظفر. النحو القرآني. ص: 504.

⁴ - انظر: عباس حسن. المرجع السابق. ص: 686.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا أردنا أن نفرّق بين بدل الفعل من الفعل وبديل الجملة من الجملة سنجد أنّ «الفعل يتبع ما قبله في إعرابه لفظاً وتقديراً، والجملة تتبع ما قبلها محلاً إن كان له محل، وإلا فإطلاق التبعية عليها مجاز»².

إذ لا يوجد في الجمل التي لا محل لها من الإعراب ما يتبع فيه الثاني (التابع) الأول (المتبوع)، إذ الجملة الأولى لا محل لها من الإعراب؛ ولذلك فإطلاق مصطلح التبعية هنا من باب المجاز فقط، والله أعلم.

وقد وقفنا على هذا النمط من البديل؛ أي بدل الجملة من الجملة في الربع الأول من الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة/49).

وهذه الآية هي خطاب تذكير من الله لبني إسرائيل يذكرهم فيه بنعمه عليهم. ومن نعمه سبحانه أنه نجاهم من آل فرعون وبطشهم، وقد وصف ظلم فرعون لهم فقال: (يسومونكم سوء العذاب)، فاستعمل الفعل (يسوم) وهو فعل مضارع ماضيه (سام)، وهو بمعنى ألحق الذل والهوان وأذاق التعذيب للشخص³، فأصبح العذاب ملاصقا لهذا الإنسان مرتبطا به ملازما له لدلالة الفعل المضارع على التجدد.

وحتى يوضّح الله ويبين العذاب الذي لحق ببني إسرائيل قال: (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)، وهي أوضح من الأولى، وأكثر بيانا وتفسيرا، وبذلك توفرت فيها

1- الصبّان . حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. مج:3. ص:195.

2- المصدر نفسه. مج: 3. ص:194.

3- انظر: أحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته. ص: 250.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم
الشروط لتكون بدلا منها؛ وذلك لما تحويه من بيان وزيادة تفصيل للجملة الأولى من خلال
بيان نوع العذاب وطريقته.

ففي جملة البدل استعمل الخطاب القرآني الفعل (يُذَبِّحُونَ)، وهو فعل مضارع مزيد
ماضيه (ذَبَحَ) على وزن (فَعَّلَ)، وذلك للدلالة على المبالغة في فعل الذبح، ولم يكتف الله بهذا
الفعل لتبيان ما لحق ببني إسرائيل من عذاب على يد فرعون، بل عطف عليه قوله:
(ويستحيون نساءكم) و(يستحيون) من الفعل (استحي)، وهو فعل مزيد على وزن (استفعل)
ويستعمل هذا الوزن للدلالة على «طلب الفعل، تقول: اسْتَخَفَّهُ، واسْتَعْمَلَهُ، واسْتَعَجَلَهُ إذا طلبَ
خَفَتَهُ وِعْمَلَهُ وَعَجَلَتَهُ»¹.

فمعنى استحيى طلب الحياة، أي إبقاء النساء وذبح الرجال، وذلك من أجل استعمالهنّ
في خدمتهم وقد فسّر هذا أيضا بمعنى يفتشون في حيائهن (والحياءُ الفرجُ)؛ لأنه يستحي من
كشفه وذلك كي يعلم هل بهنّ حمل²، وفي هذا ظلم وعذاب كبير، فالعبودية عذاب، والبحث
عن الحوامل من أجل قتل أولادهن عذاب وبلاء عظيم.

وهذا الكلام يوضّح دور جملة البدل (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ)، فهذه الجملة
وضّحت وبيّنت الجملة المبدلة (يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) بأن وضّحت نوع العذاب الذي وقع
عليهم، والله أعلم.

إضافة إلى هذه الآية فقد أبدلت الجملة من الجملة في قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (آل عمران/154).

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج:4. ص:440-442.

² - انظر: الألويسي. روح المعاني. ج:1. ص:254.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

فالجملَة (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) بدل من الجملَة (يظنون بالله غير الحقّ)

فقد بيّنت نوع هذا الظن، والله أعلم.

وفي ختام الحديث حول بدل الجملَة من الجملَة في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله نصل إلى

أنّه ورد بشكل ضيقّ جداً، وكان الغرض منه توضيح الجملَة المبدلَة، والله أعلم.

النمط الخامس: بدل الفعل من الاسم والاسم من الجملَة:

إذا كان الاتّفاق بين العلماء قائماً على جواز إبدال الاسم من الاسم، والفعل من الفعل

والجملَة من الجملَة، فالسؤال: هل يجوز أن يبدل الفعل من الاسم أو الاسم من الجملَة
أو الحرف من مثله؟.

والعلماء على اختلاف في هذه المسائل، فهناك من أجاز بعضها وهناك من منع. فإبدال

الفعل من الاسم والاسم من الفعل من الأمور التي أجازها «ابن هشام نحو: زيدٌ متقٍ يخاف

الله أو يخاف الله متقٍ، أما الثاني إبدال الاسم من الجملَة، فجوزه أبو حيّان وجعل منه: ﴿وَلَمْ

يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيَمًا﴾ (الكهف/1-2)، فجعل (قيماً) بدلا من جملَة (ولم يجعل له عوجاً)

وأما الثالث (بدل الحرف من مثله)، فأثبتته سيبويه، وجعل منه: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ

إِذَا مِتُّمُ﴾ (المؤمنون/35)، فجعل (أن) الثانية بدلا من الأولى لا تأكيدا، والظاهر أن هذا من

توكيد الضمير مع إعادة ما اتصل به»¹.

وانطلاقاً من هذا نصل إلى أنّ الأصل أن يبدل الاسم من الاسم، ويبدل الفعل من الفعل

وتبدل الجملَة من الجملَة، وقد يجوز إبدال الفعل من الاسم، والاسم من الفعل والاسم من

¹ - الصبّان. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . مج: 3. ص: 195.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

الجملة، وقد اختلف في إبدال الحرف من الحرف، فأثبتته سيبويه ضمن باب البدل وجعله بقية العلماء ضمن التوكيد، ولعلَّ جعله ضمن باب التوكيد أحسن.

وإضافة إلى هذا قد يرد المبدل منه اسم شرط أو اسم استفهام، وفي هذه الحالة يجب «إعادة الهمزة مع البدل من اسم الاستفهام وإعادة (إن) مع البدل من اسم الشرط، فتقول: كيف زيد أصحيح أم سقيم؟، ومتى قدمت أيوم الخميس أم يوم الجمعة؟، وبمن تمرُّ إن رجلٍ أو امرأةٍ أمرر به»¹.

فقد أبدل اسما الاستفهام (كيف، ومتى) بالبدلين (صحيح، ويوم)، وقد اقترنا بهمزة الاستفهام (أصحيح) (أيوم)، كما أبدل اسم الشرط (من) بالبدل (رجل) وجاء البدل مقترنا بـ (إن)، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن (إن) التي تأتي قبل البدل في هذه الحالة «ليس لها من الشرط إلا اسمه، فلا تجزم ولا تعمل شيئاً، وإنما تفيد مجرد التفصيل، ولذا تُسمى (إن) التفصيلية»².

ولأنَّ (إن) في هذه الجملة تختلف عن (إن) الشرطية، فقد أطلق على هذا النوع من البدل اسم يتناسب مع اسمها، فهو يسمى ببديل التفصيل، وهو نوع من أنواع بدل كلٍّ من كل³.

هذا إذا كان المبدل منه اسم شرط أو اسم استفهام ، أما إذا كان اسماً وسبق بأداة من أدوات الاستفهام أو الشرط، فلا يجب «أن تدخل هذه الأدوات على البدل نحو: هل أحدٌ جاءك زيدٌ أو عمرو؟ وإن تضرب أحداً رجلاً أو امرأةً أضربه»⁴، فقد سبق المبدل منه (أحدٌ) بأداة

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1971.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج:3. ص:684.

³ - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:220.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم
الاستفهام (هل)، ولم يسبق البديل (زيد) بأداة الاستفهام، كما سبق المبدل منه (أحدًا) بأداة
الشرط (إن) ولم يسبق البديل (رجلاً) بأي أداة.

ونشير هنا إلى أننا لم نجد فيما قمنا باستقراءه من آيات على هذا النمط من البديل في
الربع الأول من كتاب الله، والله أعلم.

النمط السادس: بديل التفصيل:

إنَّ أبرز قضية تستوقفنا في هذا النوع من البديل هي قضية القطع النحوي التي استوقفتنا
ونحن بصدد البحث في التوابع السابقة.

فإنَّ كون البديل تابعاً من التوابع يجعل حكمه حكم بقية التوابع؛ أي أنه يطابق المبدل
منه في إعرابه؛ أي يتبعه في رفعه ونصبه وجره وجزمه، وهذه التبعية الإعرابية ليست
مطلقة، إذ يجوز أن يُقَطَّع البديل عن المبدل منه، ويكون هذا القطع إما رفعاً أو نصباً
«فالمرفوع يعرب خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً والمنصوب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً»¹.

ولا يجوز قطع البديل عن المبدل منه عنه إلا في حالات خاصة، وعند توفر شروط
معينة، كأن يكون المبدل منه لفظاً دالاً على الجمع ويكون البديل منه مفصلاً لهذا الجمع
أو يكون المبدل منه لفظاً دالاً على عدد، ويكون في البديل تفصيل لهذا اللفظ، وإنما يجوز
القطع «فيما فصلَّ به جمع أو عدد... إن كان وافياً بالفصل، فنقول: مررت برجال زيدٍ
وعمرٍ وبكرٍ وجعفرٍ وخالدٍ، إن أبدلت أتبعَت المبدل منه في الإعراب، وإن شئت قطعت إلى
الرفع فقلت: زيدٌ وعمرٌ وبكرٌ، وكذا فيما أبدل من اسم العدد»².

¹ - عبد الفتاح الحموز. القطع نحويًا والمعنى. ص: 55.

² - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 1973.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

فقطع البدل على هذه الحال يجوز إذا كان البدل بدل تفصيل سواء أكان المبدل منه جمعا كالمثال السابق (رجال) أم اسم عدد، وذلك بشرط أن يكون البدل مستوفيا لأجزاء المبدل منه، فإن لم يستوف أجزاءه «فالقُطْع ليس إلا كقولك: لقيت من القوم ثلاثةً: زيدٌ وعمرٌ، ولا يجوز الإبدال لأنَّ زيدًا وعمرًا لا تقع عليهما ثلاثة»¹، فالمبدل (ثلاثة) هو اسم عدد لم يستوف أجزاءه في البدل (زيدٌ وعمرٌ)، ولذلك وجب القُطْع وامتنع الإِتباع.

هذا إذا كان البدل بدل تفصيل، فإن لم يكن بدل تفصيل، ففيه خلاف بين العلماء بين من أجاز ذلك وبين من قَبَّح القُطْع في غير بدل التفصيل، فقد أورد السيوطي: «يجوز القُطْع أيضا نحو: مررت بزيدٍ أخوك، نصَّ عليه سيبويه والأخفش، وقيل يقبح في غير التفصيل»².

ففي هذا الشاهد (مررت بزيدٍ أخوك) قد قُطِع البدل (أخوك) عن المبدل منه (زيد) فلم يتبعه في الإعراب إذ جاء البدل (أخوك) مرفوعا، وهو مبتدأ مرفوع، أما المبدل منه فقد جاء مجرورا (زيد) بحرف الجر، وفي هذا المثال قُطِع البدل عن المبدل منه رغم أن البدل هنا ليس من باب بدل التفصيل.

وخلاصة القول في هذا الموضوع إنَّ الأصل في البدل أن يتبع المبدل منه في إعرابه لكنّه قد يقطع عنه، وإنَّما يجوز القُطْع في بدل التفصيل الذي يرد فيه البدل مستوفيا لأجزاء المبدل منه، فإن لم يستوف أصبح القُطْع واجبا، أما إذا لم يكن البدل بدل تفصيل فالقُطْع قبيح والله أعلم.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج:1. ص:292.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:222.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد ورد هذا النوع من البدل في مواضع مختلفة من الربع الأول من الذكر الحكيم، بلغ تعدادها سبعة (7) مواضع، ومن أمثله قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ (البقرة/102).

ففي هذه الآية أبدلت كلمة (الملكين) الدالة على المثنى بقوله: (هاروت وماروت) فكان البدل مستوفياً لأجزاء المبدل منه، فيجوز نحويًا القطع كما يجوز الإتيان، لكنه في الآية القرآنية قد أتبع، وبذلك يكون المبدل منه (الملكين) مجروراً أتبع بالبدل (هاروت وماروت) المجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة، لأنه ممنوع من الصرف لعلتين هما العلمية والعجمة، وقد جاء البدل هنا ليبيّن اسم الملكين المكلفين من الله.

يضاف إلى هذا فقد ورد هذا النمط من البدل أيضاً في سياق تفصيل الله سبحانه وتعالى في الميراث، إذ قال: ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً ﴾ (النساء/176).

ففي هذه الآية فصل الله في ميراث الرجل الذي مات ولم يترك ولداً، فالحالة الأولى أن هذا الرجل له أخت فقط، فترث نصف ماله، أما إن كانتا اثنتين فلهما الثلث، والملاحظ هنا أنه سبحانه لم ينف وجود الإخوة الذكور بالقول: (وله أخت وليس له أخ)، لأن لفظ التأنيث خاص بالموثقت فقط، فعدم ذكر الإخوة الذكور يعني انتفاء وجودهم.

لكنه عندما أتى إلى الحالة الثانية قال: (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً)، فصل في كلمة (إخوة) بالقول (رجالاً ونساءً)، وهي بدل منها، وقد بيّنتها ووضّحتها، وأزالت اللبس عنها فهي تحمل معنى الذكور والإناث معاً، فجعل البدل لتأكيد المعنى، وفي هذا تقييد للحكم الشرعي وحفظ لحقوق الرجال والنساء على حد سواء، والله أعلم.

ثانيا/ بدل بعض من كل:

وقد ورد هذا النوع من البديل بنسبة أقل من بدل كل من كل إذ ورد في ثمان (8) آيات ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة/126).

وقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه في هذه الآية أن يجعل مكة بلدا آمنا، وأن يرزق أهله من الثمرات، وقد قيد الله كلمة أهله بالقول: (من آمن بالله واليوم الآخر)، فكان اسم الموصول (من) بدلا من قوله (أهله)، وهو بدل بعض من كل.

وإنما كان اسم الموصول في هذه الآية بدل بعض من كل؛ لأنّ البديل (من) هو جزء من المبدل منه (أهله)، وقد اشتمل على ضمير يعود على المبدل منه، وهو الضمير المتصل في قوله (منهم)، والبديل في الآية هو بدل المعرفة من المعرفة، وهو بدل الظاهر من الظاهر.

ولهذا النوع من البديل شروط لا بد أن تتوفر ليجوز استعماله بدلا، فلا يكون هذا البديل إلا إذا كان المبدل منه من الأمور التي تتجزأ، فيتوهم السامع، ولا يدرك أي أجزاء المبدل منه يريد المتكلم، وبذكر البديل يتضح المعنى المقصود، ويزول ما كان فيه من توهم.

فلا بد إذا أردنا أن نبذل لفظا من لفظ بدل بعض من كل أن يكون البديل جزءا من المبدل منه؛ أي «أن يكون البديل جزءا حقيقيا من المبدل منه سواء أكان هذا الجزء أكبر من باقي الأجزاء أم أصغر منها أم مساويا، وأن يصح الاستغناء عنه بالبديل منه، فلا يفسد المعنى بحذفه»¹.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 667.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

ففي الآية القرآنية جاء اسم الموصول (من) بدلا، وهو دال على أهل مكة المؤمنين فقط، وهو جزء حقيقي من عدّة أجزاء من المبدل منه (أهله)، كما أنه يمكن الاستغناء عن البدل وتعويضه بالمبدل منه (أهله) دون فساد للمعنى رغم أنه يصبح أقلّ وضوحا وبيانا فنقول: (وارزق أهله من الثمرات)، وفي هذه الجملة يبقى المعنى غامضا مجهولا لحذف البدل (من آمن منهم)، ولا يستفاد من هذا الدعاء الغرض الذي أراده إبراهيم عليه السلام من خلاله، وهو تحبيب الناس وترغيبهم في الدين والإيمان.

إضافة إلى هذا، فإنه يشترط في بدل بعض من كلّ أن يشتمل على ضمير يعود على المبدل منه¹، ففي الآية السابقة مثلا اشتمل البدل (من آمن منهم) على الضمير (هم)، وهو يعود على المبدل منه (أهله).

ويتنوع هذا الضمير ويختلف بين الظاهر والمقدّر، فقد يربط بين البدل والمبدل منه بضمير ملفوظ أو مقدّر شرط أن يحصل الربط، نحو: « ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ ﴾ (المائدة/ 71)، و﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ ﴾ (آل عمران/97) أي منهم، و﴿ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾ ﴿4﴾ النَّارِ ﴿البروج/4-5﴾ أي فيه»².

والموضح أنّ الرابط ورد في الآية من سورة المائدة ظاهرا، وهو الضمير في قوله: (منهم)، وجاء مقدّرا في الآيتين من سورتي آل عمران والبروج، وتقديره (منهم)، (فيه). والبدل في الآية موضوع الدراسة إنّما جاء لتخصيص المبدل منه وتفصيله، وهذا أحد أغراض البدل، فقد يؤتى به من أجل «الإجمال ثم التفصيل... نحو: جاء القوم أكثرهم»³ فقد

¹ - انظر: الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 125.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 213.

³ - عبد اللطيف شريفى وزبير دراقى. الإحاطة في علوم البلاغة. ص: 96.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

فصّلت كلمة أكثرهم، وهي بدل بعض من كلّ في المبدل منه (القوم) بعدما كان مجملاً لأنها بينت من جاء من القوم بشيء من التفصيل.

أما في الآية القرآنية فبعد أن كان المعنى مجملاً في قوله (ارزق أهله) يحتمل العموم والشمول انتقل إلى التخصيص باستعمال البديل (من آمن بالله واليوم الآخر)، وفي هذا التخصيص «حرصاً من إبراهيم عليه السلام على شيوع الإيمان لساكني البلد الحرام، إذا علموا أن دعوة إبراهيم خصت المؤمنين تجنبوا ما يحيد بهم عن الإيمان، فجعل تيسير الرزق لهم على شرط إيمانهم باعثاً على الإيمان»¹.

فالبديل هنا لم يؤت به لمجرد تفصيل بعد إجمال أو تقرير، بل إنّ عدم ذكره كما أسلفنا يخرج بالدعاء عن المعنى الذي أراده إبراهيم عليه السلام، والغرض الذي يبتغيه وهو ترغيب الناس في عبادة الله عن طريق الدعاء لهم بتوسيع الرزق، وأورد البديل كقيد لهذا الدعاء.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه ورغم اشتراط وجود ضمير يربط بين البديل بعض من كلّ والمبدل منه، فإنه قد يُستغنى عن الضمير العائد على المبدل منه؛ وذلك إذا وجد في الجملة ما ينوب عنه في الربط بين البديل والمبدل منه كالألف واللام (ال)، أو في الاستثناء أو في حالة ذكر جميع أجزاء المبدل منه، وهذا في حالات هي:

1- الحالة الأولى هي « وجود (ال) التي تغني في إفادة الربط، وتقوم مقامه عند أمن

اللبس، نحو: إذا رأيت الوالدَ فقبّله اليدَ، أي فقبّل يده، أو اليدَ منه»² فالبديل (اليَد) في

هذا المثال لم يتصل به ضمير يعود على المبدل منه بل جاء معرفاً بـ (ال).

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:1. ص:716.

² - عباس حسن. النحو الوافي. ج:3. ص:668.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

2- أمَّا الحالة الثانية التي يجوز فيها حذف الرابط بين بدل بعض من كلِّ والمبدل منه فهي وروده في الاستثناء، ففي هذه الحالة « يكون البدل بعضا والمبدل منه هو المستثنى منه في كلام تام غير موجب (حيث يصحّ في المستثنى إمَّا النصب على الاستثناء وإمَّا الإتيان على البدلية من المستثنى منه...)، نحو: ما تعب السَّبَّاحون إلاَّ واحدًا أو واحدٌ، فوجود (إلاَّ) يغني عن الرابط لدلالاتها على أنَّ المستثنى بعض من المستثنى منه»¹.

والنتيجة التي يمكن أن نصل إليها أنَّ استعمال (إلاَّ) قد أغنى عن استعمال الرابط بين البدل والمبدل منه في جملة الاستثناء؛ وذلك لأنَّ البدل والمبدل هما في هذه الجملة كالمستثنى والمستثنى منه؛ ولمَّا كان بين المستثنى والمستثنى منه من رابط معنوي؛ أي الدلالة على أنَّ المستثنى جزء من المستثنى منه جاز حذف الرابط، والله أعلم.

3- والحالة الثالثة فترتبط ببطل التفصيل وشرطها «أنَّ يجيء بعد البدل سرْدٌ بقية أجزاء المبدل منه، بحيث يكون سردها وافيًا يشملها جميعًا ويستوفي كلَّ أجزاء المتبوع، مثل: الكلمة أقسام ثلاثة: اسم وفعل وحرف»².

وهذه هي الحالات التي يمكن الاستغناء فيها عن الضمير العائد على المبدل منه وشرطها كما وضَّحنا أن تؤدي وظيفة الربط التي يؤديها الضمير.

ومن الشواهد التي وقفنا عليها في هذه المسألة في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران/ 97).

والملاحظ حذف الضمير الرابط بين البدل (مَنْ) والمبدل منه (النَّاسِ)، والتقدير (من استطاع منهم إليه سبيلاً)، وذلك لدلالة السياق عليه.

¹ - عباس حسن. النحو الوافي. ج:3. ص:668.

² - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذه الآية أبدلت كلمة (النَّاس) المعرفة الدالة على عموم النَّاس بالبدل (مَنْ) وهو اسم موصول معرفة تخصيصا للمبدل منه (النَّاس)، وفي هذا تبيان من الله للفئة من النَّاس التي يجب عليها الحج، وفي ذلك بيان لشرط من شروطه، وهو الاستطاعة، فكان البدل هنا لغرض التوضيح والتخصيص.

ومن أمثلة بدل بعض من كلّ أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ (المائدة/24).

وقد جاء هذا الكلام من بني إسرائيل بعد أن أمرهم الله بالقتال والدخول إلى الأرض المقدّسة، فرفضوا ذلك، «فلما كرر عليهم أمر القتال كرروا الامتناع... وقيدوا أولا نفي الدخول بالظرف المختص بالاستقبال وحقيقته التأييد (لن ندخلها أبدا)، وقد يطلق على الزمان المتطاوّل فكأنهم نفوا الدخول طول الأبد، ثم رجعوا إلى تعليق ذلك بديمومة الجبارين فيها فبدّلوا زمانا مقيدا من زمان هو ظاهر في العموم في الزمان المستقبل، فهو بدل بعض من كلّ»¹.

فبعد أن نفي بنو إسرائيل الدخول نفيًا مؤبدا عن طريق قولهم (لن ندخلها أبدا) قاموا بتخصيص هذا بقولهم (ما داموا فيها)، وهو بدل بعض من كلّ من قوله (أبدا)؛ لأنّ قوله: (ما داموا فيها) جزء من قوله (أبدا)، فهو زمن جزء من زمن آخر، وفي هذا تقييد منهم لدخولهم إلى الأرض المقدّسة، والله أعلم.

¹ - أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط. ج:3. ص:471.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

ثالثا/ بديل الاشتمال:

من بين أنواع البديل التي استعملها المولى عزّ وجلّ في الربع الأول بديل الاشتمال وشروط هذا النوع من البديل هي شروط بديل بعض من كلّ نفسها من «صحة الاستغناء بالمبدل عن البديل... وأن يوجد ضمير يعود على المبدل منه»¹، ووظيفة هذا الضمير هي الربط بين البديل والمبدل منه.

ولقد احتوت آيات الربع الأول من كتاب الله على أحد عشر (11) بديل اشتمال، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (البقرة/217).

فقد أبدلت كلمة (الشهر) المنعوتة بكلمة (الحرام) بالمبدل (قتال فيه)، وقد ارتبط البديل بالمبدل منه بالضمير (هاء) في قوله: (فيه)، والبديل في هذه الآية تبع المبدل منه في إعرابه (الجر)، لكنّه خالفه في التعريف، فقد جاء المبدل منه (الشهر) معرفة بينما جاء لفظ البديل (قتال) نكرة.

وإذا أردنا أن نقف على الغرض من استعمال البديل في هذه الآية لابد بداية من الوقوف عند سبب نزولها، فقد نزلت في سؤال المشركين عن القتال في الشهر الحرام؛ لما عرف من أنّه من عادات العرب في الجاهلية حرمة القتال في الأشهر الحرم (ذو القعدة، وذو الحجة ومحرم، ورجب).

وسياق هذه الآية أنّ «المشركون قد صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوه عن المسجد الحرام في شهر حرام، ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل فعاب المشركون على رسول الله القتال في الشهر الحرام»²، فنزلت هذه الآية، وهي تحتوي على سؤال المشركين يتلوه جواب الله بقوله: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة/217).

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1966.

² - ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ص: 281.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

فالسؤال إذن في الآية الكريمة كان عن القتال في الشهر الحرام، وكان السياق يقتضي أن يقال: (يسألونك عن القتال في الشهر الحرام)، لكن الله عزّ وجلّ اختار أن يقدم (الشهر الحرام) لبيان فضله ومكانته هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أبدل منه البديل (قتال) وهو كما قلنا بدل اشتمال، وفي استعماله كان التفصيل بعد الإجمال، والله أعلم.

إضافة إلى هذا ففي تكرير لفظ البديل (قتال) بلاغة كبيرة تكمن في إرادة «العموم إذ ليس المسؤول عنه (قتال) معين ولا في شهر معين، بل المراد هذا الجنس في هذا الجنس»¹.

وبهذا فقد بيّن الخطاب القرآني بتكرير كلمة (قتال) أنّ سؤال المشركين يتضمن كلّ أنواع القتال لأنّ التكرير يؤدي إلى معنى العموم، وقد كان الردّ من الله واضحا، فقال: «قل قتال فيه كبير» فكان الجواب باسم نكرة أيضا (قتال) قد أتبع بنعتين الأولى شبه الجملة (فيه) والثاني مفرد (كبير)، وقد زاد استخدامها المعنى وضوحا وتأكيذا.

وإذا عدنا إلى استخدام النعوت في هذه الآية سنجد أنّ الرد من الله كان يمكن أن يكون بالقول: (قل قتال كبير)، لكنّ الخطاب القرآني استعمل النعت شبه الجملة (فيه)، و(في) هو حرف له تسعة معان أولها والأصل فيها الظرفية².

فكان النعت بشبه الجملة تأكيدا على القتال في وقت محدد حدده حرف الجر(في) الدال على الظرفية الزمنية والمتعلّق بالشهر الحرام، وفي هذا تأكيد على وجود قتال في الشهر الحرام، وإزالة اللبس في هذا الموضوع بسبب ما تعودّه الناس من حرمة القتال في هذا الشهر، والله أعلم.

¹ - ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج:2. ص:325.

² - انظر: المرادي الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 1992. ص: 250.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا كان بدل بعض من كلّ، وبديل كلّ من كلّ يردان اسما صريحا، فإنّ بدل الاشتمال «كثيرا ما يرد مصدرا مؤولا»¹ ومن أمثلة وروده على هذه الصورة في الربع الأول من كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ﴾ (البقرة/232).

فقد أبدل الضمير (هنّ) في قوله: (تعضلوهنّ) بالمصدر المؤول: (أن ينكحن) وعضل المرأة: «منعها التزوج ظلما»²، وقد اختلف المفسرون في المخاطب في هذه الآية، فقيل: هم الأزواج المطلقون الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة من نكاح غيرهم، وقيل هم الأولياء الذين يمنعون بناتهم من العودة إلى أزواجهن بعد انقضاء العدة³.

ففي هذه الآية الكريمة ورد المصدر المؤول (أن ينكحن) وتقديره (نكاحهن) بدل اشتمال وقد أفاد التفصيل بعد الإجمال، ووضّح بذلك حرمة منع المرأة من الزواج بعد انقضاء مدة عدتها سواء كان المنع من زوجها أم من ولي أمرها، والله أعلم.

رابعا/ البديل على المحل:

إنّ الأصل عند علماء اللغة أنّ يتبع التابع المتبوع في إعرابه؛ لأنّه إنّما سُمي تابعا لهذه الخاصية، لكنّ علماء اللغة أجازوا نوعين من التبعية الأولى هي تبعية على اللفظ؛ أي أن يتبع الثاني الأوّل في حركة إعرابه بصرف النظر عن كونها أصلية، أم أنّها علامات بناء عارضة، والنوع الثاني هو التبعية على المحل، وفي هذا النوع يتبع الأوّل الثاني في حركته الأصلية، ولا يكون هذا إلا في الكلمات التي تنتهي بعلامات عارضة.

¹ - عبد الخالق عزيمة. دراسات لأسلوب القرآن. ج:4. ص:41.

² - المعجم الوسيط. مادة (ع ض ل). ص: 607.

³ - انظر. أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج:2. ص:220.

الفصل الثالث:.....البدل في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

ورغم أنّ النوعين جائزان في اللغة إلا أنّ «الإِتباع على اللفظ هو الأصل نحو: ليس عليّ بـجبانٍ ولا بخيلٍ... [أما الإِتباع على المحل]، فيظهر بوضوح في تابع الكلمات المبنية بناءً عارضاً كاسم لا النافية للجنس والمنادى المفرد العلم والنكرة المقصودة، وكذلك تابع المجرور بحرف جر زائد وتابع المضاف إليه المصدر، وهم مفعول أو فاعل في المعنى وكذلك أيضاً العطف على اسم إنّ ولكنّ على أساس أنّ محله الابتداء»¹.

ولقد أتبع على اللفظ كما أتبع على المحل في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله، أما الإِتباع على اللفظ فهو الأكثر لأنّه الأصل، وقد تناولنا نماذجاً كثيرة منه سابقاً، وأما الإِتباع على المحل، فمن صورهِ الإبدال على المحل وقد ورد في ثمانية (8) مواضع.

ومن أمثلة هذا كلمة الشهادة (لا إله إلا الله)، والتي يرى علماء النحو أنّ كلمة لفظ الجلالة (الله) فيها المرفوعة إنّما رُفعت؛ لأنّها أُبدلت بالرفع على الموضع؛ وذلك أنّ أصل اسم (لا) مبتدأ، وهذا الرأي الأوَّل، وهناك رأي آخر يقول إنّ المبدل منه هو الضمير المستتر في خبر (لا) ومؤدّى العبارة: لا إله لنا إلا الله، أو لا إله موجود إلا الله، أو لا مستحق للعبادة إلا الله².

فحسب الرأي الأوَّل أُبدل لفظ الجلالة من موضع أو محل اسم (لا) النافية للجنس (إله)، وهو في الأصل مبتدأ مرفوع، وحسب الرأي الثاني أُبدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف المقدر بـ (لنا، موجود، مستحق)، ولذلك جاء مرفوعاً مثله.

ومن الآيات التي وقفنا فيها على البدل على المحل أيضاً آية ذات فضل عظيم هي آية الكرسي، إذ قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة/255).

¹ - عبد السلام السيد حامد. الشكل والدلالة. ص : 270-271.

² - انظر: ابن هشام. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ج:2. ص:259.

الفصل الثالث:.....البذل في الربع الأول من القرآن الكريم

ففي هذه الآية «كان ما قبل إلا غير موجب؛ ولذلك فما بعدها تابع لما قبلها على البذل، ويجوز فيه النصب إذا تمّ الكلام دونه»¹. والملاحظ في هذه الآية أنّ ما بعد (إلا) هو الضمير (هو)، ولا يمكن الاستغناء عنه ولا يتم المعنى دونه، ولذلك وجب أن يكون تابعا لما قبله فيكون بدلا، والله أعلم.

والبذل في هذه الآية يتبع المبدل منه على محلّه لا على لفظه، فالمبدل منه (إله) جاء منصوبا أما البذل (هو)، فهو ضمير رفع منفصل، وإنّما جاء مرفوعا؛ لأنّ كلمة (إله) أصلها مبتدأ مرفوع، فلما سبقت بـ (لا) النافية للجنس أصبحت مبنية على الفتح.

وإضافة إلى هذا فقد احتوت هذه الآية مجموعة من الصور البلاغية، فقد استعمل الله أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهو قصر حقيقي «اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لم يتعده إلى غيره»²، فالله يختص بالألوهية حسب الحقيقة والواقع، وهي صفة ملازمة له لا تتعداه إلى غيره، وهذا يفرض له الوجدانية، فهو إله واحد لا شريك له وهذا ما أدى إلى تقرير المعنى وتوكيده.

وإضافة إلى كلمة الشهادة، فقد أبدل على المحل أيضا في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا³ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام/161).

فالله عزّ وجلّ في هذه الآية يبيّن الطريق الذي يجب على كل مسلم أن يسلكه، وقد نعته بداية بالنعت (مستقيم)، فقال (صراط مستقيم)، وذلك قصد تخصيصه، ثمّ أتى بقوله:

¹ - الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (ت 337هـ). الجمل. تحقيق: ابن أبي شنب. مطبعة كنكسيك. باريس - فرنسا. ط: 2. 1957. ص: 235.

² - السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 167.

³ - اختلف القراء في (دينا قيما)، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (دينا قيما) مفتوحة القاف مشددة الياء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (قيما) مكسورة القاف مفتوحة الياء. انظر: ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. ص: 274.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

(دينا قيما)، كي يزيده وضوحا وبيانا، وكلمة «(دينا) منصوبة على البديل من محل (إلى صراط)؛ لأنّ معناه: هداني صراطا»¹، وتقدير الآية (هداني صراطا مستقيما دينا قيما ملة إبراهيم).

وإذا عدنا إلى معنى قوله تعالى (دينا قيما)، سنجد القرطبي يقول: «الدين القيم الدين المستقيم الذي لا عوج فيه»²، ولا يكون المسلم على صراط مستقيم إلا إذا كان على ملة إبراهيم، فالصراط المستقيم هو نفسه ملة إبراهيم؛ وبذلك فقوله: (ملة إبراهيم) بدل كلّ من كلّ من قوله: (دينا قيما).

وفي هذه الآية تقرير من الله وبيان للطريق الوحيد الذي ينبغي على الإنسان الذي يريد النجاة في الدنيا والآخرة أن يسلكه، وقد بيّنه الله سبحانه وتعالى أولا باستخدام النعت (مستقيم) ثم أكدّ عليه بالبديل (دينا قيما) بما يحمله من معنى الاستقامة، والله أعلم. وبهذه الآية نستنتج أنه أبدل على الموضع كما أبدل على المحل في الربع الأول من الذكر الحكيم، وقد كان الأول أكثر استخداما، والله أعلم.

خامسا/ البديل من اسم الإشارة:

من المعروف أنّ أسماء الإشارة من الأسماء المبهمة، فهي تحتاج إلى لفظ يوضحها ويزيل عنها هذا الإبهام، ولذلك «يكثر بعدها مجيء النعت أو البديل أو عطف البيان... فإن كان الاسم بعدها مشتقا، فأعرابه نعتا هو الأفضل، فإذا كان جامدا فأعرابه بدلا أفضل»³.

¹ - الزمخشري. الكشاف. ج:2. ص:419.

² - القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج:9. ص:138.

³ - عباس حسن. النحو الوافي. ج:1. ص:339.

الفصل الثالث:.....البدل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد أشار أبو حيان إلى هذه المسألة، واللفظ المعرفة بعد اسم الإشارة عنده هو عطف بيان، حيث قال: « وقال النحاة في "مررت بهذا الرجل" إن الرجل عطف بيان»¹، وقد أوردنا سابقا أن كل عطف بيان هو بدل كل من كل، ولذلك جعلناه كنوع من أنواع البدل.

وقد ورد هذا النوع من البدل في آيات الربع الأول من القرآن الكريم أربع عشرة مرة، (14) ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/245).

وقد أبدل اسم الإشارة (ذا) في هذه الآية باسم الموصول (الذي)، وإذا وقفنا عند هذه الآية سنجد الله سبحانه وتعالى استعمل الاستفهام بـ (من) لحث المؤمنين على الإنفاق، ولم يجعل المستفهم عنه واضحا بل جعله مبهما من خلال استعماله اسم الإشارة (ذا) وكان يستطيع القول: (من المؤمن الذي يقرض الله قرضا حسنا).

والواضح أن في استعمال اسم الإشارة تشويق للسامع، وقد زاد هذا التشويق بتفسيره (اسم الإشارة) باسم الموصول الذي لا يتضح معناه إلا بصلته، والتي كانت جملة فعلية فعلها مضارع (يقرض الله قرضا حسنا)، والفعل المضارع دال على معنى التجدد.

وبعد هذا الاستفهام ذكر الله أجر الذي ينفق في سبيل الله، فقال: « فيضاعفه له أضعافا كثيرة»، فقام بنعت كلمة (أضعافا) الدالة على الكثرة العددية بكلمة (كثيرة) الدالة أيضا على الكثرة؛ للتأكيد على الأجر الكبير الذي يناله المنفق، وفي هذا حث من الله للناس على الصدقة والإنفاق.

وقد ورد هذا النوع من البدل أيضا في سياق الحديث عن قصة ابني آدم عليه السلام فبعد أن قتل الأخ أخاه، واحترار ماذا يصنع بجثته أرسل الله له غرابا، فدله على طريقة دفنه فقال: ﴿ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾ (المائدة/31).

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص: 1944.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد استعمل الله الاستفهام بالهمزة كأسلوب إنشائي في هذه الآية الغرض منه إظهار الحسرة والندم، وإضافة إلى هذا، فقد استخدم اسم الإشارة (هذا) رغم أنه يمكن القول: (مثل الغراب) لما «في استعمال اسم الإشارة من دلالة على التحقير والاستغراب»¹. وهذا الاختيار الدقيق للألفاظ والأساليب دلّ وعكس استغراب ابن آدم من ضعفه وقلة حيلته أمام هذا الكائن الذي يبدو أضعف وأقلّ شأنًا منه، فكان استعمال اسم الإشارة (هذا) وإيداله بكلمة (غراب) أبلغ وأكثر وضوحًا وبيانا، والله أعلم.

سادسا/ البديل من المنادى:

ونقصد بالبديل من المنادى الاسم المعرفة الذي نتوصل إلى ندائه بلفظ (أيّ) أو (أية) فيعرب هذان اللفظان منادى، ويكون الاسم المعرفّ بـ (ال) تابعا، فيكون نعنا إذا كان مشتقا وبدلا إذا كان جامدا²، وقد استعمل الله تعالى هذا التركيب كثيرا في الربع الأول من الكتاب الكريم، وقد بلغ تواتر استعماله تسعا وأربعين (49) مرة.

ولعلّ الملاحظة التي وقفنا عندها بعد إحصاء هذا النوع من البديل هي أنه استعمل في صورتين فقط الأولى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» وفي هذا خطاب للمؤمنين واسم الموصول (الذين) هو بديل من المنادى (أيّ)، أما الصورة الثانية، فهي قوله تعالى «يا أيها النَّاسُ» والبديل هو كلمة (النَّاس) والمبديل منه (أيّ).

وقد وردت الصورة الأولى أكثر من الصورة الثانية، إذ وردت خمسا وأربعين (45) مرة، بينما وردت الثانية أربع (4) مرات، ولعلّ تفسير هذا كون أغلب سور الربع الأول مدنية، فالبقرة وآل عمران والمائدة والنساء سور مدنية والفاتحة والأنعام مكية³.

¹ - السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص:118.

² - انظر: أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص: 1945، وعباس حسن. النحو الوافي. ج:4. ص:51.

³ - انظر: السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج:1. ص:52-53.

الفصل الثالث:.....البديل في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد وجدنا بعد الإحصاء الذي أجريناه أنّ التركيب (يا أيّها الذين آمنوا) أكثر من التركيب (يا أيّها النّاس) في السور المدنية المدروسة، بينما تخلو السورتان المكيّتان من التركيبين معاً.

وقد أورد الزركشي في البرهان أنّ «ما كان من القرآن» «يا أيّها الذين آمنوا»، فهو مدني، وما كان «يا أيّها النّاس» فهو مكّي¹؛ لأنّ الآيات المدنية تخاطب المؤمنين في أغلب الأحيان بينما تخاطب الآيات المكية المشركين غالباً، والله أعلم.

وفي الأخير وفي ختام هذا الفصل يمكن أن نقول إنّ ما قمنا بعرضه من آراء للنّحاة والبلاغيين حول البديل، وبعد عملية الرصد التي قمنا بها للبديل كتابع في آيات الربع الأول من القرآن الكريم، يمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- استخدم البديل في هذا الربع من كتاب الله وبأنواعه المختلفة، وكان هذا الاستعمال لدلالات وأغراض مختلفة حددتها سياقات الآيات القرآنية.
- أبدل الظاهر من الظاهر كما أبدل من المضمّر في الربع الأول.
- أبدلت المعرفة من المعرفة كما أبدلت النكرة من النكرة، وأبدلت المعرفة من النكرة أيضاً مع نعت النكرة في مواضع ودون نعتها في أخرى.
- أبدل على الموضع كما أبدل على المحلّ في الربع الأول، وكان النوع الأول أكثر وروداً، والله أعلم.

¹- الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج:1. ص:189.

✍️ الفصل الرَّابِع: العطف في الرَّبِيع الأوَّل من

القرآن الكريم

المبحث الأوَّل: العطف مفهومه وأنواعه:

أولاً/ مفهوم العطف.

ثانياً/ أنواع العطف.

المبحث الثاني: حروف العطف واستخدامها في

الرَّبِيع الأوَّل من القرآن الكريم:

أولاً/ العطف بالحروف المتَّفِق عليها .

ثانياً/ العطف بالحروف المَخْتَلَف فيها.

ثالثاً/ أحكام متعلِّقة بالعطف.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم


لقد أشرنا ونحن بصدد وضع حدِّ لمصطلح التوابع إلى أنّ بعض علماء اللغة قد قاموا بتقسيمها إلى قسمين قسم يتبع دون توسط حرف، وهي التوابع التي قمنا بتسليط الضوء عليها في الفصول السابقة (النّعت، والتوكيد، والبدل)، وقسم يتبع بتوسط حرف، وهو ما اصطلحوا عليه مصطلح (عطف النّسق)، والذي سيكون محور هذا الفصل، إن شاء الله.

وسيكون العمل في هذا الفصل ضمن مبحثين أمّا الأوَّل، فسنخصه لما ورد حول مصطلح (العطف) وذلك من الناحية اللغوية والنحوية؛ أي ما تعلقّ بالتعريف اللغوي والاصطلاحي، وأنواع العطف وبعض المسائل المتعلّقة بأحكام العطف.

أما الثاني فسننتبع فيه العطف في آيات الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله، وذلك بإحصاء عدد وروده، وتواتر كلّ حرف من حروف العطف، وسنربط كلّ آية ورد فيها بسياقها لأجل الوقوف على سر البلاغة في استخدامه، كما سننتظر في هذا المبحث إلى بعض المسائل الخلافية في باب العطف.

وسنقسّم العمل في هذا المبحث انطلاقاً من حروف العطف التي وقفنا عليها في الرَّبْع الأوَّل من القرآن، وسنربط ذلك بما وجدناه في مصادر النحو من تقسيم لهذه الحروف إلى متّفق عليها ومختلف فيها.

وسنبداً بالمتّفق عليها منقبين عن معانيها في كتب النحو رابطين إيّاها بالاستعمال الفعلي في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم؛ لأجل وضع أيدينا على المعاني البلاغية التي تؤدّيها صور العطف، ثمّ سنعرّج على المختلف فيها، وسنتناولها من خلال آراء العلماء المتباينة فيها، واستعمالها في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله، لنختم المبحث بمشيئة الله- بالحديث عن بعض أحكام العطف كالحذف والتقديم والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

المبحث الأول: 

العطف مفهومه وأنواعه

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

أولاً/ مفهوم العطف:

1- العطف لغة:

لقد قمنا بتتبع المعاني اللغوية للمادة (ع ط ف)، فوجدنا أنها وردت في المعاجم، بمعنى الانصراف، كما وردت بمعنى الحماية والرحمة، يضاف إلى ذلك معنى الانتشاء، إذ قال ابن منظور في معناها إنَّ: «عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفًا انصَرَفَ وَرَحَلَ، وَرَجَلَ عَطُوفٌ وَعَطَّافٌ يَحْمِي الْمُنْهَزِمِينَ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ يَعْطِفُ عَطْفًا رَجَعَ عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ أَوْ لَهُ بِمَا يَرِيدُ،... والعطف تَثْنِي عِنْهَا (الشاة) لغير علة، وفي حديث الزكاة ليس فيها عَطْفَاءٌ أي ملتوية القرن»¹.

وبذلك فإنَّ معنى كلمة (عطف) يرجع إلى شعور الرحمة من جهة، وصفة الالتواء من جهة أخرى، ولعلَّ المعنى الثاني هو أقرب المعنيين إلى المصطلح النحوي (العطف) لما يدلُّ عليه المصطلح من عطف المعطوف على المعطوف عليه، فكأنَّه ينثني ويرجع إليه في الإعراب، وهذا ما سنبيِّنه ونحن نتناول العطف في اصطلاح النَّحاة، بحول الله.

2- العطف في الاصطلاح:

لقد ارتأينا الانطلاق في وضع حدٍّ للعطف من كونه النوع الثاني من أنواع التوابع فالتوابع نوعان، نوع يتبع دون توسطَّ حرف، ونوع يتبع بتوسطَّ حرف، وهو عطف النَّسْق وهو النوع الثاني من أنواع العطف، والعطف نوعان: عطف بيان وعطف نسق، أما النوع الأوَّل، فقد قمنا بدراسته مع بدل (كلَّ من كلِّ) لما وجدنا بينهما من تداخل؛ ولذلك فهذا الفصل مخصص لدراسة عطف النسق فقط، وسنقف بدايةً عند مفهومه في اصطلاح النحويين.

¹ - ابن منظور . لسان العرب. مادة (ع ط ف). مج: 9 . ص: (249-250).

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وبعدتنا إلى بعض مصادر النحو ومراجعته وجدنا أن العلماء إنما اكتفوا بإيراد معاني حروف العطف وأنواعها عند التطرُّق لحدِّه، ولم يضعوا له تعريفاً أو حداً خاصاً، ولعلَّ علَّة هذا وسببه ما أورده أبو حيَّان الأندلسي، والسيوطي في كون العطف لا يكون إلا بأدوات مخصوصة (حروف العطف)، فإذا قمنا بالتفصيل في معانيها، واستعلاماتها، فإنَّما نقوم بذلك بوضع حدٍّ للعطف¹.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد وقفنا على مصطلح (النَّسق) إلى جانب مصطلح العطف فنجد بعض علماء اللغة يستعمل المصطلح الأوَّل، فيقول: (باب العطف، وحروف العطف)، ونجد فئة أخرى تصطلح عليه مصطلح (عطف النَّسق وحروف النَّسق)، وقد أورد أبو حيَّان في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب أنَّ النَّسق عبارة الكوفيين، وأنَّ أكثر ما استعمله سيبويه في هذا الباب هو مصطلح الشَّرْكَة².

أما العطف أو كلمة (عطف)، فقد أوردنا معناها فيما سبق، وأدركنا أنَّها إنما تلتقي مع المعنى الاصطلاحي باعتبار أنَّها تحمل معنى الانتشاء، وهكذا المعطوف ينتهي على المعطوف عليه إذ يشاركه في إعرابه، وفي أمور أخرى يختص بها كلُّ نوع من أنواع العطف، والتي سنقف عليها في العناصر اللاحقة، إن شاء الله.

وإذا عدنا إلى المعنى اللغوي لكلمة (نسق)، فهو عند ابن منظور: «ما كان على طريقة ونظام واحد، عام في الأشياء... ونسَّقَهُ نَظْمَهُ على السواء... [ثمَّ أورد ابن منظور استعمال

¹ - انظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت 180هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي.

القاهرة- مصر. ط:3. 1988. ج:1. ص:438، والمبرد. المقتضب. ج:1. ص:148، وأبو حيَّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص:1975، والسيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج:5. ص:223.

² - انظر: أبو حيَّان الأندلسي. المصدر السابق. ج:4. ص:1975، وسيبويه. المصدر السابق. ج:1. ص:441.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم
النحويين لهذا المصطلح، فقال: والنحويين يسمون حروف العطف حروف النَّسْق، لأنَّ
الشيء إذا عطف عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً¹.

وابن منظور بهذا الكلام يجعل مصطلح النَّسْق مرادفاً لمصطلح العطف، فهما
يستعملان للمعنى نفسه، وهذا هو الأقرب للصواب لما رأينا من اجتماع للمصطلحين في
المعنى والاستعمال في كتب النحو، والله أعلم.

وإنَّ ما قدّمناه من آراء متعلّقة بمصطلح (العطف) يوصلنا إلى مجموعة من النتائج هي
أنَّ العطف، أو عطف النسق هو التابع الذي يتبع بتوسط حرف من حروف مخصوصة، هذه
الأخيرة اصطُح عليها حروف العطف أو حروف النسق لما تُحدّثه من عطفٍ، وتنظيم
أو تبعية بين المعطوف والمعطوف عليه سواءً في الإعراب أو في غيره.

ثانياً/ أنواع العطف:

لقد ارتأينا تقسيم العطف في هذا العنصر انطلاقاً من أنَّ الاسم يعطف على الاسم، وأنَّ
الفعل يعطف على الفعل، وأنَّ الجملة تعطف على الجملة أيضاً، وهذا ما أقرّه العلماء من
أنواع العطف.

فانطلاقاً من وقوفنا على آراء العلماء في هذه المسألة، وجدنا أنهم يقرّون أنه «لا
يجوز العطف فيما عدا ذلك، فإن وجد اسم معطوف على فعل أو فعل معطوف على اسم
فلا بد أن يكون الاسم في تقدير الفعل أو الفعل في تقدير الاسم، وكذلك إن وجدت جملة
معطوفة على مفرد، أو مفرد معطوفاً على جملة»².

¹ - ابن منظور. لسان العرب. مادة (ن س ق). مج: 10. ص: 352-353.

² - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجة. ج: 1. ص: 223.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وهذا يبيِّن أنَّ المعطوف إضافة إلى تبعيته للمعطوف عليه في الإعراب، فإنَّه يطابقه في النوع، فإذا كان المعطوف عليه فعلا كان المعطوف فعلا وهكذا، فإنَّ عطف بين مختلفين من النوع، أي بين اسم وفعل، أو غير ذلك مما سبق التمثيل له، وجب أن يكون الفعل في تقدير الاسم أو العكس.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم العطف إلى عطف مفرد على مفرد أي عطف اسم على اسم أو عطف فعل على فعل، وعطف جملة على جملة، وهذا بيان هذه الأنواع:

1- عطف المفرد على المفرد:

ويندرج تحت هذا النوع عطف الاسم على الاسم، وعطف الفعل على الفعل، وعطف الفعل على الاسم إذا كان في تقدير الاسم، وكلّ نوع من هذه الأنواع كانت فيه بين النحويين مسائل نحوية حاولنا جمعها وتحليلها، وذلك بالوقوف عند آراء النحويين، وما استندوا عليه من شواهد.

أ/ عطف الاسم على الاسم:

إذا كان العلماء على اتفاق أنَّه يجوز عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر، فإنَّ في عطف الاسم على الضمير والضمير على الاسم والضمير على الضمير على اختلاف نوع الضمير مسائل نحوية اختلف فيها علماء النحو واللغة وتعددت فيها الآراء بين الجواز دون شروط، والجواز مع الشروط، والمنع.

أمَّا الاتفاق كما أوردنا فكان في جواز عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر، أمَّا عطف الضمير على الضمير، أو الضمير على الظاهر أو العكس، فقد أورد السيوطي وأبو حيَّان الأندلسي أنَّه إضافة إلى جواز عطف الظاهر على الظاهر، فإنَّه يعطف الظاهر على

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

الضمير المنفصل، نحو: إِيَّاكَ وَزَيْدًا رَأَيْتُ، أو المتصل، نحو: رَأَيْتُكَ وَزَيْدًا، كما يعطف الضمير المنفصل على المنفصل، نحو: زَيْدٌ إِيَّاهُ وَإِيَّاكَ أَكْرَمْتُ، وَزَيْدٌ أَنْتَ وَهُوَ قُمْتُمَا، كما يعطف الضمير المنفصل على الظاهر، نحو: أَكْرَمْتُ زَيْدًا وَإِيَّاكَ وَقَامَ زَيْدٌ وَأَنْتَ¹.

وتجدر الإشارة هنا إلى الاتفاق بين علماء اللغة على جواز هذه الأنواع من العطف ولكن الاختلاف بينهم كان في شروط العطف فيها، وهذا ما سنفصل القول فيه، ونحن بصدد تتبع هذه الأنماط من العطف في آيات الربع الأول من كتاب الله، بعون الله.

ب/ عطف الفعل على الفعل:

من المتفق عليه أنه كما يعطف الاسم على الاسم، فإنه يعطف الفعل على الفعل فيعطف الماضي على الماضي، كما يعطف المضارع على المضارع، وكذلك الأمر يعطف الأمر على الأمر، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل يعطف الماضي على المضارع؛ أي هل يجوز العطف بين فعلين مختلفين في الزمن؟.

والإجابة هي أنّ عطف الفعل على الفعل لا يكون إلا بشروط وهي: «اتحاد زمانيهما سواء اتحد نوعاهما، نحو: قوله تعالى: ﴿لَنُحْيِيَّ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ﴾ (الفرقان/49)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد/36)، أم اختلفا، نحو: قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾² (هود/98).

¹ - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 266، وأبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 2012.

² - الصبان. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 177.

الفصل الرابع:.....العطف في الربيع الأول من القرآن الكريم

ففي هذه الشواهد اتحد الفعلان المعطوفان (نحيي، ونسقي) والفعلان (تؤمنوا، وتتقوا) في الزمن والصيغة (المضارع)، بينما اتحد الفعلان (يقدم، وأورد) في الزمن (المستقبل)، واختلفا في الصيغة (الأول مضارع، والثاني ماض).

فالماضي إذن لا يعطف إلا على الماضي، والمضارع لا يعطف إلا على المضارع وكذلك الأمر لا يعطف إلا على ما يتحد معه، لكن قد يعطف الفعلان رغم اختلافهما في الصيغة، وذلك لاتحادهما في الزمن، نحو قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾ (الحج /63)؛ أي فأصبحت، وقول الشاعر:

ولقد أمرت على اللئيم يسبني.....فمضيت

أي مررت¹.

والشاهد هنا عطف الفعل (تصبح)، ذو صيغة المضارع على الفعل أنزل ذو صيغة الماضي لاتحادهما في الزمن الماضي، أي(أنزل من السماء ماء فأصبحت الأرض مخضرة) كما عطف الفعل (مضيت)، ذو صيغة الماضي على الفعل (يسبني)، ذو صيغة المضارع لدالاتهما معا على الماضي، ومن هنا فالقاعدة في عطف الفعل هي اتحاد الفعلين في الزمن وإن اختلفا في الصيغة.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 272.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

ج/ عطف الفعل على الاسم أو العكس:

وعطف الفعل على الاسم أو العكس هو من أنواع العطف التي أجازها علماء اللغة بشرط أن يكون أحدهم في تقدير الثاني، وهذا ما أوردناه سابقاً، وفي هذا يقول ابن مالك:

» واعطفُ على اسمٍ شَيْبَةً فِعْلٌ فِعْلاً وَعَكْسًا اسْتَعْمَلُ تَجِدُهُ سَهْلاً»¹

وفي هذا البيت يوضِّح ابن مالك جواز ما أوردناه في العطف، بشرط إمكانية التقدير أي أن يُقدَّر الفعل بالاسم أو يُقدَّر الاسم بالفعل.

2- عطف الجملة على الجملة:

تعطف الجملة على الجملة كما يعطف الاسم على الاسم، ويعطف الفعل على الفعل لكنَّ السؤال المطروح، هل تعطف الجملة الاسمية على الفعلية أو العكس، وهل تعطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية؟.

أمَّا عطف الاسمية على الفعلية وعكسه، «فالجمهور على الجواز، وبعضهم على المنع»²، ولأنَّ الجمهور يذهبون إلى الجواز، فإنَّه يجوز عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية والعكس.

وإذا أتينا إلى عطف الخبر على الإنشاء أو عكسه وجدنا في ذلك خلافاً بين علماء البلاغة وعلماء النحو، فالبلّاغيون يمنعون هذا، بينما يجيزه بعض علماء النحو مستشهدين بآيات من الذكر الحكيم، إذ منعه البيانين وابن مالك، وابن عصفور، وأجازهُ الصّفار تلميذ ابن عصفور، وجماعة مستدلين بنحو: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾³ (البقرة/ 25).

¹ - ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص: 43.

² - السيوطي. الإتقان في علوم القرآن . ج: 4. ص: 227.

³ - انظر: الصّبّان. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 180.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذه الآية من آيات الربع الأول من كتاب الله، وستكون موضوع بحثنا، وتحليلنا في

المبحث الثاني، بحول الله¹.

3- عطف الجملة على المفرد والعكس:

إذا كان عطف الاسم على الفعل وعطف الفعل على الاسم يعتمد على التقدير، فإنّ عطف الجملة على المفرد يعتمد على ذلك أيضا: «فيجوز عطف المفرد على الجملة وبالعكس إذا تجانسا بالتأويل نحو: زيدٌ أبوهُ كريمٌ وعالمٌ إخوتهُ، لكنّ عطف الجملة على المفرد أولى من العكس؛ لكونها فرعا عليه في كونها ذات محل من الإعراب، فالأولى كونها تابعة له في الإعراب»².

والقاعدة هنا إذن أنه يجوز عطف الجملة على المفرد والعكس، ولكنّ الأول أولى لما أوردناه سابقا من أنّ المفرد أصل، والجملة فرع يؤول بالمفرد، وهذا ما ذكرناه في ترتيب نعت الواحد إذا تعدد، فإنّما نقدّم المفرد على الجملة لهذا السبب، والله أعلم.

وإلى جانب الاهتمام بأنواع العطف، فقد أولى علماء اللغة حروف العطف عنايتهم واهتموا بدراستها من خلال الوقوف على معانيها، ومواضع استخدامها؛ وذلك لما تكتسبه من أهمية في المعنى، وباعتبارها العنصر الأساسي في العطف.

وهذه الحروف عندهم أنواع، حروف اتفقوا عليها، وحروف اختلفوا فيها، وقد حدد أبو حيان كلّ نوع منها إذ قال: «فالمتفق عليه أنّه من حروف العطف: (الواو)، و(الفاء)

¹ - انظر: ص. 338. من هذا البحث.

² - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص: 87.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

و(ثم) و(أو)، و(بل)، و(لا)... والمختلف فيه(لكن)، و(إمّا)، و(إلّا)، و(ليس) و(أيّ)، و(حتى) و(أمّ)، و(لولا)، و(هلاً)، ومن الأدوات (كيف)، و(متى)، و(أين)»¹.

أما المتفق عليها فجميع العلماء يذهبون أنّها ترد من أجل العطف، وأما المختلف فيها فطائفة تثبت لها وظيفة العطف، وطائفة أخرى تنفيها عنها، وتستند في رأيها على مجموعة من الشواهد والأدلة، سنتبعها في المبحث الثاني، ونحن نقوم بدراسة كلّ حرف، بمشيئة الله.

وبعد هذا العرض وفي نهاية هذا المبحث نصل إلى أنّ العطف نوعان هما عطف مفرد على مفرد وعطف جملة على جملة، أما النوع الأول فيعطف فيه الاسم على الاسم، كما يعطف فيه الفعل على الفعل إذا اتفقا في الزمن وإن اختلفا في الصيغة، كما يعطف فيه الاسم على الفعل وكذلك الفعل على الاسم إن أمكن التقدير، وفي عطف المفرد على المفرد أيضاً يعطف الظاهر على الظاهر، والضمير على الضمير، كما يعطف الظاهر على الضمير.

أما النوع الثاني أي عطف الجملة على الجملة، فوجدنا أنّ الخبر يعطف على الخبر فتعطف الجملة الفعلية على الفعلية وكذلك الاسمية، كما تعطف الفعلية على الاسمية أو العكس إذا أمكن التقدير، كما يعطف الإنشاء على الإنشاء، أما الخلاف فكان في عطف الخبر على الإنشاء أو العكس، وهذه أهم النتائج التي وصل إليها البحث في هذا المبحث من الفصل الرابع، وسنقوم في المبحث الثاني - بحول الله - برصد الاستعمال الفعلي لهذا التابع في آيات الربع الأول من الذكر الحكيم.

¹ - أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب . ج: 4. ص1975.

المبحث الثاني: 

حروف العطف واستخدامها في الرَّبْع
الأوّل في القرآن الكريم.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

أولا/ العطف بالحروف المتّفق عليها:

1- العطف بـ (الواو):

وهي فاتحة حروف العطف، بل عدّها علماء اللغة أصل حروف العطف لما تتميز وتختص به عن بقية حروف العطف، سواء من ناحية تعدد معانيها أم من ناحية تنوع خصائصها.

وقد فسّر ابن الأنباري كونها أصل حروف العطف بالقول: «لأنّ (الواو) لا تدلّ على أكثر من الاشتراك فقط، وأمّا غيرها من الحروف تدلّ على الاشتراك وعلى معنى زائد،... وبذلك صارت (الواو) بمنزلة الشيء المفرد، والباقي بمنزلة المركّب، والمفرد أصل المركب»¹.

ولم يكتف العلماء بالإشارة إلى أنّ (الواو) للاشتراك فقط، بل تعرضوا في كتبهم إلى حملها لمعنى الترتيب بين من جعلها للترتيب ومن أبطل عنها هذا، كما أنّهم جعلوا لـ(الواو) أمورا تختص بها دون سائر حروف العطف، وهذا ما سنتناوله، بحول الله. ولما كانت (الواو) كما أوردنا سابقا أصل حروف العطف، فقد وجدنا الله سبحانه وتعالى يستخدمها في العطف في الربع الأوّل من الكتاب الكريم، وذلك إمّا في عطف المفرد على المفرد أو في عطف الجملة على الجملة.

أما عن تواتر استعمالها فقد أحصينا اثنين وخمسين ومائتين وألف (1252) موضع للعطف بـ(الواو)، وجاءت موزّعة على هذا الشكل :

¹ - أبو البركات الأنباري كمال الدين (ت577هـ). أسرار العربية. تحقيق: بركات يوسف هبود. دار الأرقم. بيروت - لبنان. ط: 1. 1999. ص:219.

أ/ عطف المفرد على المفرد:

ارتأينا قبل البدء في الحديث عن عطف المفرد على المفرد في الربع الأول من الذكر الحكيم الإشارة بداية إلى أنّ كتب البلاغة لم تعن بهذا الموضوع عنايتها بعطف الجمل، وهذا ما دفع بعض الدارسين على غرار الدكتور عفت الشرقاوي إلى القول إنّها أهملت هذا النوع من العطف، إذ قال: « شغلت البلاغة العربية بتحليل أساليب العطف في إطار من قضية عطف الجمل، وانصرفت بذلك في صيغتها الجرجانية الشهيرة التي سيطرت على التفكير البلاغي حتى العصر الحديث عن عطف المفردات»¹.

وفي هذا الكلام إشارة إلى اعتناء الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بقضية عطف الجمل، وما يؤديه من دلالات بلاغية مختلفة، وفي المقابل هو إبعاد لعطف المفرد على المفرد عن الدرس البلاغي.

ورغم ما يحمله هذا الكلام من صحة فإنّ فيه بعض جوانب المبالغة، فانطلاقاً مما تصفحناه في هذا الباب من كتب بلاغية، فإننا قد لاحظنا أنّها وإن كانت تسترسل في الحديث إذا تناولت قضية عطف الجمل، وتختصر إذا وقفت على عطف المفردات، فإنّها لم تهمل النوع الثاني بشكل مطلق.

نستشهد لاهتمام البلاغيين بعطف المفردات بما قاله القزويني في هذا الموضوع، إذ قال عن الغرض منه: « فيكون لتفصيل المسند إليه مع اختصار، نحو: (جاء زيد وعمرو) أو لتفصيل المسند مع اختصار أيضاً، نحو: (جاءني زيد فعمر أو ثمّ عمرو)، أو (جاءني القوم حتى خالد)، كما يكون العطف لغرض رد السامع إلى الصواب، نحو: (جاءني زيد لا

¹ - عفت الشرقاوي. بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية). دار النهضة العربية. بيروت- لبنان. دط. دت.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

عمرو)، أو وصف الحكم إلى آخر، نحو: (جاءني زيد بل عمرو) و (ما جاءني عمرو بل زيد)، أو الشك والتشكيك للسامع، نحو: (جاءني زيد أو عمرو) «¹.

والواضح من خلال هذا الكلام أنّ القزويني لم يكتف بالحديث عن عطف المفردات بل بيّن دلالة العطف بكلّ حرف من حروف العطف (الواو، والفاء، وثمّ، وبل، ولا، وحتى) وسنقوم - بمشيئة الله- بالتفصيل في استعمال كلّ حرف في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم. وقد رصدنا بعد عملية الإحصاء التي قمنا بها لعطف المفرد على المفرد بـ(الواو) في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله إحدى وخمسين سبعمائة (751) آية تحتوي على هذا النوع من العطف، وجاءت وفق أنماط مختلفة هي:

النمط الأوَّل: عطف الاسم على الاسم :

وقد أحصينا منه اثنين وستين وستمائة (662) آية، وذلك وفق هذه الصور:

الصورة الأولى: عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر:

واستعمال هذه الصورة في الرَّبْع الأوَّل كان في إحدى عشرة وستمائة (611) آية وقد اخترنا تقسيم العمل في هذا العنصر انطلاقاً من تتبع معاني (الواو) في كتب النحو والبلاغة، وربطها باستعمالاتها في القرآن الكريم بغية الوقوف على دلالاتها، وذلك انطلاقاً مما أورده علماء اللغة في هذا الموضوع.

1- دلالة (الواو) على مطلق الجمع:

إنّ أوَّل معاني (الواو) هو معنى الاشتراك، أي أن يشترك المعطوف مع المعطوف عليه في الحكم نفسه، وقد شرح المبرد المقصود بدلالة (الواو) على معنى الاشتراك، نافية عنها الدلالة على الترتيب بين المتعاطفين، فقال: «اشترك الثاني في ما دخل فيه الأوَّل

¹ - القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. شرح التلخيص في علوم البلاغة. دار الجيل. بيروت- لبنان. ط: 2.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وليس فيه دليل على أيهما كان أولاً، نحو قولك: جاعني زيدٌ وعمرو، ومررت بالكوفة والبصرة، فجائز أن تكون البصرة أولاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران/43)، والسجود بعد الركوع»¹.

وانطلاقاً من هذا القول وهذه الشواهد، فإنّ (الواو) قد أشركت المعطوف فيما دخل فيه المعطوف عليه، إذ أشرك (عمرو) فيما دخل فيه (زيد) وهو الفعل (جاء)، ولكنها لا تدلّ على معنى الترتيب مع معنى الإشراك، فمثلاً في قوله: (مررت بالكوفة والبصرة) لا توجد قرينة تدلّ على أيها كان المرور بها أولاً، في حين يدلّ السياق الكلامي في الآية الكريمة أنّ المعطوف عليه (اسجدي) هو الثاني، والمعطوف (اركعي) هو الأول، وبهذا فقد عطف بـ(الواو) الأول على الثاني من حيث الترتيب المألوف، وهذا ترتيب عكسي.

وقد جمع ابن هشام وفسّر معنى كون (الواو) للاشتراك فقط، بأنها لمطلق الجمع، وإنما أراد بمطلق الجمع كونها للجمع مع الترتيب أو دونه أو مع معان أخرى، إذ قال: «معنى كون الواو لمطلق الجمع أنها لا تقتضي ترتيباً ولا عكسه، ولا معية بل هي صالحة بوضعها لذلك كلّه فمثال استعمالها في مقام الترتيب قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ (النساء/163)، ومثال استعمالها في عكس الترتيب نحو: ﴿...عِيسَىٰ وَأَيُّوبَ...﴾ (النساء/ 163)، ومثال استعمالها في المصاحبة، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء/119)»².

¹ - المبرد. المقتضب. ج: 1. ص: 148.

² - ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص: 389.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذا الكلام من ابن هشام تفسير وتوضيح لقولهم: (الواو) لمطلق الجمع، أي أنها تفيد معنى الجمع بمعانيه المختلفة سواء مع الترتيب أو دونه أو عكسه أو مع المصاحبة أو المعية، وذلك دون وجود قرينة دالة على الترتيب بين المتعاطفين.

ولعلّ الجدير بالذكر هنا أنّ هناك من يرى أنّ (الواو) قد ترد للترتيب: «فبعض الكوفيين قد زعموا أنها للترتيب، فإذا قلت: قام زيدٌ وعمروٌ، فالقائم أو لا زيد وعمرو بعده بلا مهلة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة / 1)، قال: فزلزال الأرض قبل إخراجها أثقالها و(الواو) هي التي دلّت على ذلك»¹.

وفي مذهب الكوفيون نظر، فرغم أنّ (الواو) في الآية الكريمة عطفت بين (زُلزِلت) و (أُخْرِجَتْ) على الترتيب، لأنّ السياق والمعنى يدلان أنّ زلزلة الأرض تسبق إخراج أثقالها، فإنّه لا يوجد في مثل قولنا، جاء زيدٌ وعمروٌ ما يدلّ على ترتيب بين مجيء زيدٍ وعمروٍ رغم وجود (الواو)، وهذا يدلّ على أنّ معنى الترتيب غير متضمن في (الواو) بل تدلّ عليه السياقات.

وإنّ كان الكوفيون قد استشهدوا بهذه الآية لإثبات أنّ (الواو) تحمل معنى الترتيب فإنّه يمكن الردّ عليهم بآية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ (النساء/ 163)، فلو أنّ الأصل في (الواو) الترتيب لما جاز هذا؛ لأنّ عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلّم، لكنّه ذُكر في الآية قبل أيوب ويونس وهارون وسليمان عليهم السّلام.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 227.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد ورد في كلام العرب ما يؤكد هذا؛ أي عدم دلالة (الواو) على الترتيب، وهو قول أمية بن أبي الصلت، إذ قال:

فَمَلَّتْنَا أَنَّا مُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ صِدِّيقِنَا وَالنَّبِيِّ.

فلو أن (الواو) حقيقة تدلّ على معنى الترتيب لما قال الشاعر (صديقنا والنبوي)، ولوجب أن يقول (نبينا والصديق)¹.

والرأي عندنا بعد هذا العرض لآراء العلماء أنّ (الواو) تدلّ على معنى مطلق الجمع فهي تدلّ على الجمع دون ترتيب ما لم يدلّ على ذلك دليل سواء من سياق أو غيره، كما أنّها تدلّ على معنى المصاحبة.

وقد قام ابن مالك انطلاقاً من استعمال (الواو) في كلام العرب بترتيب المعاني التي ترد عليها، فقال: «وتنفرد الواو بكون متبوعها في الحكم محتملاً للمعية برجحان وللتأخير بكثرة وللتقدم بقلة»².

أما معنى المعية، فالمقصود به اجتماع التابع والمتبوع في زمن واحد، وأما معنى التأخر والتقدم، فيفرضان فارقاً زمنياً بينهما، ووجود معنى التأخر والتقدم في العطف بـ(الواو)، يجعلنا نتساءل: هل بين التابع والمتبوع المعطوف بينهما بـ(الواو) علاقة تقارب أو تراخ من الناحية الزمنية؟.

والإجابة عن هذا التساؤل أنه يجوز أن تكون بينهما تقارب كما يجوز أن يكون بينهما تراخ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص /7)، وهذه الآية

¹ - انظر: ابن عصفور. شرح جمل الزّجاجي. ج: 1. ص: 227.

² - الصّبّان. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 135.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

تؤكد معنى التراخي؛ لأنّ ردّ موسى عليه السلام لأمه كان وهو صبي، أمّا إرساله كنبى فقد كان في سن أربعين سنة، وهذه مدّة زمنية طويلة¹.

وإنّ ما قمنا بعرضه في هذا الموضوع؛ أي معاني (الواو)، وما كان فيه من إجماع واختلاف بين العلماء يجعلنا نصل إلى أنّ (الواو) إنّما ترد لمطلق الجمع بين المتعاطفين وتؤدي إلى التبعية بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب، و(الواو) لا تشترط ولا تدلّ على معنى الترتيب، وإنّما نصل إلى الترتيب بين المتعاطفين إما عن طريق المعنى أو عن طريق السياق.

أما المعاني التي تنطوي (الواو) عليها فهي: مصاحبة المعطوف والمعطوف عليه (المعية) أو التقدّم؛ أي تقدّم المعطوف عليه على المعطوف أو تأخّره، وهذه المعاني تحتمل التقارب والتراخي بين المتعاطفين، وذلك حسب ما يدلّ عليه السياق الذي استعملت (الواو) فيه.

وقد وجدنا أنّ خير ما نستشهد به على دلالة (الواو) على مطلق الجمع في الربع الأوّل مجموع الآيات القرآنية التي وردت في سياق الحديث عن الأنبياء والمرسلين وهذا بيانها، فقد قال تعالى: ﴿ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة/125).

إذ عطف لفظ (إِسْمَاعِيلَ) على لفظ (إِبْرَاهِيمَ)، وجاء تابعا له، إذ جاء المعطوف عليه مجرورا بحرف الجر (إلى)، وقد تبعه المعطوف، فجاء مجرورا مثله، وهما ممنوعان من الصرف جرا بالفتحة نيابة عن الكسرة لعلتين هما العلمية والعجمة.

¹ - انظر : ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج:2. ص: 354.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

والمعطوف عليه (إِبْرَاهِيمَ) أسبق زمنيا ولفظيا، وبذلك فالمعطوف والمعطوف عليه وردا وفق الترتيب الزمني إضافة إلى هذا فـ(الواو) تحمل معنى المصاحبة والمعية في هذه الآية، فالله سبحانه وتعالى عهد لإبراهيم وإسماعيل معاً تطهير البيت الحرام .
وقد قال الله سبحانه وتعالى في سياق آخر: ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (البقرة/133).

فكان العطف فيها مع ترتيب المعطوف والمعطوف عليه لفظاً وحسب الترتيب الزمني إذ إبراهيم أسبق من إسماعيل وإسماعيل أسبق من إسحاق -عليهم السلام-. وقد ذكر الله أسماء الأنبياء معطوفة بـ (الواو) ومرتببة ترتيباً زمنياً في مواضع أخرى من الربع الأول من كتاب الله منها: (البقرة/136،140،248)، (آل عمران/33،84)، (المائدة/78).

أما المواضع التي عطف فيها (الواو) المتقدم على المتأخر، فمنها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (النساء/163).

ففي هذه الآية الكريمة بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر إبراهيم عليه السلام، ثم عطف عليه من لحقه من الأنبياء، ثم قدّم ذكر عيسى على (أيوب، وهارون وسليمان) عليهم السلام رغم أنه بُعث بعدهم، وفي هذا معان كثيرة أوردها علماء التفسير.

إذ أورد أبو حيان في البحر المحيط بعض هذه المعاني فقال: «وبدأ بإبراهيم؛ لأنه الأب الثالث، وقدّم عيسى على من بعده تحقيقاً لنبوته، وقطعاً لما رآه اليهود فيه، ودفعاً لاعتقادهم،.... وقدّم سليمان في الذكر على داوود لتوافر علمه»¹.

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 3. ص: 413.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي هذا الترتيب دليل على دلالة (الواو) على مطلق الجمع من ناحية، وتأکید أن استعمال (الواو) في عطف المتقدم على المتأخر لا يكون عبثاً، وإنما يكون لأغراض بلاغية مختلفة تحددها السياقات الكلامية خاصة إذا كان هذا الاستعمال في آيات الذكر الحكيم.

وإضافة إلى هذا فقد عطف بـ (الواو)، وهي تحمل معنى المصاحبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/164).

إذ فصل الله سبحانه وتعالى في بعض آيات دقيق صنعه وإبداعه في خلقه، وذلك من خلال ذكر خلقه للسموات والأرض، وما جعله من اختلاف بين الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر، وقد استعمل (الواو) للعطف بين هذه الآيات فعطف الأرض على السموات والنهار على الليل، والفلك على النهار، وكلها أسماء مجرورة، لم يُعدَّ معها الجار.

وقد استشهد السكاكي بهذه الآية، وهو يعالج قضية الإطناب، وجعلها من باب الإطناب قائلاً: «ترك إيجازه وهو أن في ترجح وقوع أي ممكن كان على لا وقوعه لآيات للعقلاء لكونه كلاماً لا مع الإنس فحسب بل مع الثقلين، ولا مع قرنٍ دون قرنٍ، بل مع القرون كلهم قرنا فقرنا إلى انقراض الدنيا»¹.

والإطناب مصطلح بلاغي تعرّضت له كتب البلاغة إلى جانب مصطلحين آخرين هما المساواة والإيجاز، فالكلام عندهم بين المساواة والإيجاز والإطناب، والمساواة في عرفهم «أن يكون اللفظ بقدر أصل المراد لا ناقصاً عنه ولا زائداً عليه... وهو كلام أوساط الناس في مجرى عرفهم في تأدية المعاني عند معاملاتهم، ومخاطباتهم في سائر شؤونهم»².

¹ - السكاكي أبو يعقوب بن يوسف (ت626هـ). مفتاح العلوم. ضبط: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 2. 1983. ص: 81.

² - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص: 117.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا كان المقصود بالمساواة انطلاقاً مما أوردناه مساواة اللفظ للمعنى المراد، فإنّ الإيجاز هو الذهاب بالكلام نحو الاختصار الذي لا يُخل بالمعنى، فهو: «التعبير عن المقصود بلفظ أقل منه بحيث لا يقصر عن تأديته ولا يخل ببيانه»¹، أما الإطناب فهو نقيضه؛ أي أنّ المتكلم يميل إلى الإطالة في كلامه، فيقوم « بالتعبير عن المقصود بلفظ زائد عليه لفائدة تقصد منه، فإذا زاد عليه لغير فائدة كان تطويلاً وحشواً »².

فالإيجاز لا يكون إلا لغرض وكذلك الإطناب، فالمتكلم لا يزيد لفظاً في كلامه أو يحذف آخر، إلا ويقصد من وراء هذا فائدة معينة، فإن لم يكن هذا كان الإيجاز مما يُعاب على صاحبه؛ لأنه قد يُخل بالمعنى، وكذلك سيصبح الإطناب من باب التطويل الذي لا فائدة فيه. ولذلك فالإيجاز مقامات وللإطناب مقامات على الكاتب المتمكن أن يعرفها فيراعيها وفي هذا قال أبو هلال العسكري: « والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبيرَ في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ »³.

فالاستعمال المناسب للإيجاز في مقاماته وكذلك الإطناب دليل بلاغة مستعمل اللغة، فانه سبحانه وتعالى في الآية الكريمة قد استعمل (الواو) في عرض بعض آياته في مخلوقاته وكان يستطيع أن يوجز فيقول: (إن في خلق الكون)، لأنّ الإطناب في هذا الباب يوجب النظر والتفكر في كلّ آية وحدها، كما أنّ تعدد الآيات المذكورة يوافق أنّ القرآن يخاطب

¹ - عبد المتعال الصعيدي. البلاغة العالية. ص: 117.

² - المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

³ - أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت 395هـ). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي. بيروت- لبنان. ط: 2. دت. ص: 196.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

الإنس والجن إلى قيام الساعة، فكل آية تثبت أن الله واحد حسب الزمان الذي يحاول الإنسان أن يتأملها فيها، وحسب طبيعة هذا الإنسان.

فمثلا آية اختلاف الليل والنهار كانت من الآيات التي تبهر الإنسان قديما رغم أنه لا يجد لها تفسيراً عليمًا واضحًا، أمّا في عصرنا الحديث، فقد فسرها بما يجري في الأفلاك من حركة للأرض حول نفسها، وحول الشمس في نظام دقيق وبديع دون تقدّم في زمن أو سرعة أو تأخّر، ولعلّ تطور العلوم في عصور لاحقة ستكشف لنا عن أسرار أخرى تتعلق باختلاف الليل والنهار، وغيرها من الآيات، والله أعلم.

هذا من الناحية الدلالية التي ورد العطف من أجلها في هذه الآية، أما من الناحية الشكلية فالملاحظة التي استوقفتنا أنّ العطف على الاسم الظاهر المجرور في الربع الأول من القرآن الكريم قد جاء على شكلين، الشكل الأول لم يعد فيه حرف الجرّ مع الاسم المعطوف، وتمثله الآية السابقة الذكر.

أما الشكل الثاني فقد أعيد فيه حرف الجر مع الاسم المعطوف، ومثاله قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ (البقرة/07).

إذ عُطِفَ لفظ (سَمْعِهِمْ) على لفظ (قُلُوبِهِمْ)، فتبعه في إعرابه (الجر) مع إعادة العامل

حرف الجر (على) .

وبالبحث عن معنى لفظ (ختم) من الناحية اللغوية وجدنا أنها كما قال الزّجّاج «وَطَبَعَ

بمعنى واحدٍ، وهو التغطيةُ على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء»¹، ففي هذه الآية

يصف الله سبحانه وتعالى قلوب وآذان الكافرين بأنه مختوم عليها مغطاة لا يدخلها شيء من

كلام الله وإنذار نبيه صلى الله عليه وسلم.

¹ - الزّجّاج. معاني القرآن وإعرابه. ج:1. ص:82.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

والملاحظ في هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى استعمل المصدر (سَمِعَهُمْ) للتعبير عن الأذنين، رغم أنّ (السمع) لا يَخْتَمُ عليه، فهو معنوي بل يُخْتَمُ على موضع السمع، وقد جعل العكبري لاستعمال المصدر هنا وجهين، إذ قال: «وفي تقديره هنا وجهان: أحدهما أنّه استعمل مصدراً على أصله، وفي الكلام حذف تقديره على مواضع سمعهم، لأنّ السمع لا يُخْتَمُ عليه، والثاني أنّ السمع هنا استعمل بمعنى السامعة وهي الأذن»¹.

فالاستعمال الأوَّل حقيقي مع حذف في الكلام، والثاني مجازي استعمل فيه المصدر مكان اسم الفاعل وذلك من قبيل المجاز العقلي، وإضافة إلى هذا فقد عَطِفَ لفظ (سمعهم) وهو دال على مفرد على لفظ (قلوبهم)، وهو دال على جمع، وتعليل ذلك: «أنّ المصدر يقع للقليل والكثير يقال: سمعتُ الشيءَ أَسْمَعُهُ سَمْعًا وَسَمَاعًا، وقيل لما أضاف السمع إلى الجماعة دلّ على أنّه يُرادُ به إسماعُ الجماعة»².

ولم يكرر الله سبحانه وتعالى حرف الجر (على) مع المعطوف إلاّ للدلالة على التوكيد أي التوكيد على شدة وقوة ختم الله على قلوب وسمع الكافرين، وفي ذلك إيذان منه بغضبه سبحانه، فكان قوله سبحانه: (على قلوبهم وعلى سمعهم) أقوى دلالة من قوله: (على قلوبهم وسمعهم)، والله أعلم.

وبهذه الآية يمكننا القول إنّ (الواو) في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم دلّت على مطلق الجمع، فعطفت مع الترتيب ودونه، وقد دلّت على المصاحبة بين المعطوف والمعطوف عليه، والله أعلم.

¹ - العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج:1. ص:22.

² - هامش المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

2-عطف الشيء على مرادفه بـ (الواو):

إضافة إلى كون (الواو) لمطلق الجمع، فإنها تختص أيضا دون باقي حروف العطف بأنها تصلح لعطف الشيء على مرادفه، ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿صَلَّاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة/ 157)، وقوله أيضا: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾ (يوسف/ 86)، فقد عطف لفظ (رحمة) في الآية من سورة البقرة على لفظ (صلوات)، وهما في هذه الآية من المعنى نفسه، كما عطف لفظ (حزني) على (بثي)، وهما كذلك من المعنى نفسه¹.

وقد أفضت عملية الإحصاء والاستقراء التي قمنا بها على آيات الربع الأول من كتاب الله إلى أن (الواو) فيه عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر، وهي تحمل المعنى الذي قال ابن مالك أنها تدل عليه غالبا، وهو معنى المصاحبة إضافة إلى عطفها للشيء على مرادفه ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿وَضْرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة/61).

والشاهد في هذه الآية عطف كلمة (المسكنة) على كلمة (الذلة)، ولقد تبعتها في الإعراب (الرفع) بحكم أن الأولى نائب فاعل والثانية تابعة لها بحرف العطف (الواو).

«ويعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر»²، و(المسكنة): «الذلة: الصغار والمسكنة الخضوع، واشتقاقه من السكون إنما يقال مسكين للذي أسكنه الفقر، أي قلل حركته»³ والواضح اقتراب الكلمتين في المعنى فكلاهما يحمل معنى الذل والهوان، مع وجود بعض الاختلاف، وفي العطف بين الشيء ومرادفه في الآية القرآنية تأكيد ما لحق ببني إسرائيل من ذل نتيجة ظلمهم، والله أعلم.

¹ - انظر: السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج:4. ص:1212.

² - عائشة بنت الشاطي. الإعجاز البياني للقرآن. ص:214.

³ - الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 1. ص:144.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ورغم أنّ الإجماع قائم على أنّ (الواو) تعطف اللفظ على مرادفه إلا أنّ ابن مالك أورد أنّ (أو) قد تأتي لعطف اللفظ على مرادفه أيضا، وأنّ منه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ (النساء/ 112)¹.

وبالوقوف على هذه الآية نقول إنّ كلام ابن مالك يكون صحيحا إذا كانت كلمة (خطيئة) مرادفة فعلا لكلمة (إثما)، وهذا ما سنسلط عليه الضوء ونحن بصدد تحليل ومناقشة استعمال حرف العطف (أو) في الربع الأول من القرآن الكريم، وذلك بالاعتماد على كتب التفسير وإعراب القرآن الكريم، بمشيئة الله.

3-العطف بين الشيء وضده بـ (الواو):

كثيرا ما عطف في الربع الأول بين الكلمة وضدها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (البقرة/119).

وقد عطف لفظ (نذيرًا) في هذا الشاهد على لفظ (بشيرًا)، وقد تبعه في الإعراب (النصب)، وهما متضادان في المعنى، وهذا من باب طباق الإيجاب الذي يضيف الوضوح والتأكيد للمعاني، وقد أثار الجرجاني هذه القضية؛ أي الجمع بين معطوف ومعطوف عليه مع كونهما متضادين في المعنى بـ (الواو)، وقال إنّ هذا يؤدي إلى ازدياد «معنى الجمع في (الواو) قوة وظهورا»².

والطباق هو أول المحسنات البديعية المعنوية، وقد سمّاه السكاكي بالمطابقة، وهو عنده: «أن تجمع بين متضادين كقوله:

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمْاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ»³

¹ - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 2. ص: 357.

² - الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص: 154.

³ - السكاكي. مفتاح العلوم. ص: 660.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

وقد جمع الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة بين البشارة والإنذار، وإنما كان ذلك لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بُعِثَ للنَّاسِ كافةً، فهو رحمةٌ للصَّالحين يبيِّشُهُم، وهو منذرٌ للظالمين يحذرُهُم¹، وفي ذلك رحمةٌ لمن يتوب ويعود، وحجَّةٌ على من يعرض. ويؤدي الطباق في هذه الآية وظيفته التي أشار إليها السكاكي إذ « يكسو الكلام حلَّةَ التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين »².

فبالإضافة إلى حسن صياغة هذه الآية جاءت معانيها دقيقة لجمعها بين الترغيب والترهيب، وهي بذلك تشمل جميع النَّاسِ، والله أعلم.

ومن أمثلة العطف بين الشيء وضده أيضاً، قوله تعالى في سورة آل عمران وهو يصف أهل الجنة، إذ قال: ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (آل عمران/134).

ففي هذه الآية وصف الله أهل الجنة بالإنفاق، وليعبِّر عن شدَّةِ إنفاقهم جعل ذلك في حالتي الفرح والراحة والحزن والضيق معا، وذلك من خلال العطف بين كلمتي (السَّرَّاءِ) و (الضَّرَّاءِ) بحرف العطف (الواو) للدلالة على استمرار الإنفاق فيهما معا.

والجمع بين المتضادين في هذا السياق ليس عبثاً، بل إنّ السياق أوجبه، والتعبير عن المعنى الدقيق لا يكون إلا به، «فالجمع بينهما هنا لأنَّ السَّرَّاءِ فيها ملهاة عن الفكرة في شأن غيرهم، والضَّرَّاءِ فيها ملهاة وقلةٌ مُوجِدَةٌ»³.

فكان إنفاقهم في الحالتين دليل على ملازمتهم لصفة الإنفاق، وهذا لتأكيد حبِّهم لخدمة النَّاسِ، فكان العطف بين المتضادين أبلغ في إيصال المعنى من قوله مثلاً: (الذين ينفقون أموالهم)، فهذه الجملة قد تُوجب عدم الإنفاق في الضَّرَّاءِ لوجود مانع من فقر وحاجة وضيق

¹ - انظر: ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج: 1. ص: 335.

² - السكاكي. مفتاح العلوم. ص: 660.

³ - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 4. ص: 91.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

مادي، أو عدم الإنفاق في السراء لوجود الملهي كالانصراف إلى التمتع بملذات الدنيا، وهذا يدل على إعجاز النظم القرآني؛ وذلك من خلال مناسبة اللفظ للمعنى، والله أعلم.

4-اقتران (الواو) ببعض الحروف :

ومما تختص به (الواو) أيضا اقترانها ببعض الحروف، والحروف التي تقترن بها هي (إمّا، ولكن، ولا)، وقد أورد السيوطي شواهدا عن اقتران (الواو) بكل حرف من هذه الحروف فقال: «(إمّا) نحو قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان/ 3)، كما تقترن بـ (لا) بعد نفي، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ﴾ (سبأ/ 37) إضافة إلى اقترانها بـ (لكن)، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب/40)»¹.

أمّا اقتران (إمّا) بـ (الواو) فلم نقف عليه في آيات الربع الأول من القرآن الكريم، والله أعلم، وأمّا اقتران (لكن) بها، فقد تواتر في إحدى عشرة (11) آية، ومنه قوله تعالى:

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة/6).

إذ عطف (الواو) الجملة (يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) على الجملة (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ)، وقد اقترنت بها (لكن) للدلالة على الاستدراك.

وإذا كانت (الواو) تقترن بـ (إمّا) و(لكن) دون شروط، فإنّ اقترانها بـ (لا) يستوجب شروطا، وهي أن تسبق بنفي وألا تدلّ على المعية نحو: ما قام زيدٌ ولا عمرو؛ وذلك لتدلّ على نفي الفعل المعطوف والمعطوف عليه في حالة الاجتماع والافتراق، ومنه قوله تعالى:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ (سبأ/37)².

¹ - السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج:4. ص:1212.

² - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج:2. ص:355.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

ففي الآية القرآنية الكريمة عُطِفَ لفظ (أولادكم) على لفظ (أموالكم) وقد اقترنت (الواو) (حرف عطف) بـ (لا) النافية لتوفر الشرطين، فقد سبقت بنفي (ما)، كما أنها لا تدلّ على المعية، ودلالة هذا العطف هو نفي فعل التقريب عن (الأموال) و(الأولاد) في حالتي الاجتماع والافتراق، فكلاهما لا يقرب إلى الله، وإنما تقرب الأعمال الصالحة.

وقد رصدنا اقتران (لا) بـ (الواو) في آيات الرَّبْعِ الأوَّل من الذكر الحكيم في ثمان وثلاثين (38) آية، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى في فاتحة الكتاب:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة/07).

وفي هذه الآية الكريمة عُطِفَ لفظ (الضَّالِّينَ) على لفظ (الْمَغْضُوبِ)، وتبعه في الجر واقترنت (الواو) بـ (لا) النافية، لأنَّ المعطوف جاء منفيًا بـ (غير)، وقد دلَّ هذا العطف على أنَّ الدعاء هنا بالابتعاد عن طريق المغضوب عليهم والضالين في حالتي الاجتماع والافتراق.

و(لا) في هذه الآية عند البصريين إنما جاءت زائدة للتوكيد، وهي عند الكوفيين بمعنى غير¹، وهذا تأكيد أنَّ الدعاء في هذه الآية من المرء لربه أن يُعده عن طريق الضالين والمغضوب عليهم معاً، والله أعلم.

5-عطف الخاص على العام و العام على الخاص بـ (الواو):

إضافة إلى ما أوردناه سابقاً، فإنَّ (الواو) تختص دون سائر حروف العطف أيضاً بأنَّها تعطف العام على الخاص والخاص على العام، وقد مثل السيوطي لكلِّ نوع فقال: «لعطف العام على الخاص والخاص على العام، نحو: قوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

¹ - انظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 1. ص: 12-13.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وَمِيكَالٌ ﴿البقرة/98﴾، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (نوح / 28)«¹.

ففي الشاهد الأول عطف على لفظ (ملائكته) وهو لفظ عام يقصد به عموم الملائكة الألفاظ الخاصة (جبريل، وميكال²)، أما في الشاهد الثاني، فقد عطف على لفظ (والدي) الخاص قوله: (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) وهو دال على العام.

ولم يعطف بـ (الواو) الخاص على العام، في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/98) فقط، بل عطف أيضا في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/238).

وعطف العام على الخاص عند علماء البلاغة من باب الإطناب الذي لا يكون إلا لدواع وأغراض بلاغية، منها أن فيه بيان لفضل الخاص واهتمام بأمره³.

ففي الآيتين الكريمتين عطف (جبريل وميكال)، وهما لفظان خاصان على لفظ (ملائكته) وهو لفظ عام، وفي ذلك بيان لفضل الملكين على سائر الملائكة، كما عطف لفظ (الصلاة الوسطى)، وهو لفظ خاص على لفظ (الصلوات)، وهو لفظ عام، وفيه أيضا بيان لفضل الصلاة الوسطى على سائر الصلوات.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . ج: 5. ص: 225.

² - اختلف القراء في (جبريل وميكال) وهذه قراءة حفص عن عامر المعتمدة في هذا البحث، وقد قرأ ابن كثير (جبريل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، و(ميكائيل) بهمزة بعد الألف وياء بعد الهمزة، وقرأ نافع (جبريل) بكسر الجيم والراء من غير همز، و(مكائيل) بهمزة بعد الألف وقبل اللام ليس بعدها ياء. انظر: ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات. ص: 166-167.

³ - انظر: إنعام فؤال عكاوي. المعجم المفصل في علوم البلاغة. ص: 172.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وبيان الفضل راجع لذكر المعطوف الخاص دون سائر أجزاء المعطوف عليه العام أي ذكر اسمي الملكين (جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) دون سائر أسماء الملائكة، كما أن المولى عز وجل خصّ الصلاة الوسطى بالذكر دون سائر الصلوات بيانا لفضلها.

والجدير بالذكر هنا أن ابن هشام في مغني اللبيب ذهب أن (حتى) تشارك (الواو) في الحكم الثاني؛ أي عطف الخاص على العام، وضرب لذلك مثالا هو قولهم: مات الناس وحتى الأنبياء¹، فقد عطف بـ (حتى) لفظ (الأنبياء) الخاص على لفظ (الناس) العام، وهذا شرط من شروط (حتى) العاطفة، والتي سنتناولها بالدراسة في العناصر اللاحقة من هذا البحث - إن شاء الله - وذلك عند من نسب إلى (حتى) العطف وأقره، والله أعلم.

2- عطف النعوت المتعددة لمنعوت واحد بـ (الواو):

وهذا من الأمور التي تختص بها (الواو) أيضا، وقد تطرقنا إليه ونحن بصدد الحديث عن تعدد النعت، وهو أنها تعطف النعوت المتعددة لمنعوت واحد²، ومنه قول الشاعر:

بَكَيْتُ، وَمَا بُكَأ رَجُلٌ حَزِينٍ عَلَى رُبْعَيْنِ مَسْلُوبٍ وَبَالِي³

فالمنعوت في الشاهد هو كلمة (ربعين) وقد نعت بالنعوتين (مسلوبٍ وبالي) وتمّ العطف بينهما بـ (الواو).

ومما ورد من عطف النعوت بـ (الواو) في آيات الربع الأول من القرآن الكريم قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ (البقرة / 68).

¹ - انظر: ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج:2. ص:357.

² - انظر : ص: 107 من هذا البحث.

³ - انظر: ابن هشام. المصدر السابق. ج: 2. ص: 356.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ففي هذه الآية عطف (الواو) نعوت البقرة (لا فرض) (لا بكر)، وقد اقترنت بـ (لا) والغرض من هذا العطف هو توضيح البقرة المقصودة بدقة وتمييزها عن باقي البقر، إقامة للحجة على بني إسرائيل لينفذوا أمر الله، والله أعلم.

والواضح أنّ هذه النعوت قد أتبعتم ولم تقطع، فجميعها مرفوعة، وقد ورد في الربع الأول العطف بين النعوت بـ (الواو) مع القطع إضافة إلى الإتيان، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (البقرة/ 177).

ففي هذه الآية نعت اسم الموصول (من) وهو في محل رفع بالنعوت (الموفون والصابرين)، وقد فصل بينها بحرف العطف (الواو)، وكان النعت (الموفون) تابعا للنعت في الإعراب (الرفع)، بينما قطع النعت (الصابرين) عن تبعية النعوت، فقد جاء منصوبا لغرض المدح، وفيه لفت لانتباه السامع لفضل النعت المقطوع، إذ يسبب التغيّر الإعرابي لكلمة (الصابرين) تنبيه قارئ القرآن وسامعه لها، لأنّه كان يتوقع قوله (الصابرون)، فكان القطع مدحا لهذه الصفة وتنبيها إلى أهميتها، والله أعلم.

وبهذه الآية نصل إلى أنّ (الواو) عطف النعوت في الربع الأول من القرآن الكريم فأتبعتم النعوت إعرابيا في مواضع، وقطعت في أخرى لغرض المدح، والله أعلم.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

3- عطف العقد على النِّيفِ بِـ (الواو):

ولا تستعمل (الواو) في عطف الأسماء فقط، بل تختص أيضا باستعمالها في الأعداد وذلك في «عطف العقد على النِّيفِ نحو: أحدٌ وعشرون»¹.

ورغم أننا لم نجد بعد عملية الإحصاء التي قمنا بها على عطف العقد على النِّيفِ² في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم، فقد وجدنا (الواو) تستعمل في عطف الأعداد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة/234).

وهنا عطف العدد (عشراً) على العدد (أربعة) لبيان عدّة من يتوفى عنها زوجها والتقدير: (أربعة أشهر وعشر أيام)، وقد ذكّر العدد (عشرا) ولم يؤنث؛ أي لم يقل: (عشرة) رغم أنّ المعدود (أيام) مذكر؛ وذلك كما قال الفراء لأنّ «العرب إذا أبهت العدد من الليليّ والأيام غلبوا على الليليّ حتى إنهم ليقولون: قد صمنا عشرا من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليليّ على الأيام»³.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 227.

² - العقد من الأعداد العشرة والعشرون إلى التسعون، والنِّيفِ الزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة. انظر: المعجم الوسيط. مادة (ع ق د)، ومادة (ن ا ف)، ص: 614، وص: 964.

³ - الفراء. معاني القرآن. ج: 1. ص: 151، وانظر: ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ج: 1. ص:

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

4- عطف ما لا يستغنى عنه بـ (الواو):

تختص (الواو) إضافة إلى الخواص السابقة الذكر «بعطف ما لا يُستغنى عنه، نحو: اختصم زيدٌ وعمرو، وهذا زيدٌ وعمرو، وإنَّ إخوتكَ زيدًا وعمراً وبكرًا لنجباء»¹ فالفعل (اختصم) لا بد أن يشارك فيه شخصان، فلا يُستغنى عن أحدهما، فإن فُقدَ أحدهما لا يقع الفعل؛ لذلك عَطَفَت (الواو) بين (عمرو) و(زيد).

ومن أمثلة هذا النوع من العطف في الربع الأول من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة/ 102).

فقد عطف (الواو) بين اللفظ (المرء)، واللفظ (زوجه)، ولا يمكن الاستغناء عن لفظ المعطوف ولا عن لفظ المعطوف عليه؛ لأنَّ (بين) تستوجب ذكر المعطوف والمعطوف عليه.

كما استعملت (الواو) لعطف ما لا يستغنى عنه في قوله تعالى:

﴿قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ (المائدة/100)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (الأنعام/ 50).

والملاحظ أنَّ الفعل المستخدم في الآيتين هو (يستوي)، وهذا الفعل يكون للمقارنة بين شيئين يجب ذكرهما، ولا يمكن الاستغناء عنهما؛ ولذلك تمَّ العطف بـ (الواو).

ولعلَّ اللافت للنظر في الآيتين أنَّ الأولى وردت في صورة أسلوب خبري الغرض منه نفي استواء الخبيث والطيب، وفي هذا إعلاء لشأن الطيب، وبيان لمكانته.

أما الآية الثانية فقد وردت في صورة أسلوب إنشائي، والذي أورد السكاكي أنه يرد حقيقياً ويرد مجازياً، وتكون الأغراض منه متنوعة حسب السياق، ومما ما يرد الاستفهام من أجله «من إنكارٍ للتكذيب على معنى لم يكن أو لا يكون كقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ

¹- السيوطي. مع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 225.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

بِالْبَيْنِ ﴿ (الإسراء/40)﴾¹، وبهذا المعنى ورد الاستفهام في الآية من سورة الأنعام، فانه سبحانه وتعالى ينكر وينفي الاستواء بين الأعمى والبصير.

والذي يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الآيات أنّ (الواو) استعملت في عطف ما لا يستغنى عنه في الربع الأول من كتاب الله العزيز، وقد اختلفت الأساليب المستخدمة وتنوعت بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، وذلك حسب ما تقتضيه وتستدعيه السياقات القرآنية، والله أعلم.

5- عطف ما حقه التثنية والجمع بـ (الواو):

إضافة إلى الأحكام السابقة، فإنّ (الواو) تختص أيضا بأنها «لعطف ما حقه التثنية أو الجمع نحو قول الفرزدق:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا فَقَدَانِ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ»²

والملاحظ في هذا البيت الشعري أنه عطف لفظ (محمد) على لفظ (محمد) وكان الشاعر يستطيع القول: المحمدان، وبهذا فقد عطف (الواو) ما حقه التثنية، وقد قال الفرزدق هذا البيت في «رثاء محمد بن يوسف ومحمد بن الحجاج بن يوسف وماتا في جمعة، وهو في الديوان:

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا رِزِيَّةَ مِثْلَهَا لِلنَّاسِ فَقَدْ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ»³.

فقد عطف بـ (الواو) بين لفظ (محمد) و لفظ (محمد)، والأصل أن يعبر عنه بلفظ المثني، فيقول: (للناس فقد المحمدين).

¹- السكاكي. مفتاح العلوم. ص: 540.

²- انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 2. ص: 356.

³- انظر: شرح ديوان الفرزدق. ضبط: إيليا الحاوي. دار الكتاب. لبنان. ط: 1. 1983. ج: 1. ص: 273.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

10- عطف عامل حذف وبقي معموله على ظاهر يجمعهما معنى واحد بـ (الواو):

إضافة إلى هذا فإنّ (الواو) تستعمل في «عطف عامل حذف وبقي معموله على ظاهر يجمعهما معنى واحد، نحو: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (الحشر/ 7) وأصله واعتقدوا الإيمان أو اكتسبوا، فاستغنى بمفعوله عنه، لأنه فيه وفي تبوَّءوا معنى لازموا وألفوا»¹.

وإذا وقفنا عند هذه الآية سنجد (الواو) قد استعملت في عطف الفعل (اعتقدوا) المحذوف والذي ذكر معموله (الإيمان) وهو مفعول به، على الفعل (تبوَّءوا) الظاهر؛ وذلك لاجتماعهما في المعنى أي معنى الالتزام.

11- عطف المقدم على متبوعه للضرورة بـ (الواو):

إنّ (الواو) كما أوردنا لا تدلّ على الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه، ومن خصائصها وما تتميز به عن باقي حروف العطف والنسق أنها «تعطف المقدم على متبوعه للضرورة كقوله:

أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلِيكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ»²

ففي هذا الشاهد عطفت كلمة (السَّلَام) على كلمة (رحمة) والأصل تقديم السلام على الرحمة: (عليك السلام ورحمة الله)، وذلك لضرورة الشعر.

وبهذا الحكم نكون قد جمعنا أهم الأحكام التي تختص بها (الواو) دون حروف العطف الأخرى، وهي أحكام تختص بها، وإن أشرك بعض العلماء حرف آخر معها في حكم

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 228.

² - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 2. ص: 357.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

أو آخر، لأنّ هذه الآراء ليست آراء إجماع بل هي آراء متفرقة لعالم أو عامين فقط، أما الإجماع فهو أنّ (الواو) تختص بما أوردناه من أحكام دون غيرها من حروف العطف، والله أعلم.

الصورة الثانية: عطف اسم الموصول على اسم الموصول وعطفه على الظاهر

بـ(الواو):

لقد استخدم هذا النوع من العطف كثيرا في الربع الأول من كتاب الله، إذ عُطف اسم الموصول على اسم الموصول، كما عُطف الظاهر على اسم الموصول والعكس، وقد ورد في واحد وخمسين (51) موضعا، ومن أمثلته قوله تعالى:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة/77).

والشاهد هنا عطف اسم الموصول وصلته (مَا يُعْلِنُونَ) على اسم الموصول وصلته (مَا يُسِرُّونَ)، واسم الموصول مع المعطوف عليه في محل نصب مفعول به للفعل (يعلم) والآية تؤكد علم الله غير المحدود، وقد زاد استخدام طباق الإيجاب في قوله: (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) المعنى توكيدا وإيضاحا، وفي هذه الآية عُطف اسم الموصول على اسم الموصول وكان في محل نصب.

وإضافة إلى هذا فقد عُطف اسم الموصول على اسم الموصول وكان في محل جر ومنه قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا﴾ (آل عمران/186).

ففي هذه الآية عُطف على اسم الموصول مع صلته في قوله: (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) اسم الموصول وصلته في قوله: (الَّذِينَ أَشْرَكُوا)، وهو في محل جر، وقد سبق بحرف الجر (من)، وقد أعيد هذا الحرف في المعطوف؛ وذلك زيادةً في التوكيد؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين من أهل الكتاب ومن المشركين معا.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ولعله سبحانه بدأ بأهل الكتاب؛ لأنّ فيهم طائفة هم أشدّ النَّاسِ عداوةً للذين آمنوا، وهي طائفة اليهود، وهذا ما يؤيِّده قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (المائدة/82)، والله أعلم. وهذه الآية من سورة المائدة شاهد على عطف اسم الموصول على الاسم الظاهر حيث عطف اسم الموصول في قوله: (الَّذِينَ أَشْرَكُوا) على الاسم الظاهر المنصوب (اليهود) لبيان أشدّ النَّاسِ عداوةً للمؤمنين.

وإضافة إلى هذا فقد عطف الاسم الظاهر على اسم الموصول، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (المائدة/104)، حيث عطف الاسم الظاهر (الرسول) على اسم الموصول (ما) في قوله (مَا أَنزَلَ).

وفي ختام هذا العنصر، وبعد التطرّق للعطف بين اسم الموصول والاسم الظاهر نكون قد أنهينا ما تعلّق بعطف الظاهر على الظاهر بـ(الواو)، ويمكن أن نصل إلى مجموعة من النتائج هي أنّ الربع الأول من كتاب الله جمع بين آياته صورا وأنماطا وأشكالا مختلفة من عطف الظاهر على الظاهر دلّت فيها (الواو) على مطلق الجمع، فعطفت مع الترتيب ودونه أو عكسه، كما عطفت مع الدلالة على معنى المصاحبة .

إضافة إلى هذا فقد استعملت (الواو) في عطف الكلمة على ما يرادفها، وعلى ضدها واقترنت بـ (لا) كما اقترنت بـ (لكن) في كثير من الآيات الكريمة، زد على هذا فقد استخدمت في عطف الخاص على العام؛ وذلك لأجل الإطناب في كثير من الآيات، كما استعملت أيضا للعطف بين النعوت مع الإتيان حيناً ومع القطع حيناً آخر، وإن كان الإتيان هو الأغلب، واستعملت لعطف ما لا يستغنى عنه وللعطف في الأعداد، وكانت هذه الاستعمالات لأغراض بلاغية مختلفة كبيان فضل المعطوف، وتأكيد المعاني، والله أعلم.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

النمط الثاني: عطف الضمير على الظاهر أو العكس:

كما يعطف الظاهر على الظاهر فإنَّ الظاهر يعطف على الضمير والعكس، وكما هو واضح فإنَّ هذا النمط يرد في شكلين، إمَّا عطف اسم ظاهر على ضمير، أو عطف ضمير على اسم ظاهر.

وقد ورد هذا النمط في الرَّبْع الأوَّل في خمس عشرة (15) آية، وارتأينا بسبب ما وجدناه من خلاف بين علماء النحو في العطف على الضمير، أو عطفه على الظاهر أن يكون تقسيم العمل في هذا العنصر وفق مسائل الخلاف، رابطين كلَّ مسألة بما ورد في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم.

المسألة الأولى/ عطف الضمير المنفصل على الظاهر:

إنَّ عطف الضمير المنفصل على الظاهر من القضايا المتفق عليها، ولم نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر من يمنع هذا النوع من العطف باستثناء ما أورده السيوطي، وأبو حيَّان الأندلسي من أنَّ الأبدئي¹ منع ذلك، وقد ردا عليه بوجود شواهد من كلام العرب تدلُّ على جواز هذا بل عدَّ السيوطي هذا الرأي من باب الوهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْذُ وَصَيْنَا الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (النساء/131)².

¹ - هو إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب أبو إسحاق الغافقي، شيخ النحاة والقراء بسبته، ولد بإشبيلية سنة 641هـ وحمل صغيرا إلى سبته... له شرح الجمل وغيره، ومات سنة 710هـ.

انظر: السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي. ط:1. 1964. ج: 1. ص:405.

² - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 266، وأبو حيَّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج:4. ص: 2012.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

والواضح في هذه الآية أنّ المعطوف هو الضمير المنفصل (إِيَّاكُمْ)، والمعطوف عليه هو اسم الموصول (الذين)، وفي هذا دليل على جواز عطف الضمير المنفصل على الظاهر.

ولقد وقفنا في شرح المفصل على حجة ودليل تثبت صحة هذا الرأي، فقد قال ابن يعيش: « فالمنفصل بمنزلة الظاهر، والمراد بالمنفصل عدم اتصاله بالعامل فيه، نحو: (أنا) و(أنت) و(هو)، وإنّما كانت بمنزلة الظاهر لعدم اتصالها بما يعمل فيها واستقلالها بأنفسها كما كانت الظاهرة كذلك، والذي يؤيد عندك ذلك أنّك تقول: إِيَّاكَ ضَرَبْتَ وَإِيَّايَ ضَرَبْتُ، كما تقول ضَرَبْتَ نَفْسَكَ وَضَرَبْتُ نَفْسِي، ولا تقول: ضَرَبْتَنِي وَلَا ضَرَبْتُكَ... (ولذلك كان حكم المنفصل كحكم الظاهر)، فلذلك تعطفه وتعطف عليه كما تفعل بالأسماء الظاهرة»¹.

واستنادا إذن على ما قاله السيوطي وأبو حيّان، ودعمه ابن يعيش بكلامه في كون المنفصل كالظاهر، ولوجود شواهد تثبت ورود هذا وجب الإقرار بجواز عطف الضمير المنفصل على الظاهر من الأسماء، والاعتراف حقيقة أنّ رأي الأبدّي ضعيف لا حجة فيه والله أعلم.

المسألة الثانية/ العطف على ضمير الرفع المتصل:

لقد أجاز علماء اللغة العطف على الضمير المتصل، لكنّ الاختلاف وقع بينهم في العطف على ضمير الرفع المتصل، فذهب البصريون إلى جواز ذلك بشروط هي: إمّا توكيده بضمير متصل، أو الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، محتجين في ذلك بما ورد من شواهد سواء في القرآن الكريم أو كلام العرب، أمّا مدرسة الكوفة فقد ذهب أصحابها إلى جواز العطف على ضمير الرفع المتصل دون شروط ولا قيود.

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 5. ص: 278.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا رجعنا إلى البصريين فسنجدهم يحتجون لما ذهبوا إليه، فيستشهدون له بآيات من الذكر الحكيم أو بكلام العرب، وما خرج عندهم على هذه القاعدة، فهو قبيح، فقد قال المبرد: «نقول رُؤيدَكَ أَنْتَ وَعَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا، وَعَلَيْكَ أَنْتَ وَعَبْدُ اللَّهِ أَخَاكَ... فَإِنْ حَذَفْتَ التَّوَكِيدَ قَبِحَ وَإِعْرَابُهُ الرِّفْعَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: قُمْ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانَ جَائِزًا عَلَى قَبْحِ حَتَّى تَقُولَ: قُمْ أَنْتَ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ (المائدة / 24)، وَقَالَ: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة / 35)، فَإِنْ طَالَ الْكَلَامُ حَسَنَ حَذْفِ التَّوَكِيدِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ (الأنعام / 148)¹.

والملاحظ أنّ الشواهد التي أتى بها المبرد من القرآن الكريم تنتمي إلى آيات الربع الأول من كتاب الله، والذي رصدنا هذا النوع من العطف فيه خمس (5) مرات، تناولناها في توكيد الضمير في الفصل الثاني، وهذه الآيات هي:

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/35).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (البقرة/ 249).

وقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة/24).

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام/ 59).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ (الأنعام/91).

ففي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/35) عطف الاسم الظاهر (زَوْجُ) على الضمير المستتر (أَنْتَ) في فعل الأمر (اسْكُنْ)، وذلك بعد توكيده بالضمير المنفصل (أَنْتَ)، والضمير المعطوف عليه هو ضمير رفع مستتر في محل رفع

¹ - المبرد. المقتضب. ج:3. ص:210.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

فاعل، وهذا يطابق ما اشترطه البصريون في هذا الباب من وجوب توكيد ضمير الرفع المتصل أو إطالة الكلام بالفصل بين المتعاطفين عند العطف عليه.

وإذا وقفنا على الشواهد التي قدمها المبرد سنجد أنه عطف على ضمير الرفع المستتر (أنت) في اسمي فعل الأمر في قوله: (رويدك، وعليك)، وذلك بعد توكيده بالضمير المنفصل (أنت)، وهكذا في الآيات القرآنية من سورة البقرة وسورة المائدة، فقد عطف على الضمير المستتر في أفعال الأمر (انهب، واسكن) بعد توكيده أما الآية الأخيرة، فقد عطف على ضمير الرفع المتصل (نا) بعد إطالة الكلام، فقد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بحرف النفي (لا).

وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (البقرة/ 249) إذ عطف اسم الموصول (الذين) على ضمير الرفع المستتر (هو) في الفعل (جاوزه)، وهو في محل رفع فاعل، وذلك بعد توكيده بالضمير المنفصل (هو).

أما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ (الأنعام/91)، فقد عطف على الضمير المتصل (الواو) في الفعل (تعلموا)، وهو في محل رفع فاعل بعد توكيده بالضمير المنفصل (أنتم).

والملاحظ أنّ جميع هذه الآيات توافق قاعدة البصريين في العطف على ضمير الرفع المتصل، إذ أكد هذا الضمير أو فصل بين المعطوف والمعطوف عليه قبل العطف.

ولكن ورغم ما اشترطه البصريون من شروط في العطف على ضمير الرفع، فإنهم وضعوا بعض الاستثناءات وجعلوها من باب الضرورة الشعرية، فالعطف على ضمير الرفع يمكن أن يأتي دون توكيد أو فاصل، وأوردوا لذلك شاهدا هو قول عمر بن أبي ربيعة:

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

قلتُ إذْ أقبلتُ وزهرٌ تهادي كنعاج الملاً تعسّفنَ رَمَلاً¹.

ففي هذا البيت الشعري عطف على ضمير الرفع المستتر (هي) فاعل (أقبلتُ) اسم ظاهر، فقد عطف عليه لفظ (زهراً)، ولم يؤكّد الضمير، ولم يطلّ الكلام، وقد عدّ البصريون هذا من الأمور التي تجوز للشاعر، أو ما يُسمى بالضرورات الشعرية.

ولم يكتف من ذهب هذا المذهب بهذه الشروط، بل استدل بطبيعة الضمير وعلاقته بالفعل الذي يرتبط به، وهذا ما أشار إليه ابن الأنباري، إذ قال: «فالضمير المرفوع المتصل لا يخلو إما أن يكون مقدّراً في الفعل، أو ملفوظاً به، فإن كان مقدّراً فيه، نحو: قام زيدٌ فكأنه قد عطف اسماً على فعل، وإن كان ملفوظاً به، نحو: قمتُ زيدٌ، فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل، فلو جوزنا العطف عليه لكان أيضاً بمنزلة عطف الاسم على الفعل، وذلك لا يجوز»².

وهذه الحجة التي قدّمها البصريون، واستشهد بها ابن الأنباري وهو يؤيّد رأيهم على ظاهرها تبدو قوية، ولكنّ الذي يدعو إلى التساؤل هنا، لم خصّ النحويون البصريون ضمير الرفع المتصل دون الضمير المنصوب، وكلاهما يتصل بالفعل، وهو كالجاء منه؟.

و قد قام ابن يعيش بالإجابة عن هذا التساؤل، إذ قال وهو يفسّر عدم اشتراط توكيد الضمير المنصوب المتصل عند العطف عليه: «وذلك من قبيل أنّ الضمير المنصوب فضلة

¹ - انظر: الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. كتاب البيان في شرح اللّمع لابن جني. ص:314.

² - ابن الأنباري أبو البركات (ت 577هـ). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك. مراجعة: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة - مصر. ط:1. 2002. ص:381.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

في الكلام يقع كالمستغنى عنه، ولذلك يجوز حذفه وإسقاطه نحو: ضربتُ وقتلتُ، ولا تذكر مفعولا، وإنما اتصل بالفعل من جهة اللفظ، والتقدير فيه الانفصال¹.

والذي ذهب إليه ابن يعيش يعيدنا لنظرية الإسناد التي تؤكد أن المسند والمسند إليه عنصران أساسيان في الجملة، وما زاد عليها فضله يمكن الاستغناء عنها، والضمير المنصوب من الفضلات أما ضمير الرفع، فهو من العمدة و باتصاله بالفعل أصبح جزءا منه، وأصبح يشكل معه كلمة واحدة؛ ولذلك لا يجوز العطف عليه مباشرة؛ لأن ذلك يعني عطف الاسم على الفعل (الذي لا يقدر باسم)، وهذا غير جائز عندهم.

وفي المقابل ولما كان الضمير المنصوب المتصل من الفضلة، فهو منفصل عن الفعل في المعنى إذ يمكن الاستغناء عنه، وإن كان ظاهر اللفظ اتصاله، ولهذا فيجوز العطف عليه مباشرة، لأننا في هذه الحالة، وكأننا نعطف على ضمير منفصل لا متصل، وهذا جائز.

ولعلَّ الجدير بالذكر هنا أنه وعلى الرغم من أن ابن يعيش قد ذكر جواز العطف على الضمير المنصوب دون توكيد، إلا أنه قال: أنَّ الأحسن توكيده²، وهذا كلام غريب لما أورده من تفصيل حول أن ضمير النصب المتصل كالمفصل لا يحتاج إلى توكيد، والله أعلم.

وقد وقفنا على العطف على الضمير المنصوب في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم في أربعة (4) مواضع، هي: (آل عمران/ 36)، (المائدة/ 116)، (الأنعام/ 74، 151).

ومنه قوله تعالى، وهو يخاطب الوالدين إذا خافا على أولادهما من الفقر فقاما بقتلهم إذ قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام/151).

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 2. ص 281.

² - المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ففي هذه الآية عطف الضمير المنفصل (إِيَّاهُمْ) على الضمير المتصل (كُمْ) في قوله (نَرزُقُكُمْ)، وهو في محل نصب مفعول به.

والله سبحانه وتعالى يحرمّ على الآباء قتل أولادهم إذا خشوا الإملاق، وهو الفقر¹ وقد علل هذا بأنّ الرزق بيد الله سبحانه وتعالى، ولو عدنا إلى هذه الآية سنجد أنّ الله سبحانه وتعالى يخاطب الوالدين، ويذكرهم بأنّ رزقهم بيده سبحانه، وأنّ قتلهم لأولادهم ليس من باب فقرهم هم، بل خوفا على أولادهم من الفقر، وليذكرهم أنّ الذي رزقهم سيرزق أولادهم، فإنّ كان عليهم الخوف فمن باب أولى أن يخافوا على رزقهم بداية قبل خوفهم على رزق أولادهم، وفي هذا حجة قوية.

ولقد حرّم الله سبحانه وتعالى قتل الولد في سورة الإسراء، إذ قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء/31)، والملاحظ أنّ الفرق بين الآيتين أنّه قال في سورة الأنعام: (من إملاق)، وهذا يعني أنّ الفقر واقع، وهذا أوجب أن يذكر الله الوالدين أولاً بأنّ رزقهم على الله؛ ولذلك قال: (نَرزُقُهُمْ) ثمّ عطف عليه قوله: (وَإِيَّاهُمْ).

أما في سورة الإسراء، فقد قال: (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) يعني أنّ الفقر غير واقع، وإنّما يخاف الوالدان وقوعه في المستقبل لأولادهم؛ لأنهم يعيشون في الحاضر حياة يسرّ، وهذا المقام أوجب أن يكون التذكير من الله للوالدين بأنّ رزق أولادهم على الله أولاً؛ لأنّ ذلك هو سبب الخشية².

¹ - انظر: المعجم الوسيط. مادة: (م ل ق). ص: 885.

² - انظر: أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 4. ص: 252.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإنّ ما أوردنا من تحليل لآيتي سورتي الأنعام والإسراء يبيّن أولاً دقّة أسلوب ونظم القرآن الكريم، ومراعاة اللفظ للمقام، فقد رتّب المعطوف والمعطوف عليه في كلّ آية مع ما يناسب نفسية الوالدين، ونوع الخوف الذي يشعرون به.

فلما كان الخوف على الأبناء بدأ الله بهم فقال: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)، ولما كان الخوف من ملازمة الفقر للوالدين والأولاد على حد سواء، قال: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)، وفي تنويع الأساليب في الآيتين زيادة لتوكيد ضرورة الإيمان أنّ الرزق بيد الله، والله أعلم.

وإذا كان العطف على الضمير المنصوب المتصل في هذه الآية بالضمير المنفصل دون فصل بين المعطوف والمعطوف عليه أو توكيد، فقد عطف على الضمير المتصل المنصوب باسم ظاهر دون فاصل أيضاً، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (المائدة/116).

ففي هذه الآية عطف الاسم الظاهر (أمي) على الضمير (الياء) في قوله (اتخذوني) وهو في محل نصب مفعول به، ولم يؤكد ولم يطل الكلام؛ لجواز ذلك عند الجمهور من العلماء.

ومن المواضع التي عطف فيها على ضمير النصب لكن مع وجود فاصل، أو إطالة للكلام قوله تعالى:

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران/36).
إذ عطف الاسم الظاهر (ذريتها) في هذه الآية على الضمير المتصل (هاء) في قوله: (أُعِيذُهَا)، وهو في محل نصب مفعول به، وقد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله (بك).

وسياق هذه الآية هو وصف ولادة السيدة مريم العذراء، ودعاء أمها امرأة عمران لها ولذريتها، وهذا يبرر تقديم (بك) على المعطوف؛ وذلك «لأنّ (بك) هو المُعَاذُ به، وهو الله

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

سبحانه وتعالى وذكْرُهُ أَوْلَى من ذِكْرِ المعطوف، وهذا من باب الاهتمام به ثمّ استدركت بعد ذلك ذِكْرَ ذريتها»¹.

ولعلّ الذي لفت انتباهنا هو أنّ امرأة عمران ربما قدّمت ذكر الله والاستعاذة به من الشيطان الرجيم في حفظ السيدة مريم، ثمّ استدركت بالدعاء لذريتها؛ لأنّ بالتعجيل بذكر الله والتعجيل بالدعاء للسيدة مريم يكون صلاحها، وبه يكون صلاح أبنائها؛ لأنّ صلاح الأبناء من صلاح أمهم، فكان الفصل بين المتعاطفين هنا رغم جواز عدمه أبلغ في أداء المعنى المراد، والله أعلم.

وفي الأخير وبعد هذا العرض لآراء البصريين يمكن القول إنّ العطف على ضمير الرفع المتصل عندهم لا يجوز إلا بعد توكيده أو إطالة الكلام بالفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بفاصل، وما ورد من عطف عليه دون هذه الشروط فهو قبيح، أو جائز أوجبته الضرورة الشعرية على اعتبار أنّه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره.

أما الكوفيون فقد أجازوا العطف على ضمير الرفع المتصل دون شروط، مدعين رأيهم هذا بمجموعة من الشواهد أوردها أبو البركات بن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وهي: «قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿6﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿7﴾﴾ (النجم/6-7)، فعطف (هو) على الضمير المرفوع المستكن في (استوى) والمعنى: فاستوى جبريل و محمد بالأفق الأعلى، وهو مطلع الشمس، فدلّ على جوازه»².

وإذا كان الكوفيون يستشهدون بهذه الآية في هذا الباب عاطفين الضمير المنفصل (هو) على الضمير المستتر (هو) في الفعل (استوى)، وبذلك يجيزون العطف على ضمير الرفع

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 2. ص: 458.

² - ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. ص: 380.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

المتصل دون شروط، فإن ابن الأنباري رفض الاستشهاد بهذه الآية في هذه المسألة، وجعل الواو فيها من قبيل واو الحال لا واو العطف¹.

وهذا الرأي يجعل الضمير (هو) يعود على جبريل عليه السلام، ولا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، وتصبح الجملة (وهو بالأفق الأعلى) جملة حالية، ولا يفصل في هذه القضية أو يقرب من الصواب إلا كتب التفسير، وكتب إعراب القرآن، لأنّ (الواو) هنا مرتبطة بتفسير الضمير المنفصل (هو).

أما كتب التفسير فقد أورد أبو حيان في البحر المحيط، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير وابن كثير في تفسيره أنّ الضمير (هو) في الآية الكريمة إنّما يعود على جبريل عليه السلام² وفي هذا تأكيد على أنّ (الواو) للحال لا للعطف.

هذا بالنسبة لكتب التفسير، أما كتب إعراب القرآن، فقد اتفق العكبري والزجاج مع ابن الأنباري في رأيه، إذ قال الزجاج في هذه الآية: «قال بعض أهل اللغة (هو) ههنا يعني به النبي عليه السلام المعنى فاستوى جبريل والنبي بالأفق الأعلى، وهذا عند أهل اللغة لا يجوز مثلها إلا في الشعر، إلا أن يكون مثل قولك: استويت أنا وزيد، ويستقبحون استويت زيداً وإنّما المعنى استوى جبريل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنّه كان يتمثل للنبي إذا هبط عليه الوحي في صورة رجل»³.

وإذا جمعنا هذه الآراء يمكن أن نقول إنّ استشهاد الكوفيين بهذه الآية في ما ذهبوا إليه ضعيف لما ورد في كتب التفسير من أنّ المقصود به (هو) جبريل عليه السلام؛ ولذلك لا

¹ - انظر: ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. ص: 381.

² - انظر: أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 8، ص 155، والطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 27. ص: 96 وابن كثير. تفسير القرآن العظيم. 1776.

³ - الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 5. ص: 70، وانظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 2. ص: 728.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

يمكن أن نعطف جبريل على نفسه، فنقول: (فاستوى جبريل وجبريل)، وهذا يدلُّ على أنَّ (الواو) هنا للحال لا للعطف، والله أعلم.

هذا بالنسبة لشواهد الكوفيين القرآنية، أما شواهدهم من الشعر، فقد أوردنا فيما سبق أنَّ البصريين لا يمنعون العطف على ضمير الرفع المتصل دون توكيده أو إطالة الكلام في الشعر، ويجعلون هذا من ضرورة الشعر؛ ولذلك فلا اختلاف بين البصريين والكوفيين فيها رغم أنَّ الكوفيين اعتمدوا عليها لوضع قاعدتهم، والبصريين جعلوها ضرورة شعرية لا يمكن الاستناد عليها.

وفي نهاية المطاف، وبعد هذا المدّ والجزر بين آراء البصريين والكوفيين توصلنا في هذا البحث إلى أنه لا يجوز العطف على ضمير الرفع المتصل دون توكيده أو إطالة الكلام بفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذا ما يؤيده ما وقفنا عليه من آيات في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم. يستثنى من ذلك الشعر؛ لما عُرِف من أنه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره؛ وذلك بسبب ما يحكم الشعر من قيود الوزن والقافية وضرورات الشعر، وهذا استناداً إلى ما وجدناه من قوة حجة ودليل في آراء البصريين من النحاة، والله أعلم.

المسألة الثالثة/ العطف على الضمير المجرور:

لقد أجاز العلماء العطف على الضمير المجرور، لكنَّ الاختلاف بينهم كان حول طريقة العطف عليه، وفي ذلك ثلاثة آراء، أما الرأي الأوَّل فيذهب أصحابه إلى وجوب إعادة الجار مع المعطوف، أما الثاني فيذهبون إلى عدم وجوب ذلك، أما الثالث فيرون عدم وجوب إعادة الجار إذا أكَّد الضمير.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

والرأي الأول هو رأي جمهور علماء البصرة، وحثهم في ذلك « أنه الأكثر نحو: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ (فصلت/11). ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ (غافر/80) ﴿يُنَجِّبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ (الأنعام/64) . ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ (البقرة/133) «¹.

وفي جميع الآيات القرآنية السابقة عُطِفَ على الضمير المجرور بعد إعادة الجار (لها وللأرض)، (عليها، وعلى الفلك)، (منها، ومن كل كرب)، (إلهك، وإله آبائك)، وبذلك فقد أعيد الجار في العطف على الضمير المجرور في (البقرة/133)، و(الأنعام/64)، وهما من سور المدونة موضوع الدراسة.

وقد كان العطف على الضمير المجرور في ست (6) آيات، منها الآيتان السابقتان وهي: قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ صَيِّدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْسيَّارَةِ﴾ (المائدة/96).

وقوله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ﴾ (المائدة/110).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ (المائدة/111).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء/1).

والواضح أنّ العطف على الضمير المجرور في هذه الآيات كان بعد إعادة الجار (لكم وللسيارة)، (عليك، وعلى والدتك)، (بي، وبرسولي) نستثني من ذلك الآية من سورة النساء والتي استشهد بها الكوفيون في جواز العطف دون إعادة الجار.

وإضافة إلى احتجاج البصريين بالسّماع على وجوب إعادة الجار في العطف على المضمّر المجرور، فقد احتجوا بحجج أخرى أوردها الدكتور أحمد غرس الله، إذ قال وهو

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 268.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

يفصل الحديث في مسألة منع العطف على المضمّر المجرور دون إعادة الجار: «وهذا عندهم مردود من وجوه عدّة أذكر منها على سبيل المثال: ما ذهب إليه "سيبويه"، من أنّ المضمّر المجرور عوض عن التنوين فلا يعطفُ عليه كما لا يعطفُ على التنوين . ولذلك لم يُجزَّ نحو: مَرَرْتُ بِكَ و بزيدي إلا في ضرورة الشعر وأنشد قول الشاعر:

فاليوم قرّبت تهجونا وتشتمنا فاذهبُ فما بك والأيام من عجب»¹.

هذا بالنسبة للرأي الأوّل، وما استند عليه أصحابه للاستشهاد على صحته، أما الرأي الثاني، فهو رأي الكوفيين، و وافقهم في ذلك بعض البصريين كالأخفش ويونس وأبو حيان ولا يجب عندهم عودة الجار في العطف على ضميره.

وحجتهم في ذلك ورود هذا في الفصح وفي القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء/1) وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (الحجر /20)، وقول الشاعر: * فما بك والأيام من عجب*²

والواضح أنّ هذه الشواهد تبين أنّ المدرستين على اتفاق في أنه يجوز إعادة الجار في هذه الحالة، وما الاختلاف بينهما سوى في كون هذا واجبا أم جائزا؛ ولذلك كان من الضروري تسليط الضوء على ما استشهد به الكوفيين ومن تبعهم كابن مالك الذي قال في ألفيته:

¹- أحمد غرس الله. المشكلات اللغوية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري. أطروحة دكتوراه دولة. إشراف: السعيد هادف. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة - الجزائر. 2005-2006. ص: 321-322.

²- انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 268.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

« وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفِضٍ لِأَزْمًا قَدْ جُعِلَا

وليسَ عندي لِأَزْمًا إِذْ قَدْ أَتَى في النظم والنثر الصحيح مُثَبَّتًا¹.

ومما ورد على مذهب الكوفيين كما أسلفنا قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء/1).

وموطن الاستشهاد في هذه الآية هو عطف لفظ (الأرحام) على الضمير المتصل

المجرور بباء الجر في (به) دون إعادة الجار (الباء).

وقد انفرد حمزة بهذه القراءة، أي جر الميم من (الأرحام)؛ أي عطف لفظ(الأرحام)

على الضمير المتصل المجرور بالباء في قوله (به)، أما بقية القراء فقد قالوا بنصبها، وحمزة

هو حمزة بن حبيب الزيّات الكوفي(ت 156هـ-)، وهو أحد القراء السبعة وقراءته متواترة

عن النبي صلى الله عليه وسلم².

والواضح أن هذا الشاهد قوي على اعتبار أنه قراءة من القراءات الصحيحة والمتواترة

عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يثبت جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة

الجار، لكنّ البصريين ومن ذهب مذهبهم فيرفضون الاستشهاد بهذه الآية.

وردّهم كان بتأويل الآية بما يتناسب مع قاعدتهم النحوية، ويبين هذا الرأي ما قاله

أبو البركات في الإنصاف، إذ قال:«إنّ (الأرحام) ليس مجرورا بالعطف على الضمير

المجرور، وإنّما هو مجرور بالقسم، وجواب القسم، قوله: (إنّ الله كان عليكم رقيبًا)، أمّا

¹ - ابن مالك. ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص:43.

² - انظر: ابن الجزري . النشر في القراءات العشر. ج: 2. ص:247، والزرقاني محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في

علوم القرآن. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ط: 1. 1995. ج: 1. ص:371.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

الحجة الثانية، فهي أنّ قوله (والأرحام) مجرور بباء مقدّرة غير ملفوظ بها، وتقديره (وبالأرحام) لدلالة الأولى عليها»¹.

وللتوسّع أكثر في هذه الآية قمنا برصد آراء المفسرين أصحاب كتب معاني القرآن فيها أما الزجاج، فيذهب إلى الميل إلى قراءة دون الأخرى، فقال: «القراءة الجيدة نصب الأرحام المعنى واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الجرّ في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعرٍ، وخطأ في أمر الدين عظيم؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال: لا تحلفوا بأبائكم، فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا؟»².

وهذا الكلام من الزجاج ينقلنا من عطف المفرد على المفرد، أي عطف كلمة (الأرحام) على الضمير المجرور في (به) إلى عطف الجمل، فيصبح التقدير: (اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها)، كما أنه إيعاد لبعض ما عرضناه سابقاً من آراء نحوية حاولت تأويل الآية مع ما يتماشى مع القاعدة النحوية، أي جعل (الواو) للقسم وإن تعارض هذا مع الدين.

أما العكبري فيرى في هذه المسألة وجهان انطلق فيهما من التأويل، وقد قال: «والأرحام يقرأ بالنصب، وفيه وجهان أحدهما معطوف على اسم الله؛ أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها والثاني هو محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول مررت بزيد وعمراً والتقدير الذي تعظمونه والأرحام؛ لأنّ الحلف به تعظيم له»³.

ومن خلال هذا الكلام نجد العكبري يضيف على ما قاله الزجاج في بيان علّة نصب كلمة الأرحام أنّها عطفت على محل (به)؛ أي النصب على المفعولية كقولنا: مررت بزيد وعمراً وهو يذهب مذهبه في الأوجه الأخرى.

¹ - ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. ص: 374.

² - الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 2. ص: 6.

³ - العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 1. ص: 230.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

والرأي عندنا أنه لا يمكن أن نخطئ قراءة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلّم كقراءة حمزة بن حبيب الزيّات؛ لأنها لا تتناسب مع قاعدة نحوية، (أي جر كلمة الأرحام) ولذلك وجب الجمع بين آراء علماء النحو والتفسير ومعاني القرآن في هذه الآية، وذلك بجعل جرّ لفظ (الأرحام) بحرف جر محذوف، والتقدير (وبالأرحام)، والله أعلم.

هذه بالنسبة للشاهد الأوّل أمّا الشاهد الثاني، وهو الآية القرآنية: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ (الحجر/20)، فقد عطف فيها اسم الموصول (من) على الضمير المجرور في (لكم) دون إعادة الجار (حرف الجر اللام)، وهذا على رأي الكوفيين. أمّا البصريون فهم يرون أنّ اسم الموصول (من) هنا معطوف على (معايش)، فهي في محل نصب، وليس معطوفا على الضمير المجرور؛ لأنّ معنى (وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) العبيد والإماء والدواب والأنعام، فيكون التقدير: جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء والدواب والأنعام¹.

ولعلّ هذا السرد لمجموع هذه الآراء يجعل الباحث يصل إلى نتيجة هي أنّ إعراب اسم الموصول مرتبط بتحديد ما عطف عليه، فإنّ عطف على الضمير (كم)، فهو في محل جر، وتصبح الآية شاهدا على جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، وإنّ جعلنا المعطوف عليه لفظ (معايش)، فإنّ اسم الموصول في محل نصب، وهذا يؤكّد كما أسلفنا امتناع العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار.

هذا بالنسبة لبعض الشواهد التي وردت في القرآن الكريم، أما من فصيح الكلام فقد استشهد الكوفيون بعدّة أشعار لعلّ أحدها الشاهد الذي أوردناه سابقا، وموضع الاستشهاد فيه قول الشاعر: (فاذهب فما بكِ والأيام من عجب)، حيث عطف على الضمير المجرور (الكاف) في قوله (بك) لفظ (الأيام) دون إعادة الجار (الباء).

¹ - انظر: ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. ص:377.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا كان الكوفيون قد انطلقوا من هذا الشاهد لإثبات جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، فإنّ البصريين يذهبون في هذا البيت الشعري إلى أنّ (الواو) هنا للقسم لا للعطف، وإنّما أقسم الشاعر هنا بالأيام، ولم يعطف رغم أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم نهانا أن نحلف بغير الله، وإنّما جاز له هذا ليتناسب مع نظام الشعر ووزنه¹.

والملاحظ هنا أنّ البصريين أجازوا للشاعر أمرا في الدين حتى يتناسب شعره مع قاعدة من قواعدهم النحوية، وكان الأولى العكس؛ أي أن يجاز له في قاعدتهم النحوية حتى يتفق شعره مع أحكام الدين وأوزان الشعر، وهذا ما فعلوه في العطف على ضمير الرفع المتصل، فلم لم يصنعوا هذا مع الضمير المجرور؟.

وإجابة هذا التساؤل والإشكال ما وضعه البصريون من حجج، وهم يعللون منعهم للعطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار، فالعلة عندهم: «أنّ اتصال الضمير المجرور بجاره أشدّ من اتصال الفاعل المتصل، لأنّ الفاعل إن لم يكن ضميرا متصلا جاز انفصاله والمجرور لا ينفصل من جاره سواء كان ضميرا أو ظاهرا، فكُره العطف عليه، إذ يكون كالعطف على بعض حروف الكلمة»².

وهذا التعليل يشبه ما ذهب إليه البصريون في كون ضمير الرفع كالجاء من الفعل ولذلك لا يجوز العطف عليه إلا بعد توكيده، فلا يجوز عطف الاسم على الفعل، أمّا في العطف على الضمير المجرور، فهم يجعلون الجار والضمير المجرور كالكلمة الواحدة، فلا

¹ - انظر : ابن خالويه. الحجّة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. دار الشروق. بيروت- لبنان. ط:3. 1979. ص:118.

² - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3. ص:65.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

يجوز عندهم العطف على الضمير فقط، فهو جزء من الكلمة لا الكلمة كلّها، ولا يجوز العطف على الجزء من الكلمة فقط.

أما الفريق الثالث من العلماء، فقد ذهب مذهب البصريين من وجوب إعادة الجار لكنّه جعل لذلك استثناءً «إذ أجاز العطف على المجرور المتصل بلا إعادة الجار بعد تأكّيده بالضمير المنفصل، نحو: مررتُ بك أنتَ وزيدٍ قياساً على العطف على الضمير المتصل المرفوع، وليس بشيءٍ لأنّه لم يسمع ذلك مع أنّ تأكيد المجرور بالمرفوع خلاف للقياس»¹.

وفي الأخير وبالاعتماد على هذا العرض الذي قدّمناه لآراء النحويين البصريين والكوفيّين حول قضية العطف على الضمير المجرور، وبعد تحليل شواهدهم ومناقشة آرائهم وبعد عملية الإحصاء التي قمنا بها تبين أنّ العطف على الضمير المجرور في الربع الأوّل كان مع إعادة الجار، والله أعلم.

النمط الثالث: عطف الفعل على الفعل:

لقد اخترنا لبداية هذا العنصر تساؤلاً تبادر إلى ذهننا، أثناء قيامنا بعملية التفريق بين عطف الفعل على الفعل، وعطف الجملة على الجملة في المبحث السابق، هو: هل قولنا مثلاً: (قُمْ وَاَنْتَبِهْ) من عطف الفعل على الفعل أي عطف فعل الأمر على فعل الأمر، أو من قبيل عطف الجملة على الجملة على اعتبار أنّ (قُمْ) هو فعل أمر استتر فيه فاعله، فهو جملة وكذلك (انتبه)؟.

وقد وجدنا في حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك جواباً على هذا التساؤل، وهو قول الصبّان: «فإذا قلت يعجبني أن تقومَ وتخرجَ ولم تقمَ وتخرجَ ويعجبني أن

¹ - الأسترابادي. شرح الكافية في النحو. ج: 3 . ص: 67.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

يقوم زيد ويخرج عمرو... (وهذا من عطف الفعل على الفعل)، فلولا أنّ العطف للفعل وحده لم يتأت نصبه أو جزمه¹.

وهذا الكلام يجعلنا نصل إلى فكرة هي أنّ أول فرق بين عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية، وعطف الفعل على الفعل، هو أنّ في عطف الفعل على الفعل يتبع المعطوف والمعطوف عليه، فإذا كان الأول منصوبا جاء الثاني كذلك وهكذا.

ولكن ورغم هذا التفريق، فإنّ الباحث يتساءل هنا كيف نتأكد من أنّ الفعل عطف على الفعل، ولم تعطف الجملة على الجملة في مثل قولنا: ذهب وعاد، وذلك على اعتبار أنّ الفعل الماضي مبني على الفتح في أصله، فلا تظهر فيه الحركة الإعرابية في حال التبعية بالعطف.

وقد وضع الدكتور عباس حسن لعطف الفعل على الفعل شرطان هما: أولاً اتحادهما في الزمن وإن اختلفا في الصيغة، وهذا الشرط واجب كما رأينا حتى يعطف الفعل على الفعل، وثانيهما اتحادهما إن كان مضارعين في العلامة الإعرابية، واتحادهما في النفي والإثبات وكأنّه لم يخرج على كلام الصّبّان بل ركّز مثله على الفعل المضارع.

أما فيما يخص الفعل الماضي، فقد ضرب مثالا هو: (إذا تعرّض وتصدّى المرء لكشف معائب الناس مزقوه بسهام أقوالهم وأفعالهم)، وأورد أنّه يجوز فيه الأمران، أي عطف الفعل (تصدّى) على الفعل (تعرّض)، أو عطف الجملة (تعرض والفاعل المستتر) على الجملة (تصدّى المرء)، لعدم وجود قرينة تعيّن نوع العطف، وضرب هنا مثالا آخر هو قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (القمر/3)، موضحا أنّ هذا من عطف الجملة على الجملة؛ لأنّ (كذبوا هو فعل وفاعل) وكذلك (اتبعوا)².

¹ - الصّبّان. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 177.

² - انظر: عباس حسن. النحو الوافي. ج: 3. ص: 641-644.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

وبعد هذا العرض وجدنا أنّ التفريق بين عطف الفعل على الفعل والجملة الفعلية على الجملة الفعلية صعب للترابط والتداخل بين الفعل والفاعل خاصة إذا كان الفاعل ضميرا مستترا. وما يوصلنا إلى التفريق هو أنّ الفعل إذا عطف على الفعل وكان مضارعا، فإنّه يتبعه في إعرابه خاصة إذا تعلّق الأمر بالنصب والجزم.

أما إذا كان الفعل مضارعا مرفوعا أو فعل ماضيا أو فعل أمر، فلا بد من مطابقة المعطوف عليه في الإثبات والنفي وألا يكون الفاعل مرتبطا بالفعل المعطوف عليه، ويدعم هذا التفريق وجود بعض القرائن التي تُعيّن نوع العطف، والله أعلم.

وانطلاقا مما أوردناها وبعد استقراءنا لآيات الرَّبْعِ الأوَّلِ من الذكر الحكيم، وجدنا أنّ الفعل عطف على الفعل في اثنتين وسبعين (72) موضعا، وقد توزعت هذه المواضع في صور مختلفة، فعُطف الفعل الماضي على الماضي، وعُطف المضارع على المضارع وكذلك الأمر على الأمر.

الصورة الأولى: عطف الفعل الماضي على الفعل الماضي:

لقد عُطف الماضي على الماضي في مواضع عديدة من الرَّبْعِ الأوَّلِ بلغ تعدادها ثلاثة وثلاثين (33) موضعا، ومن أمثله قوله تعالى:

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/34).

ففي هذه الآية يَصوِّرُ اللهُ لنا قصة آدم عليه السلام مع إبليس، وكيف ولماذا رفض السجود له فقال: (إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ)، فعُطِفَ الفعل الماضي (اسْتَكْبَرَ) على الفعل الماضي أيضا (أبَى).

وقد أثار علماء التفسير قضية استثناء إبليس من الملائكة، «فقال قوم إنّ إبليس كان من الملائكة فاستثنى منهم في السجود، وقال قوم من أهل اللغة لم يكن إبليس من الملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿ (الكهف/50)، فقيل لهؤلاء كيف جاز أن يُستثنى منهم، فقالوا: إنَّ الملائكة- وإيَّاه- أمروا بالسجود، قالوا: ودليلنا على أنه أمر معهم بالسجود: "إِلَّا إِبْلِيسُ أَبَى" فلم يَأْب إلا وهو مأمور»¹.

وبذلك فقد استثنى إبليسُ من القيام بالفعل مع الملائكة، وإن كان ليس منهم؛ لأنه مأمور بالفعل مثلهم، لكنَّه (أَبَى واستَكْبَرَ)، فكان الفعلان الماضيان المعطوفان بـ (الواو) يصفان حال وردة فعل إبليس عندما أمره الله بالسجود لآدم عليه السلام، أما الفعل (أَبَى) فمعناه: «أَبَى: امتنع عن الشيء بشدة كراهية له، واستكبر: تكبَّر وتعظَّم فلم يخضع للحق عنادا»².

والواضح أنَّ (الواو) في هذه الآية عطفت بين فعلين اجتمعا في الدلالة على الامتناع عن الفعل، أما الفعل الأول (أَبَى)، فقد دلَّ على كراهية هذا العمل ورفضه، وأما الفعل الثاني (استَكْبَرَ)، فيدلُّ على سبب هذا الرفض وهذه الكراهية، وهو المعاندة لأوامر الله والتكبُّر.

فكان عطف الفعل الماضي (استَكْبَرَ) على الفعل (أَبَى) تأكيدا أنَّ معصية إبليس لأمر الله كانت برفضه للسجود لآدم، وهذا الرفض كان نابعا من استكباره، والله أعلم.

الصورة الثانية: عطف الفعل المضارع على الفعل المضارع:

وإضافة إلى عطف الماضي على الماضي، فقد عطف المضارع على المضارع، وذلك في تسع وعشرين (29) آية، ولم يكن العطف في حالة إعرابية واحدة، بل عطف المرفوع على المرفوع كما عطف المنصوب على المنصوب والمجزوم على المجزوم.

¹ - الزجَّاج. معاني القرآن وإعرابه. ج:1. ص:113-114.

² - أحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقرآته. ص: (60، 385).

1- عطف المضارع المرفوع على المضارع المرفوع:

ومن أمثلة هذا النوع من عطف الفعل على الفعل، قوله تعالى، وهو يصف فضل المنفق في سبيل الله، إذ قال: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/245).

والشاهد في هذه الآية هو أنّ الله سبحانه وتعالى عطف الفعل المضارع المرفوع (يبسط) على الفعل المضارع المرفوع أيضا (يقبض)، وهما متحدان في الزمن؛ أي الدلالة على الحال والاستقبال، كما أنّهما يشتركان في الحالة الإعرابية (الرفع)، و(الواو) في هذه الآية تدلّ على معنى المصاحبة، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يقوم بالفعلين معا.

فبعدهما شجّع الله عباده وحثّهم على الصدقات في هذه الآية، قال: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ)، ومعناه كما قال الزجاج: «قال بعضهم يقترّ ويوسّع وقال بعضهم يسلب قوما ما أنعم عليهم، ويوسّع على آخرين، وقيل معنى يقبض الصدقات يخلفها، وإخلافها جائز أن يكون ما يعطي من الثواب في الآخرة، وجائز أن يكون مع الثواب أن يخلفها في الدنيا»¹.

فلو تتبعنا المعاني التي أوردها الزجاج سنجد أنّ المعنى الأول يجعل في الآية نوعا من أنواع البديع المعنوي وهو الطباق (يقترّ، ويوسّع)، وكذلك المعنى الثاني (يسلب ويوسّع) وفي استعماله تأكيد من الله أنّ الرزق بيده، وأنّ الإنسان لا يملك من رزقه شيئا، وفي هذا حجة مقنعة لكلّ من يرفض الإنفاق والصدقة.

أمّا المعنى الثالث، فالعطف فيه من قبيل العطف بين الشيء ومرادفه بـ (الواو)، إذ يدلّ المعطوف والمعطوف عليه على الخير والثواب، ولذلك ففي العطف بينهما تأكيد، وحثّ على الصدقات؛ وذلك بما في المعنى من وعد بالخير والجزاء في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

¹ - الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 1. ص: 325.

2- عطف المضارع المنصوب على المضارع المنصوب:

إضافة إلى عطف الفعل المضارع المرفوع على الفعل المضارع المرفوع، فقد عطف المنصوب على المنصوب أيضا، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/19).

ففي هذه الآية عطف الفعل (يجعل) على الفعل المضارع (تكرهوا) المنصوب بـ (أن) وقد تبعه في الإعراب (النصب)، كما أن الله سبحانه وتعالى استعمل (الواو) هنا للعطف بين الفعلين لما تحمله من معنى المصاحبة، فكان العطف بها دليلا على مصاحبة الكراهية لوجود الخير.

والملاحظ أن المعطوف (يجعل) فعل متعدٍ فاعله هو لفظ الجلالة (الله)، أما مفعوله فهو لفظ (خيرا)، وقد نعت باللفظ (كثيرا) للدلالة على الكثرة والخير الوفير، وقد فصل بين الفاعل والمفعول به بالجار والمجرور (فيه)، و(الهاء) تعود على قوله (شيئا)، وفي هذا الضمير توكيد من الله أن الخير موجود ومستقر وكائن في الشيء المكروه، وقد زاد توكيد هذا المعنى باستخدام حرف الجر (في) الدال على الظرفية، والمرتبط بالشيء المكروه.

وقد وردت هذه الآية في سياق الحديث عن الحياة الزوجية، فالله سبحانه وتعالى ينبه الأزواج ويلفت انتباههم إلى ضرورة «تَحَمُّلِهم الكراهة على سوء المعاشرة، فإن كراهة الأنفس للشيء لا تدلّ على انتفاء الخير منه»¹.

فكان عطف الفعل (يجعل) على الفعل (تكرهوا) من باب تأكيد أن كراهة الزوج لزوجته لا تعني انتفاء الخير، بل إن هذا العطف يعني مصاحبة الخير للكراهية، وفي هذا حث من الله للأزواج على المحافظة على الأسرة؛ وذلك بإخباره سبحانه بوجود الخير مع وجود الكراهة، والله أعلم.

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 3. ص: 213.

3-عطف المضارع المجزوم على المضارع المجزوم:

وإضافة إلى عطف المضارع المرفوع على المضارع المرفوع، وعطف المنصوب على المنصوب، فقد عطف المجزوم على المجزوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة/188). ففي هذه الآية الكريمة نهى الله سبحانه وتعالى عباده عن أكل أموال الناس بالباطل أو دفع المال للحكام لأخذها بالباطل، وقد استعمل الله للتعبير عن هذه المعاني الفعل المضارع المجزوم بـ (لا) الناهية (تأكلوا) للتعبير عن النهي ثم عطف عليه الفعل (تدُلوا) للدلالة عن النهي أيضا.

وفي هذه الآية يرى الأخفش أنّ (الواو) تحتل وجهين للإعراب، وأنّ الفعل (تُدُلوا) إما «جُزِمَ على العطف أو نُصِبَ إذا جُعِلَ جواباً بـ (الواو)»¹؛ أي أنّ (الواو) هي إما حرف عطف، وإمّا هي للمعية تضرر فيها أن فيكون الفعل المضارع بعدها منصوباً. أما الوجه الأول أي العطف، فقد قمنا بمناقشته أما الوجه الثاني أي النصب على إضمار (أن) بعد (الواو)، فإنّ «الواو تنصب الأفعال المستقبلية إذا كانت بمعنى الجمع، نحو قولهم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن؛ أي: لا تجمع بينهما، ومنه قول الأخطل:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ»²

فالنهي في المثالين يعني اجتماع الفعلين؛ أي (أكل السمك مع شرب اللبن، والنهي عن الفعل مع الإتيان بمثله)، وإذا عدنا إلى الآية نجد الله سبحانه وتعالى ينهي عن أكل الأموال

¹ - الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 615هـ). معاني القرآن. تحقيق: هدى محمود قراة. مكتبة الخانجي. القاهرة - مصر. ط: 1. 1990. ج: 1. ص: 172.

² - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 4. ص: 235-236، وانظر: شعر الأخطل. تحقيق: فخر الدين قباوة. دار الفكر ودار الفكر المعاصر. سوريا ولبنان. ط: 4. 1996. ص: 580.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

بالباطل والإدلاء بها إلى الحكام لأكل أموال الناس بالباطل في حالة الاجتماع أو عدمه؛ ولهذا فنحن نذهب إلى أنّ (الواو) هنا للعطف، والله أعلم.

الصورة الثالثة: عطف فعل الأمر على فعل الأمر:

يُضَافُ إِلَى عَطْفِ الْمَاضِي عَلَى الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ عَلَى الْمُضَارِعِ، فَقَدْ عُطِفَ الْأَمْرُ عَلَى الْأَمْرِ فِي الرَّبْعِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي عَشْرَةِ (10) مَوَاضِعٍ.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران/200).

وفي هذه الآية عطفت أفعال الأمر (اتَّقُوا)، (رَابِطُوا)، (صَابِرُوا)، على فعل الأمر (اصْبِرُوا)، وفي الآية خطاب من الله للمؤمنين.

وبالبحث عن معاني هذه الأفعال نجد الزجاج يقول فيها: «ومعنى (اصْبِرُوا) أي على دينكم، و(صَابِرُوا) أي عدوكم، و(رَابِطُوا) أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب والحجة و(اتَّقُوا) الله) في كل ما أمركم به ونهاكم عنه»¹.

ففي هذه الآية، وهي آخر آية من سورة آل عمران ما يضمن الفوز للإنسان في الدنيا والآخرة، فإن أراد الفوز في الآخرة، فعليه الصبر على دينه، أي الثبات على الإيمان والتزام التكليف، وإن أراد الفوز في الدنيا، فعليه المصابرة والمرابطة على جهاد العدو، وإن أراد الدنيا والآخرة جمع بين كل هذه الأمور واتقى الله، وفي ذلك سرّ فوزه في الدارين.

والملاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى قد استعمل في هذه الآية (اصْبِرُوا) من الفعل (صبر) و(صَابِرُوا) من الفعل (صَابَرَ) و(رَابِطُوا) من الفعل (رَابَطَ) و(اتَّقُوا) من الفعل (اتَّقَى)، وأما الفعل (صَبَرَ)، فهو فعل ثلاثي مجرد يدلّ على تحمل المشاق.

¹ - الزجاج. معاني القرآن وإعرابه. ج:1. ص:501-502.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وأما الفعلان (صَابَرَ) و(رَابَطَ)، فهما فعلان مزيدان على وزن (فَاعِلْ)، وهذا الوزن يدلّ على المغالبة¹، وكأنّ الله سبحانه وتعالى يدعو إلى مغالبة جيش العدو في الصبر والرباط بالفعلين (صَابَرَ) (رَابَطَ)، لأنّهما أصل وأحد أسباب النصر، والله أعلم.

النمط الرابع: عطف الفعل على الاسم:

إنّ الاتفاق بين العلماء قائم على جواز عطف الفعل على الاسم وعطف الاسم على الفعل، لكنّهم اشترطوا لصحته أن يكون الاسم مشتقا من الفعل فيقع موقع الفعل؛ لأنّه يحمل معناه، فيقدّر الفعل باسم، كما يقدّر الاسم بفعل.

وقد تناول ابن عقيل هذه المسألة قائلا: «يجوز أن يُعْطَفَ الفعل على الاسم المشتبه للفعل كاسم الفاعل ونحوه، ويجوز أيضا عكس هذا، وهو: أن يعطف على الفعل الواقع موقع الاسم اسم فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ﴿3﴾ فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ﴿العاديات/3-4﴾ وجعل منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (الحديد/ 18)، ومن الثاني قوله:

فَالْفَيْتُهُ يَوْمًا يُبِيرُ² عَدُوَّهُ وَمُجْرٍ عَطَاءً يَسْتَحِقُّ الْمَعَابِرَ³»

وهذه الشواهد تثبت جواز عطف الفعل على الاسم في الآيات القرآنية، حيث عطف الفعل (أثرن) على (المغيرات)، والتقدير (فالمغيرات صباحا فالمثيرات به نقعا)، كما عطف الفعل (أقرضوا) على الاسم (المصدقين والمصدقات)، والتقدير (والمقرضات).

¹ - انظر: ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 4. ص: 439.

² - يبير: يهلك وماضيه أبار، ويروي ببير، وهو بمعنى يبير، ومُجْرٍ اسم فاعل من أجرى، ووقع في نسخة من نسخ ديوان النابغة (وبحر عطاء) والمعابر... وهو ما يعبر المائية كالسفينة. انظر: ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج: 02. ص: 245.

³ - المصدر نفسه. ص: 244.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

هذا بالنسبة لعطف الفعل على الاسم، أمّا في عطف الاسم على الفعل فاشتراط ابن عقيل أن يكون الاسم مشبهاً بالفعل كاسم الفاعل ونحوه من المشتقات، والدليل على جواز هذا النوع من العطف الشاهد الشعري حيث عطف الاسم (مُجْرٍ) على الفعل (يَبِيرُ) و(مُجْرٍ) هو اسم فاعل من الفعل (أجرى)، ولذلك يمكن تقديره (يبير عدوه ويجري عطاءً).

ولقد وقفنا على هذه الظاهرة اللغوية في الربع الأول من كتاب الله في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿95﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿الأنعام/95-96﴾.

ففي هذه الآية أورد الله سبحانه وتعالى بعض الآيات الدالة على قدرته، فهو فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت؛ أي أنه «يَشُقُّ الحَبَّةَ اليابسة والنواة اليابسة، فَيُخْرِجُ منها ورقاً أخضرًا، وهو معنى (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)؛ أي يُخْرِجُ النبات الغضَّ الطَّريَّ الأخضر من الحب اليابس، و(مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ)، ويُخْرِجُ الحَبَّ اليابس من النبات الحيِّ النامي»¹. وهنا عطفَ الله سبحانه وتعالى قوله: (مُخْرِجُ) على قوله: (يُخْرِجُ)، وهو بهذا عطفَ اسم الفاعل (مُخْرِجُ) على الفعل المضارع (يُخْرِجُ)، وقد أجاز النحاة هذا؛ لأنَّ اسم الفاعل في تقدير الفعل، كما أنه سبحانه عطفَ الفعل (جَعَلَ) في قوله: (جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) على اسم الفاعل (فالِقُ) في قوله (فالِقُ الْإِصْبَاحِ) لجواز التقدير أيضاً، والتقدير: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) (فالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا).

ويرى الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الأنعام/95) أنَّ اسم الفاعل (مُخْرِجُ) ليس معطوفاً على الفعل

¹ - الزَّجَّاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 2، ص: 273.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

(يُخْرِجُ)، وإنما جاءت الجملة (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) مُبَيِّنَةً لقوله (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى)؛ ولذلك فإنَّ اسم الفاعل (مُخْرِج) عنده معطوف على قوله (فَالِقُ)¹، وهذا من باب عطف الاسم على الاسم.

وفي المقابل يرى الطاهر بن عاشور أنَّ الله: «عَطَفَ قوله: (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) على قوله: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)؛ لأنه إخبار بحد مضمون (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) وصنع عجيب دال على كمال القدرة، وناف تصرف الطبيعة بالخلق؛ لأنَّ الفعل الصادر من العالم المختار يكون على أحوال متضادة بخلاف الفعل المتولّد عن سبب طبيعي»²، فكان هذا العطف دليلاً على وحدانية الله.

وإذا عدنا إلى هذه الآية من الناحية الدلالية والبلاغية، فسنجد أنَّ الخطاب القرآني قد اختار الإطناب، إذ فصلَّ في بعض آيات خلقه لبيِّن للنَّاس قدرة الله وعلمه غير المحدود لأنَّ المقام يستوجب التفصيل، فالله سبحانه وتعالى كان يستطيع القول: (إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، لكنَّ الإيجاز هنا لا يناسب الغرض من الآية، فالآية إنما وردت في سياق الدعوة إلى التأمل، والإطناب في ذكر آيات في خلقه أدعى إلى التأمل، إذ كلَّ آية تستوجب تأملاً خاصاً، وتفكيراً متواصلاً في واسع علمه وعظيم قدرته سبحانه، والله أعلم.

¹ - انظر: الزمخشري . الكشاف. ج:2. ص:374.

² - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج:7. ص:388.

ب/ عطف الجملة على الجملة:

إضافة إلى عطف المفرد على المفرد في الرَّبْع الأوَّل، فقد عُطِفَت الجملة على الجملة أيضا وفي عَطَفَ الجمل بلاغة وأسارا أشار الجرجاني إلى بعضا، إذ قال: « وذلك ألا نقول: زيدٌ قام وعمرٌ قاعدٌ حتى يكون عمرٌو بسبب من زيد، وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عَرَفَ السامع حال الأوَّل عناه أن يعرف حال الثاني يدلك على ذلك أنك إن جنّت فعطفت على الأوَّل شيئا منه بسبب، ولا هو مما يُذكر بذكره، ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم، فلو قلت: خرجتُ اليوم من داري، ثم قلت: وأحسنَ الذي يقول بيت كذا قلت ما يُضحك منه»¹.

وفي هذا الكلام من الجرجاني ما يؤكِّد أنّ عطف الجمل بعضها على بعض لا يكون إلا لسبب أو علة بلاغية ودلالية توجبها السياقات الكلامية المختلفة، فالجملة المعطوفة لا يكتمل معناها ولا يستقيم في ذهن السامع كما يريد له المتكلم إلا إذا جاءت بعد الجملة المعطوف عليها، وكذلك الحال بالنسبة للأخيرة، فإنّ دلالتها تبقى ناقصة ولا تكتمل إلا بالعطف. وقد شغلت البلاغة العربية القديمة بعطف الجمل، وذلك تحت باب الفصل والوصل، بل إنّ المتقن لمواطن الفصل والوصل عندهم قد حاز مكامن البلاغة، ففيل البلاغة « معرفة الفصل من الوصل»².

وإنما ذكرنا الوصل والفصل في هذا العنصر؛ لأنه مرتبط بعطف الجمل بعضها على بعض، فالمقصود به عند علماء المعاني «العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها»³.

¹ - الجرجاني. دلائل الإعجاز . ص: 153.

² - أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. ص: 458.

³ - فضل حسن عباس. البلاغة العربية فنونها وأفانها (علم المعاني). ص: 393 - 394.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

وعلى هذا فالمصطلحان متضادان نعني بالأوّل عطف الجمل بعضها على بعض ونعني بالثاني ترك العطف، والوصل لا يكون بجميع الحروف، بل يكون بـ (الواو) فقط ولذلك قيل « الوصل عطف جملة على جملة بالواو، والفصل ترك هذا العطف »¹.

فإن قيل لم خصت (الواو) دون حروف العطف بهذا ؟. فالإجابة أنّ دلالة (الواو) على مطلق الجمع يجعل المعنى الذي تضيفه إلى الكلام يحتاج إلى تدبّر من السامع، ودقّة توظيف من المتكلّم، وفي هذا يقول الجرجاني: «واعلم أنّه إنّما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأنّ تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أنّ الفاء توجب الترتيب من غير تراخ... فإذا قلت أعطاني فشكرته، ظهر بالفاء أنّ الشكر كان معقبًا على العطاء ومسببا عنه... فإذا قلت: جاءني زيد وعمرو، لم تفد بالواو شيئًا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتّه لزيد والجمع بينه وبينه، ولا يتصوّر إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه »².

فحروف العطف جميعا تفيد معنى الإشراك، لكنّ كلّ حرف منها يتميّز بمعنى يختصّ به دون سائر الحروف، فالفاء مثلا كما ذكر الجرجاني إضافة إلى الإشراك؛ أي إشراك المعطوف في حكم المعطوف عليه، فإنّها تدلّ على معنى الترتيب، يستثنى من ذلك (الواو) والتي تدلّ على الإشراك فقط؛ ولهذا فالاستخدام الدقيق لها يحتاج معرفة جيّدة بمواطن الوصل والفصل، والله أعلم.

وإنّ انفراد (الواو) بالإشراك دون بقية الحروف جعلها في عطف بعض الجمل للوصل بين الجملة الأولى والثانية لا أكثر، وهذه الجملة هي الجملة التي لا محل لها من الإعراب فإذا عطفت على جملة لا محل لها من الإعراب بالواو فلن تحمل الواو معنى الإشراك في

¹- السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 180.

²- الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص: 153.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

الإعراب لعدم وجوده، ولذلك فهي للوصل؛ لأنها لا تدلّ إلا على الإشراك، أما بقية حروف العطف فإنّها وإن لم تُشرك الجملة المعطوفة على الجملة المعطوف عليه في الإعراب، فإنّها تدلّ على المعاني التي تختصّ بها كالترتيب والسببية، وغيرها من معاني حروف العطف والله أعلم.

وقد قال الجرجاني في هذه المسألة: « والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني: وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح لا سبيل لنا إلى أن ندعي أنّ الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه لم لم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف»¹.

والواضح أنّ الجرجاني ربط الوصل والفصل بالجملة التي لا محل لها من الإعراب وأخرج من ذلك المفرد، لأنّ العطف بين المفردات يجعل المعطوف يشترك مع المعطوف عليه في الحكم الإعرابي، وكذلك الجملة التي لها محل من الإعراب لأنها تؤول بالمفرد فيكون فيها حكم الإشراك، أمّا الجملة التي لا محل لها من الإعراب كالجملّة الابتدائية في المثال الذي قدّمه الجرجاني (زيد قائم)، فإنّ معنى الإشراك في الحكم الإعرابي بينها وبين الجملة المعطوفة (عمرو قاعد) ينتفي لعدم وجوده.

والتساؤل الذي يُطرح هنا: لم إذن عطف بالواو في هذا المقام؟ ولم عطف ولم يحذف العطف لعدم وجود معنى الإشراك في الواو، فيقال: زيد قام عمرو قاعد؟. إنّ هذه التساؤلات جعلت الجرجاني يخصّ الجملة التي لا محل لها من الإعراب بالوصل والفصل، فالإجابة عنها تكشف الغرض البلاغي من استعمال العطف أو تركه، والله أعلم.

¹ - الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص: 153.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

وبعد هذا التحليل يمكن أن نصل إلى أنّ الوصل هو العطف بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب بالواو، أمّا الفصل فهو ترك العطف، ولا يكون هذا إلا لأغراض بلاغية مختلفة، والله أعلم.

و إذا عدنا إلى الربع الأوّل فقد عُطفت الجمل بعضها على بعض في واحد وخمسمائة (501) موضع، وذلك وفق هذه الصور والأنماط:

1/ عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية:

لقد رصدنا هذا النوع من العطف في ستة وستين وثلاثمائة (366) موضع، وهو موزع على هذه الأنماط:

النمط الأول: عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية:

وهذه الصورة من العطف هي أكثر أنواع عطف الجملة على الجملة ورودا في الربع الأوّل إذ وردت ثلاثا وستين ومائتي (278) مرة، وذلك وفق هذه الصور:

الصورة الأولى: عطف جملة فعلية فعلها ماض على جملة فعلية فعلها ماض:

أفضت عملية الإحصاء التي أجريناها إلى أنّ هذه الصورة من العطف قد تواترت سبعا وثلاثين ومائة (137) مرة، ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (البقرة/17).

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الخطاب القرآني بدأ بصيغة المفرد (الذي)، ثمّ انتقل للحديث بصيغة الجمع (نورهم) (تركهم) (لا يبصرون)؛ وذلك لأنّ «الذي كـ(من) يكون للواحد والمثنى والجمع بلفظ واحد»¹.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج : 1. ص:285.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وقد شبه الله سبحانه وتعالى المنافقين في هذه الآية بالذي يستوقد ناراً، فلما تضيء ما حوله يذهب الله بنوره ويتركه في ظلمات لا يبصر، فعطف الجملة (تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) على الجملة (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)، والفاعلان فيهما ماضيان.

أما قوله تعالى: « ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ »، فمعناه: «اطَّاعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَقَدْ ذَهَبَ مِنْهُمْ نُورُ الْإِسْلَامِ بِمَا أَظْهَرَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مِنْ كُفْرِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ فِي الْآخِرَةِ؛ أَي عَذَّبَهُمْ فَلَا نُورَ لَهُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ عِزٌّ وَجَلٌّ قَدْ جَعَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ نُورًا فِي الْآخِرَةِ، وَسَلَبَ الْكَافِرِينَ ذَلِكَ النُّورَ»¹.

والفعل ذهب هو فعل متعدٍ بحرف الجر، والباء هي حرف التعدي والتقدير (أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ) أما (تَرَكَهُمْ)، فهو متعدٍ لمفعولين وليس معناه أهملهم، بل المعنى صَيَّرَهُمْ²؛ أي صَيَّرَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ.

وفي ذلك أي في عَطْفِ الْجُمْلَةِ (تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) عَلَى الْجُمْلَةِ (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) تَأْكِيدٌ حَالَةَ الظُّلْمَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الْكَافِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) تَدلُّ عَلَى مَعْنَى الظُّلْمَةِ، وَكَذَلِكَ (تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ).

وقد وصل الخطاب القرآني بين الجملتين، فالأولى جملة جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب، والثانية معطوفة عليها بالواو، وإنما جاز الوصل لأنَّ الجملتين اتحدتا في النوع والمعنى³، فهما جملتان خبريتان تدلان على الظلمة، وفي هذا زيادة في التوكيد والله أعلم.

¹ - الزَّجَّاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 1. ص: 93.

² - انظر: العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 1. ص: 31.

³ - انظر: السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 182.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن أمثلة هذه الصورة أيضا قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ (آل عمران/146).

فقد عطفت الجمل الفعلية ذات الأفعال الماضية المنفية (مَا وَهَنُوا، مَا ضَعُفُوا، مَا اسْتَكَانُوا) على بعضها.

وإنما نزلت هذه الآية بعد أُحُدٍ، وفيها عتاب من الله والنبى صلى الله عليه وسلم لمن فر¹ وكان العطف بـ(الواو) للجمل الفعلية السابقة الذكر توكيدا على هذا العتاب من الله للمؤمنين إذ عطفت الجملة (مَا ضَعُفُوا) على الجملة (مَا وَهَنُوا) رغم دلالتها على الضعف كما عطفت عليهما الجملة (مَا اسْتَكَانُوا)، وفي نفي الاستكانة نفي للضعف أيضا، وهذه المعاني تدلّ على قوة هؤلاء الناس، وفيه مقارنة بينهم وبين الفارين يوم أُحُدٍ، وفي ذلك عتاب كبير، والله أعلم.

الصورة الثانية: عطف جملة فعلية فعلها مضارع على جملة فعلية فعلها مضارع:

رصدنا هذه الصورة في الربع الأول في ست وعشرين ومائة (126) آية، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (آل عمران/26).

ففي هذه الآية عطفت الجمل (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) (تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ)، (تُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ)، (تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ)، والفعل فيها مضارع دال على معنى التجدد؛ أي أنّ هذه الأفعال ملازمة لله متجددة بل هي من صفاته سبحانه، كما أنّه سبحانه وتعالى عطف كل لفظ على ضده من باب الطباق توكيدا للمعنى، وزيادة في وضوحه، وفيه دلالة على القدرة والقوة.

والجملة المعطوف عليها (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) يجوز أن تكون حالا من المنادى ويجوز أن تكون خبر مبتدأ مضمرة، أي أنت تؤتي، فتكون الجملة اسمية، وحينئذ يجوز أن

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 3. ص: 77.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

تكون مستأنفة وأن تكون حالية¹، وبذلك فالجمل المعطوفة إما أنه لا محل لها من الإعراب أو أنها في محل نصب، والله أعلم.

كما أن هذه الجمل جاءت متضادة (تؤتي وتنزع) (تعزّ وتدلّ) وهذا موضع من مواضع عطف الجمل بـ (الواو)، « فشرط العطف بالواو أن يكونَ بينَ الجملتين جامعٌ كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتبُ. وكالمضادة في نحو: يضحك ويبكي. وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة لأنّ الذهن يتصوّر أحدَ الضدين عند تصوّر الآخر، فالعلم يخطرُ على البال عند ذكر الجهل² ».

ولو عدنا إلى هذه الآية الكريمة لوجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى بقوله: (مَالِكِ الْمَلِكِ) يلخص جميع معاني هذه الجمل المعطوفة، فكان هذا العطف من باب الإطناب الذي يؤدي إلى إيضاح المعاني، فقد جاءت هذه الجمل المعطوفة تفصيلاً لقوله: (مالك الملك)، والله أعلم. ومن الجمل الفعلية ذات الفعل المضارع التي عطفت بـ(الواو) أيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾، والملاحظ أنّها وردت في سورة البقرة وحدها سبع (7) مرات جاءت مقترنة بـ (الواو) في ثلاث، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة/ 219) وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ (البقرة/220)، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (البقرة/222).

وجاءت غير مقترنة في الآيات الأربعة المتبقية، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ (البقرة/189)، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة/ 215) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (البقرة/ 217) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (البقرة/ 219).

¹ - انظر: أيمن الشوا. الجامع لإعراب جمل القرآن. مكتبة الغزالي. دمشق - سوريا. ط: 1. 2000. ص: 98.

² - السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 182.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وعلة هذا أنّ الأسئلة التي ارتبطت بـ(الواو) قد وقعت في وقت واحد، فجمع بينها بحرف الجمع، وهو (الواو)، بينما وقعت الأسئلة الأخرى في أوقات متفرقة فلم يستخدم الله عزّ وجلّ (الواو) معها¹، وذلك دلالة على الفصل الزمني بينها، وهذا ما يؤكّد أنّ استخدام (الواو) في عطف الجمل يتطلب دراية بمواضع الوصل والفصل من جهة، وأنّ من وراءه أغراضا تحتاج إلى تأمل، والله أعلم.

النمط الثاني: عطف جملة الشرط على جملة الشرط:

لقد أحصينا هذا النمط من العطف عشر (10) مرات، ومما ورد وفقه قوله تعالى:

﴿ إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (آل عمران/120).

ففي هذه الآية يبرز الله بعض صفات أعداء المسلمين، وعبر عن كلّ صفة بجملة شرط، فقال: (إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ)، (إِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا)، (إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا) لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا).

والمقصود بالحسنة والسيئة الحالة الحسنة والحالة السيئة، وقد ربط الحسنة بقوله: (تَمَسَسَكُمْ)، وربط السيئة بقوله: (تُصِيبَكُمْ) «وقد ذكر الله تعالى المسّ في الحسنة ليبيّن أنّه بأدنى طرودٍ للحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثمّ عادل ذلك في السيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن، لأنّ الشيء المصيب لشيء هو مُتَمَكِّن منه أو فيه»².

وقد أدى استعمال الشرط في التعبير عن المعنى إلى التعبير عن شدّة كره المبغضين للمؤمنين، فإذا توفّر ووقع الشرط وقع الجواب؛ أي إذا مسّت أيّ حسنة المؤمنين ساءهم ذلك

¹ - انظر: أيمن الشوا. الجامع لإعراب جمل القرآن الكريم. ص: 80.

² - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 3. ص45.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا أصابت أي سيئة المؤمنين فرحوا بها، ثم عطفَ الله على هذا جملة شرطية تُبيِّن لهم علاج هذا، وهي قوله: (إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُّضْرُكُمْ كَيْدَهُمْ شَيْئًا).

والذي لاحظناه في هذه الآية هو أنّ جملة الشرط الثانية جاءت ضد الأولى في المعنى وهذا ما أدّى إلى الدلالة على شدة العداوة، فلو أنّ الله قال: (إِنْ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمْ) فقط دون العطف عليها لوجد احتمال أنّ إصابتهم بالسيئة لا تفرحهم، وهذه الدرجة من العداوة والكيد لا تماثل ما عبّر عنه العطف بين جمل الشرط، والله أعلم.

النمط الثالث: عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية:

لقد عطفَ الجملة الاسمية على الاسمية أيضا في الربع الأول، و لكنّ نسبة هذا العطف كانت أقلّ من عطف الفعلية على الفعلية إذ ورد تسعا وستين (69) مرة.

ومن أمثلة هذا العطف قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنِّي فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِرُكُم بِهَا إِنَّا لَمَنذُرُونَ ﴾ (المائدة/22).

ففي هذه الآية عطفَ قوله تعالى: (إِنَّا لَنَنذِرُكُم بِهَا إِنَّا لَمَنذُرُونَ) على قوله: (إِنِّي فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ).

أما المعطوف عليه (إِنِّي فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، فهي جملة اسمية دخل عليها الناسخ (إِنَّ) وهو حرف يؤدي إضافة إلى نسخ حكم المبتدأ إلى توكيد معنى الجملة، كما أنّ الخبر (فيها) تقدّم على الاسم (قوماً)، هذا الأخير الذي نُعتَ بـ (جبارين)، وفي هذه الجملة عبّر بنو إسرائيل عن رفضهم لأوامر موسى عليه السلام وعن سبب ذلك، وأكدوا على إصرارهم باستعمال أداة التوكيد (إِنَّ) كتأكيد على قوة حجبتهم.

أما المعطوف فهو جملة اسمية منسوخة أيضا بالأداة (إِنَّ)، الاسم فيها فهو الضمير المتصل (نا)، وأما الخبر فهو الجملة الفعلية (لَنَنذِرُكُم بِهَا) وفعلها مضارع منصوب بـ (لَنَ) التي تنفي حدوث الفعل في المستقبل، وفي هذا إصرار من بني إسرائيل على رأيهم إذ جعلوا

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

نفهم للدخول يمتد إلى المستقبل، بل ربطوا دخولهم بخروج القوم الجبارين منها، فهم لا يريدون طاعة الله ورسوله، بل يريدون أن يضعوا شروطا للقيام بالطاعة.

فالأية إذن دليل على سوء أدب بني إسرائيل مع الله ورسوله، والدليل على ذلك العطف، فلو أنهم قالوا: (يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)، لَحَمَلَ كَلَامَهُمْ مَحْمَلِ الخوف والجبين، لكن عطفهم لقولهم (وَأِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا)، فهو دليل على إصرارهم على معصية الله ونبيه، والله أعلم.

ومن أمثلة هذا النمط أيضا قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام/18).

وفي هذه الآية الكريمة عطفت الجملة الاسمية (هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) على الجملة الاسمية (هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)، ففي الجملة المعطوف عليها أخبرنا الله سبحانه على قدرته التي لا يضاهيه فيها أحد، أما في الجملة المعطوفة، فقد أخبرنا عن علمه الواسع فكان هذا العطف اجتماعا للقدرة والعلم، « وَلَا جَرَمَ أَنَّ الْإِلَهَ تَجِبُ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِلْمُ وَهُمَا جَمَاعُ صِفَاتِ الْكَمَالِ »¹، فكان هذا العطف تعبيراً عن أنّ الله واحد لا شريك له في القدرة أو العلم أو غيرهما من الصفات، والله أعلم.

النمط الرابع: عطف الجملة الاسمية على الفعلية أو العكس:

لقد أجاز العلماء عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية والعكس، وهذه الصورة لم ترد بنسبة كبيرة في المدونة، فقد رصدنا لها أربعة وعشرين (24) موضعاً.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/27).

¹ - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 7. ص164.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ففي هذه الآية الكريمة عطفت الجملة الفعلية (يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا) على الجملة الاسمية (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ).

والملاحظ في الجملة المعطوف عليها أن لفظ الجلالة (الله) وهو المبتدأ مرتبط بالخبر الذي هو الجملة الفعلية (يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)، إذ الفاعل في يريد هو ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة، وهذا يؤدي إلى تخصيص الدلالة؛ أي أن الله وحده هو من يريد أن يتوب عليكم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ورد خبر هذه الجملة الاسمية جملة فعلية فعلها مضارع (يريد)، وهذا جعلها تحمل معنى التجدد، وهذا يدل على أن باب التوبة مفتوح من الله أمام عباده دائماً، فهو يريد أن يتوب عليهم.

وفي المقابل (يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا)، فكان العطف بجملة فعلية فعلها مضارع للدلالة على تجدد العداوة بين المؤمنين والعاصين إلى قيام الساعة، وإنما لم يُعطف على الجملة الاسمية بجملة اسمية؛ أي لم يقل: (والذين يتبعون الشهوات يريدون) لأنه لا إرادة لهم دون أن يريد الله، فلا يمكن أن نخصهم بإرادة الشر للمؤمنين، والله أعلم.

هذا بالنسبة لعطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، أما عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، فمثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام/56).

ففي هذه الآية الكريمة عطف قوله تعالى: (مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)، وهو جملة اسمية منفية بـ (مَا) النافية على الجملة الفعلية (قَدْ ضَلَلْتُ) وهي جملة جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب.

وفي هذه الآية الكريمة يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يتبع أهواء القوم الضالين؛ لأنه لو اتبعهم لكان من الضالين، وهذا ما بيّنه قوله: (قَدْ ضَلَلْتُ)، فاستعمل أداة

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

التوكيد (قد) للتوكيد على أن كل من يتبع أهواء هؤلاء القوم، فهو في الضلال، ثم عطف على هذا قوله: (مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) ليوكد هذا المعنى، وفي انتقاله من الجملة الفعلية الدالة على التجدد إلى الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرارية زيادة في التوكيد على هذا المعنى، والله أعلم.

2/عطف الجملة الإنشائية على الجملة الإنشائية:

لقد أجمع علماء النحو والبلاغة على أنه كما يجوز عطف الخبر على الخبر، فإنه يجوز عطف الإنشاء على الإنشاء أيضاً، ولا يشترط في هذا العطف أن تتحد الجملتان من حيث النوع، فتعطف الإنشائية الطلبية على الإنشائية الطلبية كما تعطف على غير الطلبية، ويعطف الأمر على الأمر كما يعطف الأمر على النهي¹.

وورد هذا النوع من العطف بنسب أقل من عطف الخبر على الخبر، إذ رصدناه في خمس وثلاثين ومائة (135) آية، وقد وذلك وفق هذه الأنماط:

النمط الأول: عطف الأمر على الأمر:

وقد ورد هذا النمط في الربع الأول في ثمان وسبعين (78) آية، ومنها قوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (البقرة/40).

والملاحظ أن هذه الآية هي خطاب لبني إسرائيل، وقد بدأها الله بنداء للفت الانتباه إلى ما بعده من كلام، ثم أتبع هذا النداء بمجموعة من الأوامر (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)، (أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ) (إِيَّايَ فَارْهَبُونِ)، وقد عطفت جميعاً بـ(الواو).

أما الأمر الأول ففيه تذكير من الله لبني إسرائيل بنعمه الكثيرة عليهم، وأما الأمر الثاني أي قوله: (أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ)، فمعناه «أوفوا بعهدي بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم

¹ - انظر : عبد السلام محمد هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ص: 118.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

بحسن الإثابة»¹، فكانت الطاعة والإيمان شرطا لحسن الإثابة، هذا وبعد أن بيَّن الله لبني إسرائيل طريق الثواب خوَّفهم من عقابه، فقال: (إِيَّايَ فَارْهَبُونَ)، وهنا كان المعطوف محذوفا لأنَّ أصل الكلام (وارهبوا إِيَّاي).

فإن قيل إنَّ (إِيَّاي) تعود على الفعل (ارْهَبُونَ)، فالجواب أنَّ أصل (ارْهَبُونَ) «ارْهَبُونَ» وقد حذفت الياء لأنَّها فاصلة، ومعنى فاصلة رأس آية ليكون النَّظْم على لفظ متسق، ويُسمى أهل اللغة رؤوس الآي الفواصل وأواخر الأبيات القوافي...، فكان (إِيَّاي) بذلك منصوبا بفعل أمر محذوف يفسره الأمر المذكور؛ أي (ارْهَبُوا إِيَّايَ فَارْهَبُونَ)، ولا يعمل فيه المذكور لأنَّه استوفى مفعوله وهو الياء»².

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنَّ تقدّم الضمير المنفصل (إِيَّاي) على الفعل (ارْهَبُونَ) الذي يفسّر الفعل المحذوف أدّى إلى تخصيص الدلالة في كون الرهبة والخشية والخوف لا تكون إلا من الله.

ومجمل القول في هذه الآية أنَّ الخطاب القرآني بدأ بالنداء للفت انتباه بني إسرائيل وللدلالة على أنَّ الكلام موجّه إليهم بشكل خاص، ثمَّ انتقل إلى تذكيرهم بما أنعم عليهم، وفي ذلك وعظ كبير لهم، ثمَّ عطف على هذا الجملة: (أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ)، وجعلها شرطا للثواب ليختم في النهاية بالجملة: (إِيَّايَ فَارْهَبُونَ)، وفيها ما فيها من معاني الإنذار.

وكأننا إذا تتبعنا هذه الجمل الإنشائية سنجدها تخاطب كلَّ الفئات، فالأولى تخاطب الغافل الذي يحتاج إلى تفكير كي يعود، والثانية تخاطب من يريد الثواب، والثالثة تخاطب من نسي عقاب الله، وبهذا فقد استهدفت الآية كلَّ أفراد بني إسرائيل، والله أعلم.

¹ - الألويسي. روح المعاني. ج : 1 . ص:242.

² - الزَّجَّاج. معاني القرآن وإعرابه. ج: 1. ص: 121.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ولم يرد الأمر بفعل الأمر فقط بل ورد أيضا بالفعل المضارع المجزوم بلام الأمر ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء/9).

وتجدر الإشارة هنا أنه لا فرق بين استعمال فعل الأمر والمضارع المجزوم بلام الأمر من ناحية الدلالة على الطلب¹.

وإنما الفرق بينهما من الناحية النحوية، فإننا نستعمل الأمر في مواضع، ونستعمل الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر في مواضع أخرى، وذلك حسب نوع الفعل، فهو إما مبني للمعلوم (فعل الفاعل)، أو مبني للمجهول (فعل المفعول)، كما يتوقف ذلك أيضا على نوع الفاعل أو نائب الفاعل (متكلم، أو مخاطب، أو غائب).

وقد فصل المرادي في هذا، فقال: «اعلم أن فاعل المفعول لا طريق للأمر فيه، إلا باللام سواء أكان للمتكلم، نحو: لَأَعْنُ بِحَاجَتِكَ أَمْ لِلْمَخَاطَبِ، نحو: لَتُعْنُ بِحَاجَتِي، أم للغائب نحو: لِيُعْنَ زَيْدٌ بِالْأَمْرِ.

أما فعل الفاعل فإن كان للغائب، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق/07) أو متكلم مفرد، نحو قوله في الحديث: «قَوْمُوا فَلَأُصَلِّ لَكُمْ»²، أو مشارك، نحو: ﴿وَلَنَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ﴾ (العنكبوت/12) فكذلك»³.

فهذه هي الحالات التي تستعمل فيها لام الأمر عند الطلب، وهي مع الفعل المبني للمجهول في جميع أحواله، ومع الفعل المبني للمعلوم إذا كان الفاعل غائبا أو متكلما دالا على المفرد أو متكلما دالا على الجمع.

¹ - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب في كتب الأعراب. ج : 1. ص: 223.

² - أخرجه البخاري (ت 256هـ) في صحيحه في كتاب الصلاة. دار ابن كثير. دمشق - بيروت. ط: 1. 2002. ص: 106.

³ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 110-111.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

أما الحالة الأخيرة المتبقية فهي أن يكون الفعل مبنيًا للمعلوم ويكون الفاعل دالا على المخاطَب، ففي هذه الحالة يكون الطلب بفعل الأمر غالبا، أما استعمال لام الأمر، فهو قليل¹. وبالعودة إلى الآية الكريمة سنجد الله سبحانه وتعالى استعمل الأمر فيها في مواضع هي قوله (وَلْيَخْشَ)، (فَلْيَتَّقُوا)، (وَلْيَقُولُوا)، وقد وردت في سياق الحديث عن أموال اليتامى وضرورة الحفاظ عليها وعدم أكلها بالباطل.

فبعد أن أمر الله بالحفاظ عليها وحذر من الاستلاء عليها جاءت هذه الآية كما قال الزمخشري في الكشف خطابا للأوصياء بأن يخشوا الله فيحافظوا على أموال اليتامى خشية أن يصيب أولادهم ما أصاب اليتامى، وقيل معناها أن يخشى الأوصياء على اليتامى من الضياع، وقيل معناها أن يخشى من يخوف المريض، فيقول: إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك².

ومهما يكن المعنى، فقد دعا الله وأمر بعدما حذر في قوله: (وَلْيَخْشَ)، أمر بالتقوى فقال: (فَلْيَتَّقُوا) وفي الأمر بتقوى الله توكيد الابتعاد عما حرم، ثم عطف على هذا الأمر قوله تعالى: (وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)، أي «فليتقوا الله في أموال الناس وليحسنوا إليهم القول»³ وفي هذا إحسان لا مثيل له وارتقاء بالجانب الاجتماعي للمؤمن، لأن الوصي قد يحافظ على المال لكنه لا يحسن القول، والله أعلم.

وبهذه الآية نجد أن الأمر عطف على الأمر في الرَّبْع الأوَّل من الذكر الحكيم، وقد تنوعت صيغته بين فعل الأمر، والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، والله أعلم.

¹ - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 234 .

² - انظر: الزمخشري. الكشف. ج: 2. ص: 29-30.

³ - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 4. ص: 253.

النمط الثاني: عطف النهي على النهي:

رصدنا هذا النمط من عطف الإنشاء على الإنشاء، إحدى عشرة (11) مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ (البقرة/286).

والشاهد في هذه الآية عطف النهي (لَا تَحْمِلْ) على (لَا تُؤَاخِذْنَا)، وعطف النهي (وَلَا تُحَمِّلْنَا) على (لَا تَحْمِلْ) والغرض¹ من النهي في هذه الآية هو الدعاء.

وإذا عدنا إلى هذه الآية سنجد الله يورد دعاء المؤمنين بداية بالمغفرة والتوبة على ما يقع منهم من أخطاء أو نسيان في قوله: (لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) ليعطف عليه الدعاء بعدم تحمل الإصر، وهو «العهد والميثاق المؤكّد في مَا يَصْعَبُ الْوَفَاءُ بِهِ»²، ثمّ عطف عليه الدعاء بأن لا يحملهم الله ما لا طاقة لهم به، وهذا المعنى قريب من المعنى المعطوف عليه وفي هذا العطف تأكيد من المؤمنين في دعائهم تخفيف الله عنهم ورحمته لهم، والله أعلم. ولعلّ الملاحظة التي شدّت انتباهنا هي أنّ الخطاب القرآني قد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالنداء، أي بقوله (رَبَّنَا) تنبيهاً إلى أنّ المسلم لا بد أن يتذكر عند دعائه أنّه يسأل الله، ويرجو من الله، وأنّ أمره كلّه لله، والله أعلم.

¹ - قد تدلّ صيغ الإنشاء على معناها الحقيقي، وقد تخرج عن أصل معناها إلى معانٍ أخرى، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال كالدعاء، والالتماس، والإرشاد. انظر: السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص: 77.

² - الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. ج: 3. ص: 140.

النمط الثالث: عطف الأمر على النهي أو العكس:

مما أجازته علماء اللغة عطف الأمر على النهي، وجاء هذا النمط من العطف في خمسة وأربعين (45) موضعا من الربع الأول من القرآن الكريم، وقد لاحظنا أن أكثر ما ورد منه عطف الفعل على ضده.

وقد قال الجرجاني في مثل هذا النوع من العطف: « أنك لو قلت: (هو يضر وينفع) كنت قد أفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعا، وجعلته يفعلهما معا، ولو قلت: (يضر ينفع) من غير (الواو) لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك (ينفع) رجوعا عن قولك (يضر) وإبطالا له»¹.

ومن أمثلة ورود هذه الصورة قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاكْفَرُوا عَنِ الْعَدْوَانِ وَالتَّقْوَىٰ وَالْعَدْوَانِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/02).

وقد جاءت هذه الآية بعدما نهى الله سبحانه وتعالى عن الاعتداء، فجمع بين الأمر بالتعاون على البرِّ والتقوى والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان، فعطف جملة النهي (لا تعاونا) على جملة الأمر (تعاونا).

ومن لطائف هذا العطف أن الله سبحانه وتعالى أورد هذا العطف؛ لأن: «النهي عن الاعتداء لا يلزم التعاون على الخير، لأنَّ بينهما واسطة، وهي الخلو من الاعتداء والتعاون»²، فكان هذا العطف تأكيدا أن المسلم لا يكتفي بعدم الاعتداء فقط، بل يقوم بالخير ويتعاون على البرِّ، ولا يتعاون على الإثم إلى جانب ذلك، فكان العطف بـ(الواو) بين هذه الأمور جميعا دليل على أنها تجتمع في المسلم، والله أعلم.

¹ - الجرجاني . دلائل الإعجاز . ص : 154 .

² - أبو حيان الأندلسي . البحر المحيط . ج:3 . ص:437 .

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن هذا العطف أيضا قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء/36).

وقد عطف على قوله: (اعْبُدُوا اللَّهَ) قوله: (لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) كنوع من توكيد

وحدانية الله؛ لأنَّ الإنسان قد يعبد الله لكنه يشرك به، والله أعلم.

النمط الرابع: عطف الاستفهام على الاستفهام:

وقد وجدنا أنَّ هذا النمط ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ

وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء/20-21).

ففي هذه الآية عطف الله قوله: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) وهو استفهام أدواته اسم الاستفهام

(كيف) على قوله: (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) وهو أيضا استفهام، وأداته حرف الاستفهام

همزة الاستفهام (أ).

وقد جاء الاستفهام في هذه الآية لغرض الإنكار سواء في الجملة الاستفهامية الأولى

أم الثانية، وفي هذا توكيد إنكار الله سبحانه وتعالى، وتحريمه أخذ الرجال أموال النساء على

كره منهنّ، وفي هذا العطف أيضا تبيان لسوء هذا العمل، والله أعلم.

3/ عطف الخبر على الإنشاء:

لم يُجمع العلماء على جواز هذا النوع من العطف، فقد أقرّه علماء النحو بينما منعه

علماء البيان، فإنَّ وُجِدَ شاهد يثبت هذا سارعوا إلى تأويله¹. هذا بالنسبة للبيانين أما علماء

النحو فهم فنتان، فئة تجيز العطف بين الجملة الخبرية والإنشائية دون شرط أو قيد، وفئة

جعلت الجواز مقترنا بقيود.

أما القيد الذي وضعه بعض علماء النحو ليجوز العطف بين الجملة الخبرية والجملة

الإنشائية، فهو أن يكون العطف بين الجمل التي لها محل من الإعراب، «نحو قولك: زيد

¹ - انظر : ص. 262. من هذا البحث.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

أبوه رجل كريم وما أبخله! فقد عطفت جملة التعجب الإنشائية على جملة (أبوه رجل كريم) الخبرية الواقعة خبراً للمبتدأ قبلها»¹.

والواضح من خلال هذا المثال أنه عطف الإنشاء غير الطلبي (ما أبخله!) وهو تعجب على الخبر (أبوه رجل كريم)، وهو جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وهذا من باب عطف جملة على جملة لها محل من الإعراب، فالمعطوفة أيضاً في محل رفع، ولأنّ الجملتان لهما محل من الإعراب جاز العطف.

وعلة خروج الجمل التي لها محل من الإعراب من الدائرة التي وضعها البيانون لعطف الإنشاء على الخبر أو العكس تكمن في طبيعة الجمل التي لها محل من الإعراب «الجملة التي لها محل من الإعراب في قوة المفرد أي لم تكن النسب بين أجزائها مقصودة بالذات، فلا التفات إذن إلى اختلاف النسبة بين الخبر والإنشاء»²؛ وهذا راجع إلى أنّ الجمل التي لها محل تؤول بمفرد، فيصبح العطف بينها من قبيل عطف المفرد على المفرد، والله أعلم.

ومن عطف الإنشاء على الخبر، قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿ (البقرة/ 24-25).

فقد عطف قوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) على قوله: (أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ).

وإذا كان في هذه القضية خلاف بين العلماء كما أوردنا، فقد ارتأينا البحث عن هذا الشاهد في كتب التفسير علنا نصل إلى نتيجة، فوجدنا أبا حيان في البحر المحيط يجعل الجملة (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...) معطوفة على ما قبلها (أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

¹ - عبد السلام محمد هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. ص: 119.

² - المرجع نفسه. ص: 119-120.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم

وهو يرى أنّ هذه الجملة ليست من قبيل عطف الجملة الإنشائية أو عطف الأمر على الخبر بل هي عطف جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين¹.

وكانّ أبا حيّان هنا علل جواز عطف الخبر على الإنشاء بأنّ تقديره عطف خبر على خبر، وكاننا بهذا نعود إلى ما وضعه العلماء من شروط في عطف الفعل على الاسم أو العكس من وجوب التقدير، فالأصل إذن في عطف الخبر على الإنشاء أو الإنشاء على الخبر انطلاقا من التأويل هو عطف الخبر على الخبر، والله أعلم.

ومن عطف الإنشاء أيضا في الرَّبْعِ الأوَّلِ قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ (النساء/ 46).

ففي هذه الآية الكريمة عطف الإنشاء في قوله: (وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ) وهو إنشاء طلبي جاء بصيغة الأمر على الخبر في قوله: (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) والتقدير: (وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَيَقُولُونَ اسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ)، كما عطف الإنشاء في قوله: (وَاسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا) على قوله: (قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)، والتقدير: (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَقَالُوا اسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا).

وإنما جاز عطف الإنشاء على الخبر في هذه الآية لجواز تأويل الإنشاء، وهذا يجعلنا نصل إلى أنّ الإنشاء عطف على الخبر في الرَّبْعِ الأوَّلِ من القرآن الكريم في آيتين فقط وسبب جواز هذا العطف هو إمكانية تأويل الإنشاء بالخبر، والله أعلم.

¹ - انظر: أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 1. ص: 252.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

2- العطف بـ (الفاء) :

بعدما تناولنا أصل حروف العطف (الواو)، ووقفنا على أنماط العطف بهذا الحرف وصوره، سنقوم بتناول حروف العطف المتبقية، والتي كان استعملها أقل من (الواو)، وسنبداً بدراسة (الفاء).

وإنّ عملية الإحصاء التي قمنا بها على المدونة موضوع الدراسة جعلتنا نقف على استعمال (الفاء) كحرف عطف في ثلاثين ومائة (130) موضع، وقد دلّت (الفاء) فيها على دلالات مختلفة تتناسب مع السياق الذي وردت فيه.

أ/ دلالة (الفاء) على الترتيب والتعقيب:

إذا كانت (الواو) كما أوردنا سابقاً لمطلق الجمع، وهي حرف عطف لا يدلّ على الترتيب على قول جمهور علماء النحو، فإنّ (الفاء) حرف عطف دال على الترتيب والتعقيب.

أما كون الفاء للترتيب، فيجعلها تختلف عن (الواو) التي لا يوجد فيها ما يدلّ على الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه، ويقسم الترتيب بـ(الفاء) عند العلماء إلى نوعين وهذا ما أورده المرادي في الجنى الداني في حروف المعاني، حيث يرى أنّ الترتيب بالفاء إمّا أن يكون ترتيباً في المعنى أو ترتيباً في الذكر (اللفظ).

وقد قال المرادي في تعريف كلّ نوع من أنواع الترتيب بالفاء: «هما ترتيب في المعنى وترتيب في الذكر، والمراد بالترتيب في المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة كقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار/ 7)، وأما الترتيب في الذكر فهو

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى كقولك: تَوْضُأً فغسلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّهُ قَالَ رَبِّ ﴿ (هود/ 45) «¹.

ومن خلال ما جاء في كلام المرادي نصل إلى أنّ المقصود بالترتيب في المعنى كون المعطوف لاحقاً بالمعطوف عليه دون مهلة زمنية، وهذا ما تمثله الآية القرآنية، فالأفعال (خَلَقَ، وَسَوَّى، وَعَدَّلَ) لا يوجد بين وقوعها مهلة زمنية طويلة.

أما المقصود بالترتيب في الذكر فهو عدم وجود مهلة زمنية حقيقية بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما ترتيبها لفظاً أو ذكراً فقط، ومن أمثلة هذا النوع من الترتيب عطف المفصل على المجمل إذا كان لهما نفس المعنى، فقولك: تَوْضُأً هو مجمل عطف عليه المفصل: (غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ)، والعطف بـ(الفاء) هنا هو عطف في الذكر، إذ لا يوجد فاصل زمني بين المعطوف والمعطوف عليه.

هذا بالنسبة لمعنى الترتيب، أما معنى التعقيب، فهو أن تكون الفاء دالة على الترتيب بالمعنى، أي أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه مهلة زمنية كما أوردنا سابقاً، وهنا يطرح التساؤل والإشكال: ما هي المدة الزمنية التي تدلّ على التعقيب؟، وهل نقصد به أن المعطوف يقع بعد المعطوف عليه مباشرة دون مهلة طويلة أم للتعقيب معنى آخر؟.

والإجابة عن هذا التساؤل هو ما قاله ابن هشام، إذ أورد: «أنّ التعقيب في كلّ شيء بحسبه، ألا ترى أنه يقال: تَزَوَّجَ فُلَانٌ فَوَلِدَهُ لَهْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهَا إِلَّا مَدَّةَ الْحَمْلِ، وَإِنْ كَانَتْ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَدَخَلَتْ الْبَصْرَةَ فَبَغْدَادَ، إِذَا لَمْ يُقَمْ فِي الْبَصْرَةِ وَلَا بَيْنَ الْبَلَدَيْنِ»²

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 63-64.

² - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 162.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

فالتعقيب بـ(الفاء) انطلاقاً من هذا الكلام لا يعني مدّة زمنية محددة، بل يتغير بحسب طبيعة المعطوف والمعطوف عليه، ففي الشاهد الأوَّل مثلاً كان المعطوف فيه هو (وُلِدَ لَهَا) والمعطوف عليه (تَزَوَّجَ) وطبيعة الولادة تستوجب حملاً مدته تسعة أشهر، ورغم طولها إلا أنّها تتناسب مع المعطوف، وتدلّ على التعقيب؛ لأنّ الولادة كانت مباشرة بعد الزواج أي أنّها استغرقت مدتها الطبيعية فقط دون زيادة؛ أي تسعة أشهر.

والأمر نفسه بالنسبة للشاهد الثاني، فقائل هذه الجملة إنّما يقصد أنّه لم يقيم بالبصرة، بل انتقل مباشرة إلى بغداد، فكانت مدّة التعقيب هنا هي مدّة السفر بين مدينتي البصرة وبغداد دون إقامة بالبصرة، وإن بدت مدّة السفر طويلة.

وإذا عدنا إلى آيات الرَّبْعِ الأوَّل من الذكر الحكيم، فإنّ الملاحظة الأولى التي تستوقفنا هي أنّ أكثر استعمالات (الفاء) كانت في سياق القصص القرآني، ونضرب لذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/37).

ومن المواضع التي ذكرت فيها (الفاء) في سياق القصص القرآني أيضاً:

(البقرة/60، 71)، (آل عمران/11)، (المائدة/27)، (المائدة/31).

و(الفاء) في جميع هذه المواضع تدلّ على الترتيب والتعقيب إضافة إلى دلالتها على التبعية الإعرابية.

وللوقوف عند استعمال (الفاء) في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم سنقف عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (36) ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/36-37).

فـ(الفاء) في الآية الكريمة استعملت للدلالة على الترتيب، فعطفت الفعل (تَلَقَّى) على الفعل (قُلْنَا) والفعل (تَابَ) على الفعل (تَلَقَّى)، وكلّها أفعال ماضية؛ أي أنّ تلقي الكلمات من

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

آدم كان بعد الأكل من الشجرة، وأنّ التوبة من الله كانت بعد تلقي الكلمات كما أنّها تدلّ على أنّ هذه الأفعال جاءت في تعاقب دون مدّة زمنية طويلة، فرغم أنّ آدم قد عصى وأذنب إلا أنّه سارع في التوبة، فكانت التوبة من الله عليه سريعة أيضا، وهذه بشرى لكلّ امرئ مذنب بسرعة التوبة من الله والمغفرة إذا عاد وتاب، والله أعلم.

ب/ دلالة (الفاء) على معنى السببية:

كبقية حروف العطف فإنّ (الفاء) تعطف المفرد على المفرد كما تعطف الجملة على الجملة، ولكلّ نوع ما يميّزه عن الآخر، «فإذا عطفت مفردا غير صفة لم تدلّ على السببية نحو: قام زيدٌ فعمرو، وإن عطفت جملة أو صفة دلّت على السببية غالبا، نحو قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص / 15)»¹.

وبهذا يضاف إلى (الفاء) مع معنى الترتيب والتعقيب معنى السببية، وهذا المعنى أكثر ما يرتبط بـ(الفاء) إذا عطف بها جملة على جملة، كما وضّح في الآية القرآنية، فجملة (وَكَّرَهُ مُوسَى) المعطوف عليها جملة (قَضَى عَلَيْهِ) هي سبب وقوعها.

ورغم أنّ عطف الجمل بـ(الفاء) يدلّ على السببية غالبا، فإنّ (الفاء) قد يعطف بها جملة على جملة دون الدلالة على السببية، وفي هذه الحالة قال ابن هشام إنّها لمجرد الترتيب نحو: قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ (الذاريات / 26-27)»².

والملاحظ في الآية الكريمة أنّ جملة (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ) ليست سببا لجملة (جَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ)، وجملة (جَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ) ليست سببا لجملة (قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ) رغم أنّها عطفت بـ(الفاء)، وإنّما دلّت (الفاء) في عطفها على ترتيب أحداث القصة فقط.

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 64-65.

² - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 163.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

وقد استعملت (الفاء) للدلالة على السببية في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام/108).
ففي هذه الآية عُطِفَت الجُمْلَةُ (يَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) على الجُمْلَةِ (لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)، وهذا ما أدَّى إلى عَطْفِ الفِعْلِ (يَسُبُّوا)، على الفِعْلِ (لَا تَسُبُّوا)، فهو مجزوم مثله، والتقدير (لا تسبوا آلهتهم فیسبوا الله)، فيكون عدم سبهم لآلهة الكفار سببا في عدم سبِّ الله، وهذا وجه لإعراب هذه الآية.

وقد انقسم العلماء إلى قسمين قسم مال إلى أن الفعل منصوب، وقسم مال إلى العطف على المجزوم، «ف قيل (فیسبُّوا) منصوب على جواب النهي، وقيل هو مجزوم على العطف»¹
وأما كون (الفاء) للعطف، فقد بيَّنا ذلك سابقا، وأما كونها فاءً سببية تنصب الفعل المضارع بأنَّ المضمرة بعدها، فهذا وجه آخر، ويصبح التقدير: (لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسب الكافرون الله)، فيكون سبِّ الذين يدعون من دون الله سببا في سبِّ الله، ومهما يكن إعراب (الفاء)، فإنَّها تحمل معنى السببية، والله أعلم.

ج/ استعمال (الفاء) في العطف بين الصفات:

هذا إذا تعلَّق الأمر بعطف الجملة على الجملة بـ (الفاء)، فإنَّ عُطِفَ بها مفرد على مفرد، ففيه حالتان، الحالة الأولى أن يكون المفرد غير صفة، والحالة الثانية أن يكون صفة أما إذا كان المفرد غير صفة، فالغالب كما أوردنا ألاَّ تدلَّ على معنى السببية، وإنَّما تدلَّ على الترتيب والتعقيب، أما إذا عطفَت الصفات بـ(الفاء)، فإنَّ العطف يكون «لترتيب معانيها في الوجود كقوله:

يَا لَهْفَ زِيَابَةَ لِلْحَارِثِ الـ صَابِح، فَالْغَانِمِ، فَالْأَيْبِ

¹ - العكبري. التبيان في إعراب القرآن. ج: 1. ص 353.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

أي الذي صبحَ فغنم فأب، وإمّا على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك: خذ الأكملَ فالأفضلَ، واعملَ الأحسنَ فالأجملَ، وإمّا على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقولك: رحمَ اللهَ المحلّقينَ فالمقصرين¹.

وخلصه القول في هذا إنّ الصفات إذا عطفت بـ (الفاء)، فإمّا للدلالة على ترتيبها في الوجود كما جاء في الشاهد الأول، فالإنسان يُصبحُ فيغنمُ فيؤوبُ، هذا بالنسبة للدلالة الأولى أمّا الدلالة الثانية فهي ترتيب هذه الصفات حسب التفاوت، فنبدأ بالأحسن والأكثر تفضلاً أي الأكمل فالأفضل فالأحسن فالأجمل، أما الدلالة الثالثة لعطف الصفات بالفاء، فهي ترتيب موصوفها ومنعوتها؛ أي أنّ الصفات ترتب هنا حسب مكانة منعوتها؛ أي من اتصف بها. وفي الختام وبعد هذا العرض للمعاني التي تدلّ عليها (الفاء) يمكن أن نقول إنّ (الفاء) ترد للترتيب والتعقيب كما ترد للسببية أو لترتيب الصفات سواء حسب الوجود أو التفاوت أو موصوفها، والله أعلم.

د/ استعمال (الفاء) في موضع حروف عطف أخرى:

من أحكام (الفاء) التي أشار إليها النحويون في كتبهم أنّها قد تستعمل مكان بعض أحرف العطف كـ(ثمّ) و(الواو)، أمّا كون الفاء واقعة موقع (ثمّ)، فمثاله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ (المؤمنون/14)، والذي دلّ هنا أنّ (الفاء) استعملت مكان (ثمّ) هو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ (الحج / 5)².

¹ المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص:65.

² - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 162.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ولعلّ هذا الرأي، أي كون (الفاء) واقعة في هذه الآية موقع (ثمّ)، يعود بنا إلى ما أوردناه من أنّ معنى التعقيب لا يعني عدم وجود مدّة زمنية بين المعطوف والمعطوف عليه بل يختلف الزمن حسب طبيعة كلّ واحد منهما.

ولو أنّ (الفاء) استعملت في الآية الكريمة من سورة المؤمنين فقط لذهبنا أنّ (الفاء) لا تقع موقع (ثمّ)، لكنّ استعمالها في الآية الكريمة من سورة الحج للعطف بين المتعاطفين نفسها دلّ أنّ وقوع (الفاء) موقع (ثمّ) أمر مثبت وفيه دلالة انتفاء معنى التعقيب على (الفاء) في هذه الحالة، والله أعلم.

وإضافة إلى هذا فإنّ من خصائص (الفاء) أن تستعمل في موضع (الواو)، وهذا «ما قال به الجرمي (ت225هـ-)، وذلك في الأماكن والمطر خاصة، كقولهم: عفاً مكان كذا فمكان كذا، وإن كان عفاؤها في وقت واحد، ونزل المطرُ بمكان كذا فكان كذا، وإن كان في وقت واحد، قال امرؤ القيس: "بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ"¹.

والواضح من خلال هذا الشاهد المأخوذ من معلقة امرئ القيس، أنّه قد استعمل (الفاء) في موضع (الواو)، فالأصل عند استخدام ظرف المكان (بين) أن تستعمل (الواو)، فنقول (جلست بين عمر وعلي) لا أن تستعمل (الفاء)، لكنّ امرؤ القيس استعملها في الشاهد، وهذا ما جعل الجرمي يذهب إلى أنّ (الفاء) قد تستعمل في موضع (الواو).

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص:63. والبيت من معلقته، وهو:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ.

ومعنى سقط اللوى: منقطع الرمل، ومعنى الدخول فحومل: قيل موضعان في شرقي اليمامة. انظر: شرح ديوان امرئ القيس. ص: 164.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإذا كان المرادي يذهب من خلال بيت امرئ القيس إلى أنّ (الفاء) تستعمل في موضع (الواو)، فقد أورد ابن هشام أنّ التقدير في هذا البيت الشعري: بين مواضع الدخول فمواضع حَوَمَل¹.

وفي الأخير وبعد ما تمّ عرضه ومناقشته من آراء نحوية حول (الفاء) نصل إلى أنّ (الفاء) تستعمل للدلالة على الترتيب والتعقيب في عطف المفرد، أما إذا كانت لعطف الجمل فإنّها تدلّ على معنى السببية، كما أنّها قد تستعمل في موضع (ثمّ) و(الواو)، وقد وجدنا أنّ أكثر سياق ارتبطت به هو القصص القرآني، والله أعلم.

3- العطف بـ (ثمّ):

لقد استعمل الله سبحانه وتعالى (ثمّ) في الربع الأول من كتابه العزيز في سياقات مختلفة، وقد أحصيناها في تسعة وسبعين (79) موضعا.

و(ثمّ) من حروف العطف المتفق عليها كما أوردنا، وقبل أن نبدأ في سرد معانيها واستعمالاتها لا بد أن نشير بداية إلى ما فيها من لغات، فهي «أربع لغات (ثمّ) وهي الأصل، وفمّ بإبدال الناء فاءً، وثمّت بقاء التانيث الساكنة، وثمّت بقاء التانيث المتحركة»².

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه إذا كانت (الفاء) ترد للترتيب والتعقيب، فإنّ (ثمّ) حرف يرد للترتيب والتراخي، وقد جمع السيوطي المعاني التي ترد عليها (ثمّ) فقال: «(ثمّ) حرف يقتضي ثلاثة أمور التشريك في الحكم والترتيب والمهلة»³.

¹ - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 162.

² - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 432.

³ - السيوطي، الإتقان في القرآن. ج: 3. ص: 189.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

فأما التشريك أو العطف، فهو نتيجة من نتائج كون (ثمّ) للعطف، وهذا يُوجب أن يتبع المعطوف المعطوفَ عليه في الإعراب، لكنّ الكوفيين أسقطوا هذا الحكم، وذهبوا إلى أنّ (ثمّ) قد ترد زائدة؛ أي أنها قد تكون غير عاطفة.

ومذهب الكوفيين في هذه المسألة: أنّ (ثمّ) « تقع زائدة، فلا تكون عاطفة البتة وحملوا على ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة / 118)، جعلوا (تاب عليهم) هي الجواب و(ثمّ) زائدة»¹.

وسبب وقوع (ثمّ) في هذه الآية زائدة هو أنّ جملة جواب الشرط لا تقترب بها والواضح أنّه، وإن كانت الآية تدلّ على أنها وردت زائدة فيها، فإنّ الأصل فيها أن تكون حرف عطف، والله أعلم.

هذا بالنسبة للعطف أو التشريك في الحكم الإعرابي، أما كونها للترتيب والمهلة، فمعناه أنّ (ثمّ) للترتيب والتراخي، فإذا قيل: جاء زيدٌ ثمّ أحمدٌ، فمعناه أنّ مجيء أحمد وقع بعد مجيء زيد بمدّة زمنية، وهنا يتّضح الفرق بين (الفاء) و(ثمّ).

فرغم أنّهما للترتيب فإنّ (ثمّ) للتراخي؛ أي أنّ بين المعطوف والمعطوف عليه مهلة زمنية، بينما (الفاء) للتعقيب هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ (ثمّ) إذا قورنت بـ(الواو) فيتّضح أنّ الأولى للترتيب، وأمّا (الواو) فلا تدلّ عليه.

وإذا كان العلماء في وضع معاني الحروف واستعمالاتها يتحرون الدقّة في تمييز كلّ حرف بتبيان ما يختصّ به، فإنّ الاستعمال الفعلي قد يجعل المتكلم يستعمل حرفاً دون الآخر وهذا ما جعل علماء اللغة يشيرون إلى أنّ (ثمّ) قد تستعمل في موضع بعض الحروف.

ورغم أنّ (ثمّ) كما وضحنا دالة على الترتيب، فإنّ بعض علماء اللغة قد انطلقوا «من قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (الزمر/6)، فمعلوم أنّ جعل

¹ - الصبّان. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ج: 3. ص: 141.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

زوج آدم منه كان قبل خلقنا، ومن قوله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف/ 11)، ومعلوم أنّ أمر الملائكة بالسجود لآدم إنّما كان قبل خلقنا وتصويرنا، إلى كون (ثمّ) في هذه الآيات بمنزلة (الواو)¹.

ووجه التطابق بين (ثمّ) و(الواو) في هذه الشواهد، أنّ (الواو) كما أوردنا سابقا تعطف السابق على اللاحق، أو تدلّ على عكس الترتيب، وهذا ما دلّت عليه (ثمّ) في الآيتين الكريمتين، فقد عطف قوله تعالى: « جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » على قوله: « خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » رغم أنّ المعطوف أسبق كما بيّنا من المعطوف عليه، فلا ترتيب في هذه الآية، وإنّما جاءت للدلالة على عكس الترتيب، وكذلك الأمر في الشاهد الثاني، فالسجود لآدم كان قبل الخلق، ورغم هذا فقد عطف السجود على الخلق، وهذا يعني أنّها في الشاهدين لا تدلّ على الترتيب.

وللوقوف عند حقيقة هذه الدلالة عدنا إلى بعض كتب التفسير وإعراب القرآن، وقد وقفنا على رفض الزجاج بشكل واضح كون (ثمّ) بمنزلة (الواو) سواء في الآية من سورة الزمر أو الآية من سورة الأعراف، بل قام بتفسير كلّ واحدة منهما بما يناسب معنى (ثمّ) أي الدلالة على الترتيب والتراخي.

أما العطف بـ (ثمّ) في آية سورة الزمر، فهو عنده على تقدير "خَلَقَهَا وَاحِدَةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا"، وفي هذا دلالة على أنّ (ثمّ) هنا دالة على الترتيب، أمّا الآية من سورة الأعراف، فالتقدير فيها "إِنَّا بَدَأْنَا خَلْقَ آدَمَ ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ"، وهذا هو أصل خلق الإنسان².

¹ - ابن عصفور . شرح جمل الزجاجي . ج: 1. ص: 231.

² - انظر: الزجاج . معاني القرآن وإعرابه . ج: 2. ص: 322، وج: 4. ص: 345.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وفي الأخير وانطلاقاً مما وقفنا عليه من آراء، ومما أوردنا من رأي الزجاج حول معاني (ثم) وعلاقتها بـ(الواو)، فإنّ الرأي عندنا أنّ (ثم) إنّما تكون للعطف والترتيب والتراخي، وأنها لا تقع ولا تكون بمنزلة (الواو)، لما في ذلك من نزع لخصوصية كلّ حرف من حروف العطف، فلو أجزنا هذا لأقررنا كلاماً كقولنا: (تنازع علي ثم عمر)، وهذا لا يستقيم، وهذا ولا شك سيؤدي إلى تداخل في استعمال حروف العطف، مما يجعل معاني التراكيب محتملة عدّة معان، والله أعلم.

أما بالنسبة لورود (ثم) في الربع الأول من الذكر الحكيم، فقد وجدناها ترد بكثرة في القصص القرآني، ومثاله قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ (البقرة/31)، وقوله: ﴿ وَاقْتَدِرْ الْجُرُودَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (البقرة/25)، ﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِزِينَ أَن تَقُولُوا إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ لَخَالِقُونَ ﴾ (البقرة/129)، ﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِزِينَ أَن تَقُولُوا إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ لَخَالِقُونَ ﴾ (البقرة/129)، ﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِزِينَ أَن تَقُولُوا إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ لَخَالِقُونَ ﴾ (البقرة/129)، ﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاوِزِينَ أَن تَقُولُوا إِنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ الْمَوْلَىٰ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا وَإِنَّا بِمَا عَمِلْتُمْ لَخَالِقُونَ ﴾ (البقرة/129).

ففي هذه الآيات عطف (ثم) جملاً فعلية على جمل فعلية لترتيب الأحداث في القصص القرآني (جاءكم، ثم اتخذتم)، (خلقه، ثم قال)، (خلقكم، ثم قضى)، كما أنّها عطفت جملاً اسمية على جمل اسمية (هو الذي خلقكم من طين...، أنتم تمترون).

وقد اخترنا للوقوف عند استعمال (ثم) في الربع الأول من القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

الْعِظَامَ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا¹ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة/259﴾.

فقد عطف (ثم) في هذه الآية الفعل الماضي (بعث) على الفعل الماضي (أمات)، وهما من الزمن نفسه، فكلاهما فعل ماض مبني على الفتح، وقد دلت على الترتيب؛ لأن الموت يكون قبل البعث كما أن بين المعطوف والمعطوف عليه مهلة زمنية، وهي مائة عام، وهذا دال على معنى التراخي.

كما أنه عطف الفعل (نكسوها) على الفعل (ننشزها)، وقد أورد أبو حيان في تفسير هذه الآية أنه «رُوي أنه كان يشاهد اللحم والعصب والعروق كيف تلتئم وتتواصل»²، فكان العطف بـ (ثم) بين الفعلين، وهما فعلا ماضاران يدلان على التجدد دالا على أن كل هذه المعجزات كانت أمامه وبالتفصيل، وهذا أدعى للإعجاز من قوله: (فَنَكْسُوها) لما تحمله (الفاء) من معنى التعقيب.

فبالرغم من أن الخطاب القرآني قادر على التعقيب في هذه الأفعال إلا أنه استعمل (ثم) للدلالة على التراخي، وللتعبير عن أن الآيات كانت أمامه بالتفصيل، وفي هذا زيادة في اليقين؛ لأن مشاهدة الإنسان لكل آية بشكل مفصل أدعى لليقين، والتأكد من قدرة الله العظيمة التي لا تضاهيها قدرة، والله أعلم.

¹ - قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة و الكسائي وخلف بالزاي (نُنَشِّرُها)، وهو الارتفاع؛ أي يرتفع بعضها على بعض للتركيب، ووافقهم الأعمش، وقرأ الباقون بالراء المهملة من (نَشَرَ الله الموتى) أحياءهم، انظر: أحمد بن محمد البنا. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. عالم الكتب و مكتبة الكليات الأزهرية. لبنان و مصر. ط:1. 1987. ج: 1. ص: 449 والنحاس. معاني القرآن الكريم. ج: 1. ص: 281.

² - أبو حيان الأندلسي . البحر المحيط . ج : 2 . ص:306.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وفي الأخير نصل إلى أنّ الخطاب القرآني زوج في القصص القرآني في الرَّبْع الأوَّل من القرآني الكريم بين استعمال (الفاء)، واستعمال (ثمّ)، وقد اختار الحرف المناسب للمقام لما بين الحرفين من اختلاف دلالي، وإن اجتمعا في الدلالة على الترتيب، والله أعلم.

4- العطف بـ (أو):

لعلّ أوّل ما نبدأ به الحديث عن (أو) هو الفرق بينها وبين الحروف المدروسة آنفاً وذلك أنّ هذه الحروف، أي (الواو، الفاء، ثمّ) إضافة إلى كونها تشترك بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب، فإنّها تشترك بينهما في المعنى أيضاً، أمّا (أو) فرغم أنّها تشبه حروف العطف الأخرى في اشتراك المعطوف للمعطوف عليه في الحكم الإعرابي، «فإنّ مذهب الجمهور أنّها تشترك في الإعراب لا في المعنى؛ لأنك إذا قلت: قام زيدٌ أو عمرو فالفعل واقع من أحدهما، وقال ابن مالك إنّها تشترك في الإعراب والمعنى؛ لأنّ ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جيء به لأجله، ألا ترى أنّ كلّ واحد منهما مشكوك في قيامه»¹.

ولقد ذهب المرادي إلى صحة الرأيين معاً، لكنّ وبالعودة إلى رأي ابن مالك نجد أنّ اشتراك المعطوف والمعطوف عليه بـ (أو) إنّما هو في الإعراب دون المعنى على مذهب الجمهور على اعتبار أنّ احتمال أحد الطرفين ينفي وقوع الآخر؛ وبذلك فاشتراكهما في المعنى لا يقع وإنّ كان الاحتمال بينهما متساوياً.

وإضافة إلى هذا، فإنّ اجتماعهما في المعنى نفسه غير وارد مع (أو) إلّا في حالة هي احتمال معنى الإباحة؛ ولذلك فالرأي عندنا أنّ (أو) إنّما تدلّ على الاشتراك بين المتعاطفين في الإعراب دون المعنى على رأي الجمهور، والله أعلم.

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 227-228.

أ/ معاني (أو):

إنَّ (أو) من الحروف التي تتغير دلالتها بتغير السياقات الكلامية التي ترد فيها؛ أي أنَّ دلالتها ترتبط بطبيعة ونوع المعطوف والمعطوف عليه، فهي ترد وفق عدّة معانٍ، قال بعضهم إنَّها أربعة وقال بعضهم خمسة، وقال بعضهم ثمانية وأوصلها البعض إلى اثني عشر¹.

ولقد قمنا بتتبع هذه المعاني في بعض مصادر ومراجع اللغة العربية، فوجدنا الإجماع على أربعة معانٍ هي التخيير والإباحة و الشك والتشكيك، وقد أورد ابن هشام شاهداً على كلِّ معنى فقال: « التخيير نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المائدة/ 89) والثاني الإباحة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (النور/ 61) وهذان المعنيان لها إذا وقعت بعد الطلب، والمعنى الثالث: الشك، نحو: قوله تعالى: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (الكهف/ 19)، والرابع التشكيك وهو الذي يعبر عنه بالإبهام، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ / 24)، وهذان المعنيان لها إذا وقعت بعد الخبر².

وواضح ما بين معنى الإباحة والتخيير، و معنى الشك والتشكيك من تداخل، وهذا ما يدفع إلى طرح هذا التساؤل: ما الفرق بين استعمال (أو) للتخيير واستعمالها للإباحة، وبين استعمالها للشك واستعمالها للتشكيك؟.

¹ - انظر: ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص: 228، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 398.

² - ابن هشام. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. ص: 390.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

ولعلَّ الإجابة عن هذا التساؤل لا تكون إلا بالعودة إلى الشواهد السابقة، فـ (أو) في الآية الأولى استعملت للتخيير، فالمسلم مخيَّرٌ في كفارته، فهو يختار كفارة واحدة، وهي كافية تُسَقِطُ عنه ما بقي من الكفارات.

أما في الآية الثانية فالأكل مباح من أي البيوت شاء المؤمن، فإن أكل من أحدها، فهذا لا يلغي البقية.

أما في الآية الثالثة، فقد دلَّت (أو) على معنى الشك، فقد أورد الله قول أهل الكهف، إذ قالوا « لبتنا يوماً أو بعضَ يومٍ »، فهم في شكٍ وعدم تبيُّنٍ لصحة رأيهم.

وأما معنى التشكيك أو الإبهام والذي دلَّت عليه الآية الرابعة، فلأنَّ الرسول إنما أورد هذا لتشكيك السامع و إبهامه رغم علمه هو بالحقيقة وهي كونه على هدى.

وخلاصة هذا الكلام أنَّ الفرق بين التخيير والإباحة أنَّه لا يجوز لك أن تجمع بين الشئيين في التخيير، بينما يجوز ذلك في الإباحة، أما الشك فإمَّا أنك بنيتَ كلامك على الشك في الابتدء، أو بنيتَ على اليقين، ثمَّ أدركك الشك، وأما الإبهام فتكون عالماً بشيء ثم تبهمُ على المخاطب¹.

وبالعودة إلى الرَّبْعِ الأوَّل من كتاب الله سنجد أنَّ (أو) قد استخدمت للعطف، وذلك في أربعة وتسعين (94) موضعاً.

وأما الآيات التي استعملت فيها (أو) للدلالة على معنى التخيير، فمنها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (البقرة/135)، وقوله: ﴿ لَأَجْنَحَ عَلَيْكُمْ إِنِ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ (البقرة/236)

¹ - انظر: ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 223.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وقوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (آل عمران/144)، وقوله: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (المائدة/89).

ففي الآية الأخيرة مثلا جعل المؤمن مخيرا في كفارة يمينه بين أمور ثلاث هي: (إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة)، والواضح أنّ عتق الرقبة أفضل شيء لأنه إخراج شخص من سجن العبودية إلى الحرية، وهو صعب جدا وأكبر تكلفة ماديا، ثم يليه كسوة المساكين لما فيه من حفظ لكرامتهم، وهو أقلّ صعوبة وتكلفة، ثم يليه الإطعام وهو دونهما في التكلفة والصعوبة.

ولأنّ « العتق أفضل ثمّ الكسوة ثمّ الإطعام بدأ الله بالأيسر فالأيسر على الحال»¹، وهذا يدلّ أنّ ترتيب المعطوف والمعطوف عليه بـ (أو) لا يكون عبثا، وإنّما تحكّمه السياقات الكلامية، فلما كان التيسير هو الغرض من كفارة اليمين بدأ الله بالأيسر فالأقل يسرا فالأصعب، والله أعلم.

وأما الآيات التي استعملت فيها (أو) للدلالة على معنى الإباحة، فمنها قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا حِينْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء/86).

ومن الآيات التي استعملت فيها (أو) للدلالة على الشك قوله تعالى:

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (البقرة/259).

ومن الآيات التي دلّت فيها على التشكيك قوله:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة/74).

¹ - أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج: 4. ص: 14.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

والواضح أن أكثر المعاني استخداما في الربع الأول هو معنى التخيير، ومن الآيات

التي استعملت فيها (أو) قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (157)

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران/157-158).

وقد جاءت هذه الآية في سياق الرد على المنافقين الذين يقولون لإخوانهم إذا جاهدوا

في سبيل الله، لو لم تجاهدوا لما أصابكم أذى.

ففي الآية عطف قوله (مُتُّمْ) على قوله (قُتِلْتُمْ)، والمعطوف فعل ماضٍ، وكذلك

المعطوف عليه، أما في الآية الثانية فقد عطف (قُتِلْتُمْ) على قوله (مُتُّمْ)، والعطف هنا يحمل

معنى التخيير، فلا يهم هل تنتهي حياة الإنسان بالقتل أو الموت، وكأن في العطف بهذه

الطريقة تنبيه من الله إلى أن الموت أو القتل لا تسمو قيمته إلا إذا ارتبط بإخلاص النية لله

وقد كرر العطف توكيدا، والله أعلم.

ب/ استعمال (أو) في موضع بعض الحروف:

إضافة إلى المعاني التي ذكرناها لـ(أو) وهي معان تختص بها، فقد ذكر لها علماء

اللغة معان أخرى، وهذه الأخيرة مشتركة بينها، وبين حروف العطف الأخرى، وليس بين

علماء النحو واللغة إجماع عليها، بل هي في الغالب آراء منفردة، اختص بها عالم أو أكثر

وهذه المعاني هي:

1- أن (أو) قد تقع في موضع (الواو)، « وقد استشهد من أخذ بهذا الرأي بقول

الشاعر: (جاء الخلافة أو كانت له قدرا)، أراد وكانت له، فأوقع (أو) مكان الواو لأمن

اللبس، وهذا مذهب الأخفش و الجرمي وجماعة من الكوفيين»¹، فهذا المذهب يجيز أن تكون

¹ - المرادي . الجني الداني في حروف المعاني . ص:230.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

(أو) بمعنى (الواو)، وذلك إذا أمن اللبس؛ أي تداخل المعاني وعدم وضوحها، ففي هذا الشاهد مثلاً من الواضح أنّ (أو) بمعنى (الواو) ولا لبس في ذلك، والله أعلم.

ومن المعاني التي تشترك فيها (أو) مع الواو أيضاً «التقسيم كقول الشاعر:

فَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِمَاحٍ أَسْرَعَتْ أَوْ سَلَسِلُ.

فلو جيء بالواو هنا لكان جائزاً، ولكان أوفق لقوله: (ثنتان لا بد منهما)، إلا أنه يسامح لوضوح المعنى¹، وهذا يعني أنّ (أو) قد تقع بمعنى (الواو)، فتدلّ على الجمع بين المتعاطفين في مواضع، كما تدلّ على التقسيم في مواضع أخرى، والشرط في هذا وضوح المعنى واستقامة الدلالة.

وقد وردت (أو) في الربع الأول من القرآن الكريم، ويرى بعض العلماء أنها قد استعملت في هذه الآية في موضع (الواو)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء/112).

وهذا مذهب ابن مالك والذي يرى أنها عطفت لفظ (إثماً) على لفظ (خطيئة)، وهما من نفس المعنى، وهذا من خصائص (الواو)، فهو الحرف الذي يعطف اللفظ على مرادفه²، وهذا ما جعله يرى أنّ (أو) هنا وقعت في موضع (الواو).

وهذه الآية كما هو واضح قد احتوت على الكثير من أنواع العطف، فقط عطفت هذه الآية بـ(الواو) على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء/111).

¹ - ابن مالك. شرح الكافية الشافية. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت -

لبنان. ط: 1. 2000. ص: 549.

² - انظر: ص: 278. من هذا البحث.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْعِ الأوَّل من القرآن الكريم

إضافة إلى هذا فقد عُطِفَ لفظ (إِثْمًا) على لفظ (خَطِيئَةً)، فتبعه في الإعراب وهو النصب كما عُطِفَ الفعل (يَرْمُ) على الفعل (يَكْسِبُ) المجزوم، فكان مجزوما مثله، وفي نهاية هذه الآية عطف اللفظ (إِثْمًا) على اللفظ (بُهْتَانًا)، وقد تبعه في الإعراب (النصب).

وإذا أردنا التفصيل في استعمال (أو) في موضع (الواو) في هذه الآية أكثر، سنجد أنّ هناك خلافا في معنى (الإثم و الخطيئة)، فهناك من يرى أنّ معناهما واحد، وهناك من يرى أنّ الخطيئة ما كان عن غير عمد، وأنّ الإثم ما كان عن عمد، وهناك من يرى أنّ الخطيئة هي الصغيرة وأنّ الإثم هو الكبيرة¹.

وكلّ هذه المعاني تصب في معنى الخطيئة، وهذا يوجب أنّ (أو) هنا عطفت بين الشيء ومرادفه، وهذا مما تختص به (الواو) عن سائر حروف العطف، وهذا يؤكّد ما ذهب إليه ابن مالك، ويجعلنا نستنتج أنّ (أو) قد استعملت في هذه الآية في موضع (الواو)، والله اعلم.

2- وقوع (أو) للإضراب بمنزلة (بل)، ولا تكون للإضراب عند من ذهب هذا المذهب إلا بتوفرها على شرطين هما «تقدّم نفي أو نهي وإعادة العامل، نحو: ما قام زيدٌ أو ما قام عمرو، ولا يقيم زيدٌ أو لا يقيم عمرو»².

ولعلّ ما قمنا بطرحه وتوضيحه حول معاني (أو) يجعلنا نصل إلى خلاصة هي أنّها ترد في الأصل للتخيير أو الإباحة أو الشك أو التشكيك، وقد ترد لمعان أخرى فصلّ فيها علماء النحو وأوردنا بعضها، وإنما يتبيّن هذا من خلال السياق الكلامي.

وقد استخدمت (أو) في الرَّبْعِ الأوَّل بمعانيها المختلفة، كما أنّ الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه بها جاء مقصودا دالا على غرض محدد كالتيسير على المؤمن في دينه بأن يخيّر بين مجموعة من الأمور يكون أوّل خيار هو الأيسر، والله أعلم.

¹-انظر: الزمخشري. الكشاف. ج: 2. ص: 147، وابن عاشور. ج: 5. ص: 196، وأبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط.

ج: 3. ص: 361.

²- ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 64.

4- العطف بـ (بل):

من المسلم به كما أوردنا سابقاً أنّ العطف نوعان عطف مفرد على مفرد، وعطف جملة على جملة، وانطلاقاً من النوعين تتحدد دلالة (بل) ومعناها، فـ(بل) كغيرها من حروف العطف تعطف المفرد على المفرد كما تعطف الجملة على الجملة.

وأول ما نبدأ به هو المعنى الذي إذا ذكرت (بل) ذكر معها، وهو معنى الإضراب فعادة ما نقول: (بل) للإضراب، وهذا المعنى مرتبط بعطف الجمل؛ أي إذا وقع بعد (بل) جملة كانت إضراباً عما قبلها إمّا على جهة الإبطال، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ (المؤمنون / 70). ففي قوله: (جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ) إبطال لقوله: (بِهِ جِنَّةٌ) وهذا المعنى الأول، أو من جهة الترك للانتقال من غير إبطال، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (62) ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ (المؤمنون / 62-63)، وهذا المعنى الثاني¹.

فقوله تعالى: (قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) لم يبطل قوله (لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)، بل حدث انتقال فقط عن طريق العطف بـ (بل)، فترك المعنى الأول وانتقل إلى الثاني.

وقد ذهب كل من ابن هشام وابن عصفور والمرادي في هذا الموضوع إلى أنه إذا وقع بعد (بل) جملة، فإنها للابتداء وليست عاطفة²، وربما هذا راجع لدلالاتها على الإضراب

¹ - انظر: المرادي. الجني الداني في حروف المعاني. ص: 235.

² - انظر: ابن هشام. معني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1، ص: 112، وابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1.

ص: 239، والمرادي. المصدر السابق. ص: 235.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

أي أنّ الجملة المعطوفة انتقل إلى معنى جديد، أو إضراب عن المعنى الموجود في الجملة المعطوف عليها، وكأنّها جملة ابتدائية، والله أعلم.

هذا إذا كانت (بل) في عطف الجمل، أمّا إذا عطف بها المفرد، فإنّ دلالاتها ترتبط بنوع المعطوف عليه، منفيًا كان أو موجبا، أمرا كان أو نهيا، ولكلّ حالة دلالة خاصة ويمكن إجمال هذه الحالات في :

إذا كان المعطوف عليه منفيًا أو فيه نهي، أي «إذا كانت بعد نفي نحو: ما قام زيدٌ بلُ عمروٌ أو نهي، نحو: لا تضربُ زيدًا بلُ عمرا، فهي لتقرير حكم الأوّل، وجعل ضده لما بعدها»¹.

ففي المثال الأوّل نفينا فعل القيام عن الأوّل (زيد) وأثبتناه للثاني (عمرو)، أي أقرنا حكم الأوّل، وهو عدم قيام زيد، وجعلنا ضده لما بعده، أي قيام عمر، وهكذا في المثال الثاني إذ أقرنا النهي عن ضرب زيد، وجعلنا ضده لما بعده؛ أي ضرب عمر.

أما إذا كان ما قبل (بل) أي المعطوف عليه غير منفيًا ويحمل معنى الأمر، أي أنه يرد «أمرًا أو إيجابا كاضربُ زيدًا بلُ عمرا وقامَ زيدٌ بلُ عمرو، فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، فلا يحكم عليه بشيء وإثبات الحكم لما بعدها»².

ففي المثال الأوّل أضربَ المتكلم عن الأمر بضرب زيد، وسكتَ عنه لينتقل إلى إثبات حكم الضرب لعمر، وكذلك في المثال الثاني، فقد سكت المتكلم، وأضربَ عن الإخبار عن قيام زيد وأثبت حكم القيام لعمر.

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص:236.

² - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص:112.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وخلصه القول بعد هذا العرض إنَّ (بل) حرف دال على الإضراب تعطفُ به الجملَ كما يعطف به المفرد، فإن كان بعدها جملة دلت على معنى الإضراب، إمّا بإبطال المعطوف عليه وتقرير المعطوف، أو من غير إبطال للمعطوف عليه والانتقال إلى المعطوف.

وإن كان بعدها مفرد، فإمّا أن تدلّ على تقرير الحكم للأول وجعل ضده للثاني في حالة كون المعطوف عليه مسبقاً بنفي أو نهي، وإمّا أن تدلّ على أنّ الأول مسكوت عنه أو مُضْرَبٌ عنه، وفي هذه الحالة يثبت الحكم للثاني، وهذا في حالة كون المعطوف عليه مسبقاً بأمر أو إيجاب.

أمّا العطف بـ (بل) في الربع الأول فقد تواتر بنسبة أقلّ من أنواع العطف الأخرى، إذ ورد في سبعة عشر (17) موضعاً، ومن أمثله قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/88).

وقوله عزّ من قائل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة/64).

فقد عطف في الآية الأولى قوله: (لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) على قوله: (قُلُوبُنَا غُلْفٌ)، وفي هذا العطف دليل على خزي الكفار، وما ينتظرهم من عذاب، أما في الآية الثانية، فقد عطف قوله: (يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) على قوله: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ)، فكانت الجملة المعطوفة مبטلة للجملة المعطوف عليها وإقراراً بعكسها وردا على قول اليهود.

والملاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى قال على لسان اليهود: « يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ » كناية منهم عن بخل الله، فاستعملوا المفرد (يد)، لكنّ الردّ من الله كان بلفظ المثني للدلالة على كرمه، وواسع عطائه سبحانه، فقال: (يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)، والله أعلم.

الفصل الرابع:.....العطف في الرَّبْع الأوَّل من القرآن الكريم

وبعد الاستقراء الذي قمنا به على الآيات التي استعملت فيها (بل) للعطف وجدنا أنَّ المعنى الذي دلَّت عليه في الرَّبْع الأوَّل من كتاب الله هو إبطال معنى المعطوف عليه وتقرير معنى المعطوف، وكثيراً ما ارتبط هذا بسياقات ردَّ الله على الكفار والمشركين، والله أعلم.

6- العطف بـ (لا):

إضافة إلى الحروف السالفة الذكر، فقد اتَّفَق علماء اللغة على جعل (لا) حرفاً من حروف العطف، وهي عندهم شبيهة لـ (بل)؛ وذلك لما بين المعطوف والمعطوف عليه بها من اختلاف في المعنى، وهذا ما أشار إليه ابن يعيش إذ قال: إنّ «ما بعدها مخالف لما قبلها فهي تخرج الثاني مما دخل فيه الأوَّل، وذلك قولك: (ضربتُ زيداً لا عمراً، ومررت برجلٍ لا امرأةً وجاءني زيدٌ لا عمرو»¹.

ففي المثال الأوَّل أدى العطف بـ (لا) إلى إخراج (عمر) من الحكم الذي دخل فيه (زيد) وهو الضرب، وفي المثال الثاني أخرجت (امرأة) من حكم المرور، وفي المثال الثالث أخرجت (عمراً) من الحكم الذي دخل فيه (زيد)، وهو المجيء.

ولأنَّ أصل (لا) كما هو معروف هو الدلالة على النفي أو النهي، فإنَّها لا تكون عاطفة إلا بتوفر شروط هي: «أن تكون بعد إيجاب، وذلك نحو: يقوم زيدٌ لا عمرو»²، فالكلام قبل (لا) النافية في هذا الشاهد موجب وهو قوله: (يقوم زيد).

هذا إذا كانت الجملة خبرية، أمّا إذا كانت إنشائية، فلا بد أن تسبق بأمر، «نحو: اضربُ زيداً لا عمراً، وبعد النداء نحو: يا زيدٌ لا عمرو نص عليه سيويوه»¹.

¹ - ابن يعيش. شرح المفصل للزمخشري. ج: 5. ص: 25.

² - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 239.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

وإذا كانت هذه هي شروط العطف بـ (لا)، فإنّ فيها مسائل نحوية من بينها: هل يعطف بها بعد الماضي؟. وقد كانت هذه المسألة موضوع نقاش بين العلماء، فابن هشام يرى أنّه «لا يمتنع العطف بها على معمول الفعل الماضي خلافا للزجاجي، وذلك لورود الشواهد على هذا، ومنه قول امرئ القيس:

كَأَنَّ دِثَارًا حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ عِقَابٌ تَتَوَفَى لَا عِقَابُ الْقَوَاعِلِ².

وفي هذا الشاهد عطف بـ (لا) على اللفظ (عقاب)، وهو فاعل للفعل الماضي (حلقت) اللفظ (عقاب) الثانية، وهذا يدلّ على جواز العطف بـ(لا) بعد الفعل الماضي.

وقد أدت عملية الإحصاء التي قمنا بها على آيات الربع الأوّل من القرآن الكريم إلى عدم وقوفنا على استعمال (لا) كحرف عطف فيها، والله أعلم.

ونكون بهذا الكلام قد أنهينا الكلام عن (لا) كحرف عطف، ونكون بذلك أيضا قد تطرقنا بالدرس والتحليل لجميع حروف العطف المتّفق عليها، ولعلّ ما توصلنا إليه من نتائج يمكن إجماله في أنّ (الواو) هي أصل هذا الباب (باب العطف)؛ وذلك لدلالاتها على مطلق الجمع، أما (الفاء) فهي حرف دال على الترتيب والتعقيب إذا عطفت مفردا على مفرد وحرف دال على السببية في عطف الجمل دون الشرط، أما (ثمّ) فهي حرف دال على الترتيب مع التراخي الزمني، وهذه الحروف جميعا تشترك في إتباعها المعطوف على المعطوف عليه إعرابا، كما أنّها تشركهما في المعنى.

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 294.

² - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 242. وانظر: شرح ديوان امرئ القيس. ص: 195.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

أما بقية الحروف (أو، وبل، ولا)، فهي حروف وإن أشركت في الإعراب، فإنّها لا تُشرك في المعنى، فـ (أو) تكون لمعنى التخيير والإباحة والشك والتشكيك أما (بل)، (لا) فهما للإضراب، وقد استخدمت هذه الحروف جميعا باستثناء (لا) في الربع الأوّل من القرآن الكريم، وذلك بنسب متفاوتة ولأغراض متنوعة، الله أعلم.

ثانيا/ العطف بالحروف المختلف فيها:

والحروف المختلف فيها كما أوردنا سابقا هي: لكن، إمّا، وإلّا، وليس، وأيّ، وحتى وأم، ولولا، وهلاّ، وكيف، ومتى، وأين، فهناك من العلماء من جعلها من حروف العطف وهناك من نفى عنها العطف، ولكلّ فريق حججه وبراهينه.

ولأنّ موضوع هذا البحث وهدفه هو البحث عن التوابع في الربع الأوّل من القرآن الكريم؛ وذلك لأجل الوقوف على أغراضها ودلالاتها حسب ورودها في سياقاتها القرآنية فإننا لن نفضّل كثيرا في هذه الحروف على اعتبار أنّه لم يُنفقْ على أنّها تؤدي إلى تبعية ما بعدها لما قبلها هذا من جهة، ومن جهة أخرى لقلّة استعمالها إن دلّت على العطف في هذا الباب، وهذا بيان مُجمل لهذه الحروف:

1/ لكن:

اختلف العلماء في دلالة (لكن) على العطف، ولعلّ موطن الاختلاف بينهم هو انقسامهم إلى ثلاثة فئات، فئة تمنع كونها للعطف إطلاقا، وإنّما هي عندهم حرف استدراك فقط، وفئة

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

ترى أنّ شرط العطف بها هو اقترانها بـ(الواو)، وفئة ترى أنّ اقترانها بـ(الواو) يجعلها غير عاطفة، ويجعل العطف للواو لا لها، لأنّه لا يدخل العاطف على العاطف¹.

ولعلّ الرأي الأقرب للصواب عندنا هو أنّ (لكنّ) حرف استدراك يقترن بـ(الواو) العاطفة، وأنها ليست عاطفة على اعتبار أنّ من اشترط اقترانها بـ(الواو) يضعف كونها عاطفة، فإن كانت حقيقة عاطفة، فهي لا تحتاج إلى حرف عطف لتقوم بدور العطف؛ ولذلك تناولنا² اقترانها بـ (الواو) في الربع الأوّل من الذكر الحكيم، ونحن بصدد دراسة العطف بـ (الواو)، والله أعلم.

2/ إمّا:

انقسم العلماء في إمّا أيضا إلى رأيين أو فريقين، فريق يثبت لها العطف، وفريق ينفيه عنها، أمّا الذين يرون أنّها حرف عطف، فهم « أكثر علماء النحو، إمّا الثانية في نحو قولك: جاءني إمّا زيدٌ و إمّا عمرو عاطفة، وزعم يونس والفارسي وابن كيسان أنّها غير عاطفة كالأولى، ووافقهم ابن مالك لملازمتها غالبا الواو العاطفة»³.

ولعلّ الواضح هنا أنّ ما جعلنا نذهب إلى كون (لكنّ) غير عاطفة يعود للظهور مع (إمّا)، وهو اقترانها بـ(الواو) العاطفة، وهذا ربما يدعم الرأي القائل بعدم دلالتها على العطف، والله أعلم.

¹ - انظر: السيوطي .همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص:262-263، والمرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص:587-588.

² - انظر: ص: 281. من هذا البحث.

³ - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 59.

3 / أم:

رغم أنّ الإجماع بين العلماء قائم على أنّ (أم) ترد للعطف، إلا أنّ فئة من العلماء قد أنكرت هذا¹، وهذا ما جعلنا نصنّفها ضمن الحروف المختلف فيها.

و(أم) عند العلماء متصلة، ومنفصلة فأما المتصلة، فهي ما اتصل ما بعدها بما قبلها في المعنى، وأما المنفصلة أو المنقطعة، فقد انقطع ما بعدها عما قبلها في المعنى، والأولى عند العلماء على الإجماع هي العاطفة، فأما الثانية فليست عاطفة، وقد وردت (أم) في الربع الأول من كتاب الله أربع عشرة (14) مرة متصلة في مواضع ومنفصلة في أخرى.

أ- (أم) المتصلة:

لا تكون (أم) متصلة أو عاطفة إلا إذا توفرت على مجموعة من الشروط، وقد أوردها ابن عصفور، فقال: « فلا يتقدّمها إلاّ الهمزة ولا يقع بعدها إلاّ المفرد، أو ما هو في تقديره وتقدّر مع الهمزة بأيّ، وجوابها أحد الشئيين أو الأشياء، ومثالها: أقام زيدٌ أم عمرو² ففي المثال وردت (أم) بعد همزة الاستفهام، والتقدير: أيُّهما قام زيدٌ أم عمرو، أما الجواب فيكون: أحدهما؛ أي زيد أو عمرو.

ولا ترد (أم) المتصلة بعد همزة الاستفهام فقط، بل تأتي بعد همزة التسوية أيضا، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (المنافقون / 6) (وهمزة التسوية هي الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها)³.

¹ - انظر: المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 205.

² - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 237.

³ - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 17.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

والتقدير في الشاهد هو: سواء عليهم استغفارك لهم أم عدم استغفارك لن يغفر الله لهم، والجدير بالذكر هنا أنّ (أم) سُميت بالمتصلة؛ لأنّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر¹.

ففي المثال الأوّل كان الغرض من الاستفهام تبيان أيّهما قام زيدٌ أم عمرو، فلا يمكن أن نذكر أحدهما دون الآخر، وفي الآية القرآنية سوّى الله سبحانه وتعالى بين الاستغفار لهم وعدمه في النفع إذ لا نفع لأي واحد بسبب معاصيهم وفسقهم، والله أعلم. وقد جاءت (أم) في الربع الأوّل من الذكر الحكيم متصلة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة/06). ففي هذه الآية سبقت (أم)، بهمزة التسوية، وعُطف بها قوله تعالى: (لَمْ تُنذِرْهُمْ)، على قوله تعالى: (أُنذَرْتَهُمْ).

وقد علّق الجرجاني على هذه الآية في باب الفصل والوصل من كتابه دلائل الإعجاز إذ قال: « قوله تعالى: (لَا يُؤْمِنُونَ) تأكيد لقوله: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ)، وقوله: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ) تأكيد ثانٍ أبلغ من الأوّل ؛ لأنّ ما كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة»².

وبهذا فالعطف بـ(أم) في هذه الآية قد حمل معنى توكيد ما يعيشه الكافرون من جهل وضلال في حالة الإنذار أو عدمه، والله أعلم.

¹ - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 41.

² - الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص: 155-156.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ب- (أَمْ) المنفصلة:

إذا كان ما قبل (أَمْ) المتصلة مرتبط بما بعدها، فإنّ هذا ينتفي مع (أَمْ) المنفصلة، إذ ما قبلها منقطع ومنفصل عما بعدها؛ ولذلك «سُمِّيَتْ بهذا الاسم، لأنّ ما بعدها كلام مستأنف منقطع كما قبلها، وليست بعاطفة؛ لأنّ ما بعدها ليس مع ما قبلها كلاما واحدا بل كلام مستأنف منقطع»¹.

وإذا كان شرط (أَمْ) المتصلة العاطفة أن تسبق بهمزة الاستفهام أو همزة التسوية، فإنّ (أَمْ) المنقطعة تسبق بالخبر، أو بهمزة لغير الاستفهام، أي أن يكون الاستفهام مجازيا غرضه الإنكار أو النفي أو غيرهما من الأغراض مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ ارْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا﴾ (الأعراف/ 195)، إذ الهمزة في الآية للإنكار، كما تكون مسبوقة باستفهام بغير الهمزة، أما المعنى الذي لا يفارق (أَمْ) المنفصلة، فهو معنى الإضراب².

وخلاصة القول في (أَمْ) أنّها متصلة عاطفة، ومنفصلة غير عاطفة، فأما الأولى فتسبق بهمزة الاستفهام ولا تكون هذه الهمزة إلا للاستفهام الحقيقي، كما أنّ (أَمْ) المتصلة قد تسبق بهمزة التسوية.

وأما الثانية؛ أي (أَمْ) المنفصلة أو المنقطعة، فتسبق بالخبر كما تسبق بالاستفهام بالهمزة إذا خرجت عن معنى الاستفهام أو طلب الفهم إلى أغراض بلاغية مختلفة كالإنكار والنفي وغيرهما، وإضافة إلى هذا فإنّها تسبق بالاستفهام بغير الهمزة، والله أعلم.

¹ - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 237.

² - انظر: ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 44.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

ومن شواهد ورود (أم) المنفصلة في الربع الأول قوله تعالى:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة/140).

فالهزمة هنا للاستفهام المجازي غرضها نفي وجود من هو أعلم من الله.

ومن أمثلة (أم) المنفصلة أيضا قوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

﴿51﴾...أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (النساء/51-53).

وفي هذه الآية سبقت (أم) بالخبر، ومن أمثلة (أم) المنفصلة أيضا قوله تعالى:

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ

يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (النساء/109).

وفي هذه الآية سبقت (أم)، باستفهام بغير الهزمة، وقد كان بمن في قوله: (فَمَنْ يُجَادِلُ

اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وهي في جميع الآيات غير عاطفة، والله أعلم.

4/ حتى:

إنّ (حتى) من الحروف التي ترد في اللغة العربية على عدّة معانٍ ، ومن المعاني التي

ارتبطت بـ (حتى) العطف، وقد اختلف البصريون والكوفيون حول هذا المعنى إذ أثبتته

البصريون بينما نفاه الكوفيون.

أما علماء الكوفة فذهبوا إلى أنّ «العطف بها قليل، ومن ثمّ، أي من أجل قلته، قالوا: لا

يعطف بها البتة»¹.

أمّا علماء البصرة فقد جعلوها عاطفة لكن بشروط، وهي أن يكون «المعطوف بها

بعض ما قبلها أو كبعضه، فمثال كونه بعضا: قدم الحجاج حتى المشاة، ومثال كونه

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 260.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

كـبعض: قَدَمَ الصيَادُونَ حَتَّى كِلَابُهُمْ¹، فالمعطوف(المشاة) هو بعض من (الحجاج) المعطوف عليه، و(الكلاب) المعطوف هو كالبعض بالنسبة لـ (الصيادين) المعطوف عليه وهذا هو الشرط الأول.

أما الشرط الثاني فهو أن يكون المعطوف «غاية لما قبلها(حتى) في زيادة أو نقص فالأول نحو: ماتَ النَّاسُ حَتَّى الأنبياءُ، والثاني، نحو: زاركَ النَّاسُ وحتىَ الحَجَّامون²» فالمعطوف (الأنبياءُ) هو غاية المعطوف عليه (النَّاسُ) في الزيادة، فالأنبياء أفضل النَّاس والمعطوف عليها (الحَجَّامون)، وهم المعرضون، وهو غاية المعطوف عليه (النَّاسُ) في النقص، وواضح تبعية المعطوف للمعطوف عليه في الإعراب، وهو الرفع في الشاهدين.

هذا وقد ذهب البصريون إلى أن (حتى) كما أوردنا تكون عاطفة إذا اجتمع فيها الشرطان وهي عندهم بمنزلة الواو³، دون الدلالة على الترتيب، وإن قلَّ العطف بها كما أوردنا سابقا، ولم نقف عند استعمال (حتى) للعطف في الربع الأول، والله أعلم.

5/ ليس، وأي، وهلا، وإلا، وأين، ولولا، ومتى، وكيف:

وقد جمعنا هذه الحروف معا؛ لأنَّ المشترك بينها أنها مثبتة عند علماء الكوفة فقط⁴ ولم نفصل القول فيها، لأنَّ العطف بها قليل جدا، ولأنَّ الإجماع عليها بين العلماء ضعيف والهدف كما أوردنا سابقا هو الوقوف عند العطف كتابع يؤدي إلى أغراض بلاغية تحددتها السياقات الكلامية المختلفة.

¹ - المرادي. الجنى الداني في حروف المعاني. ص: 547.

² - ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ج: 1. ص: 127.

³ - انظر: المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

⁴ - انظر: السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 263-265.

رابعاً/ أحكام متعلقة بالعطف:

قد تطرأ على العطف كغيره من الأبواب النحوية بعض الأحكام المخالفة للحكم الأصلي كالحذف والتقديم، وذلك حسب ما تمليه السياقات الكلامية، وما قد توجبه الضرورات الشعرية أحياناً، فقد يحذف المعطوف كما قد يحذف المعطوف عليه، كما تحذف الأداة.

أما حذف المعطوف أو المعطوف عليه، فهو جائز، ومن أمثلة حذف المعطوف ما أورده ابن جني في الخصائص، إذ قال: « ومثله من حذف المعطوف قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة / 60)، أي فَضْرَبَ فَانْفَجَرَتْ، فَحُذِفَ (فَضْرَبَ)؛ لَأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى (فَقُلْنَا)¹، ففي هذه الآية الكريمة عطف الفعل (ضرب) المحذوف والذي يدلّ عليه سياق الآية على الفعل (قلنا) المذكور، وبذلك فقد حذف المعطوف وذكر المعطوف عليه.

أما حذف المعطوف عليه، فكثيراً ما يرد في جملة جواب الاستفهام، فإنّه « يغني المعطوف بالواو عن المتبوع بعد حرف جواب، فيقال لمن قال: ألم تضرب زيداً؟. بلى وعمرأ، ولمن قال: خرج زيد؟. نعم وعمرؤ»²، والتقدير في الجملة الأولى: بلى ضربت زيداً وعمرأ، حيث حُذِفَ المعطوف عليه (زيداً)، والتقدير في الجملة الثانية: نعم خرج زيداً وعمرؤ، فحذف المعطوف عليه (زيداً).

ومما يجوز أيضاً حذف حرف العطف، وذلك إذا كان (واوا)، ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ»³، وحكى

¹ - ابن جني. الخصائص. ج: 1. ص: 289.

² - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 275.

³ - أخرجه الإمام مسلم (ت 261هـ) في صحيحه في كتاب الزكاة. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 1991.

ج: 2. ص: 705.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

«أكلت سمكا لحما تمرا»¹ ، والتقدير في الحديث: (من دينارِه ومن درهمِه ومن صاع بُرِّه ومن صاع تمرِه، والتقدير في الجملة، سمكاً ولحمًا وتمراً).

ومما أجازَه بعض العلماء أيضا «حذف المعطوف بالواو وحذف الواو، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل /81)، أي والبرد»²، فقد حذفت (الواو) والمعطوف (البرد) في هذه الآية، وإنما دلّ عليها السياق، والتقدير (تقيكم الحرّ والبرد)، والله أعلم.

وإضافة إلى حذف (الواو) والمعطوف والمعطوف عليه، فقد أجاز بعض العلماء حذف (الفاء) ومتبوعها، أو (أو) ومتبوعها، أما مثال الأولى، فهو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة/184)؛ أي فأفطر، وهنا حذفت (الفاء) مع المعطوف، ومثال الثانية: (صلّى رجلٌ في إزارٍ ورداءٍ في إزارٍ وقميصٍ في إزارٍ)؛ أي: (أو في إزارٍ وقميصٍ أو في إزارٍ) وهنا حذفت (أو).

وقد خالف ابن جني والسهيلي وابن الضائع هذا الرأي؛ أي جواز حذف حرف العطف مع متبوعه، أو حذفه وحده، والحجّة عندهم أنّ الحروف دالّة على معاني في نفس المتكلم وإضمارها لا يفيد معناها³.

هذا بالنسبة لحكم حذف أحد أركان العطف، أما حكم تقديم المعطوف على المعطوف عليه، فقد أوردنا في خصائص (الواو) أنه يتقدم فيها المعطوف على المعطوف عليه للضرورة.

¹ - السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج: 5. ص: 274.

² - أبو حيّان الأندلسي. ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج: 4. ص: 2016.

³ - انظر: السيوطي. المصدر السابق. ج: 5. ص: 284.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وهذا ما أثبتته ابن جني، بل ذهب إلى أنّ التقديم لا يجوز إلا فيها، فقال: «لا يجوز تقديم العطف الذي هو نسق على المعطوف عليه إلا في الواو وحدها، وعلى قلته أيضا»¹.
فالتقديم جائز وإن كان قليلا، وذلك بشروط «أحدها ألا يؤدي إلى وقوع حرف العطف صدرا، فلا تقول: وعمرو زيد قاتمان، والآخر: أن لا يؤدي إلى مباشرة حرف العطف عاملا غير متصرف، فلا تقول: إن وعمرا زيدا قاتمان، والآخر: أن لا يكون المعطوف مخفوضا فلا تقول: مررت وعمرو بزید»²، فهذه إذن ثلاث حالات إن لم تكن في جملة العطف جاز التقديم، وذلك في (الواو) خاصة.

ومن أحكام العطف أيضا، والتي كانت مسائل نحوية اختلف فيها العلماء: العطف على موضع إن قبل تمام الخبر، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّ هذا جائز، وحجتهم في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (المائدة /69)، بينما أنكر البصريون هذا ومنعوه، وحجتهم في ذلك أنه لو قلت «إنك زيد قاتمان» لعملت إن في خبر الكاف وقد اجتمعا في لفظ واحد وذلك محال؛ لأنه يعني أنّ يعمل في اسم واحد عاملان وهذا محال³.

وبهذا فالعطف على موضع إن قبل تمام الخبر جائز لوروده في القرآن الكريم، وممتنع عند البصريين لأنه يتعارض مع قاعدة من قواعدهم، وهي أنّ يعمل في اسم واحد عاملان.

¹ - ابن جني. الخصائص، ج: 2. ص: 385.

² - ابن عصفور. شرح جمل الزجاجي. ج: 1. ص: 245.

³ - انظر: ابن الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. ص: 158-159.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأول من القرآن الكريم

وإضافة إلى هذه الأحكام، فقد أورد ابن عصفور أنه «لا يجوز الفصل بين حرف العطف والمعطوف إلا بالقسم خاصة أو بالظرف والمجرور بشرط أن يكون حرف العطف على أزيد من حرف واحد، نحو قوله: قام زيدٌ ثمَّ واللهِ عمروٌ بلِّ واللهِ عمروٌ»¹.

ففي هذه الجملة جاز الفصل بين حرفي العطف (ثمَّ) و(بلِّ) والمعطوف (عمرو) لتوفر الشروط، وهي كون حرفي العطف مما زاد عدد حروفه عن واحد، أي أنهما ليسا (الواو والفاء)، وقد تمَّ الفصل بالقسم.

و لعلنا بعد هذا العرض لمجموعة من الأحكام الخاصة بالعطف نصل إلى مجموعة من النتائج هي أنه يجوز حذف المعطوف كما يجوز حذف المعطوف عليه والأداة إنَّ دلَّ على ذلك دليل من السياق، كما أنه يتقدّم المعطوف مع(الواو) خاصة للضرورة الشعرية، إضافة إلى هذا، فإنّه يجوز العطف على موضع (إنَّ) قبل تمام الخبر على مذهب الكوفيون، ويمتنع ذلك عند البصريين، ومن أحكام العطف أيضا أنه يجوز الفصل بين حرف العطف والمعطوف بالقسم أو بالظرف والمجرور إذا كان حرف العطف أكثر من واحد، والله أعلم.

وفي الأخير وفي ختام هذا الفصل نجد أنّ مجموعة الآراء التي وقفنا عندها، ومجموعة الشواهد التي قمنا بدراستها في آيات الربع الأول من القرآن الكريم تجعلنا نصل إلى أنّ العطف قد استخدم فيه بشكل مكثّف وبجميع أنواعه من عطف مفرد على مفرد أو عطف جملة على جملة.

كما أنّ العطف في بعض آياته كان محور الاختلاف بين البصريين والكوفيين كالعطف على الضمير المجرور وما فيه من المسائل الخلافية، والتي وقفنا عليها بالمناقشة والتحليل، وذلك باستعراض الآراء والحجج التي قامت عليها.

¹ - ابن عصفور . شرح جمل الزجاجي . ج:1. ص: 246-247.

الفصل الرابع:.....العطف في الربع الأوّل من القرآن الكريم

وإضافة إلى هذا فقد وجدنا العطف يحمل دلالات بلاغية متنوعة خاصة إذا كان العطف بين متعاطفين وفقا لترتيبٍ محدد فرضته سياقات الآيات لدلالات محددة لا تستقيم إلا إذا ورد العطف وفق الشكل الذي جاء في الآية، والله أعلم.

خاتمة

إنّ لذة القرآن لا يحسّ بها إلا من تبصّر في معاني آياته وبلاغة نظمه، ولا يتأتى هذا إلا لمن غاص في بحر اللّغة العربية وحاز جواهر لفظها ووعى معانيها.

وقد تنقلت وأنا أتتبع أنواع التّوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم بين معاني القرآن ومواطن إعجازه، فأذهلني إعجازه، وهزّنتني دقّة معانيه، واختيار ألفاظه، فوجدت أنّ الخطاب القرآني لم يوظف التّوابع في محكم التنزيل من أجل إضافات معنوية فقط، بل جاء استخدامها كنوع من الضرورة الدلالية والبلاغية التي توجب استعمالا معيناً في مقام معين بل إنّ حذفها في السياقات التي وردت فيها يجعل الكلام عاجزاً عن تأدية المراد.

وبعد الإبحار في آيات الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم بين إحصاءٍ للتّوابع، وبيانٍ لنوعها انطلاقاً مما أقرّه علماء النحو في هذا الباب من خلال وضع الحدود، والتّعرض بالمناقشة للمسائل الخلافية وذلك بالعرض والتحليل.

وإضافة إلى هذا فبعد الوقوف على الغرض من استخدام التّوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم عن طريق ربط هذا الاستخدام بالسياق الذي وردت فيه، وانطلاقاً مما أقرّه علماء البلاغة من أغراض لاستخدام التّوابع في الكلام. ها هو البحث يصل في ختامه إلى مجموعة من النتائج، وهي:

1- لقد وُظف الخطاب القرآني التّوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم بجميع أنواعها (النّعت، والتوكيد، والبدل، والعطف)، وينسب متفاوتة، إذ كان العطف أكثرها استعمالاً يليه النّعت، فالبدل، فالتوكيد.

2- جاء النّعت في هذا الرّبّع في سياقات مختلفة، ومواقع كثيرة بلغ تعدادها اثنتين وعشرين وثمانمائة (822) موضع، وقد تنوّع بين الحقيقي والسببي، وكان النوع الأوّل أكثر استخداماً، وورد مفرداً وجملاً وشبه الجملة.

3- كان النَّعْتُ المفرد الحقيقي أكثر أنواع النَّعْتِ الحقيقي استعمالاً، نُعِتَتْ به المعرفة والنَّكْرَةُ، وكان منه الجامد والمشتق، وكان المشتق أكثر تواتراً لأنَّ الأصل في النَّعْتِ الاشتقاق، وتتنوع المشتقات التي نُعِتَ بها بين اسم الفاعل، واسم المفعول والصفة المشبهة، واسم التفضيل، وصيغة المبالغة، وكان اختيار المشتق بما يناسب سياق الآية، والغرض من استخدام النَّعْتِ، كما أنَّ الاستعمال الفعلي لهذه المشتقات أكسبها معانٍ إضافية، فقد دلَّت صيغة المبالغة(عليم) مثلاً على ملازمة النَّعْتِ للمنعوت عند ارتباطها بالله جلَّ وعلا .

4- نُعِتَتْ المعرفة كما نُعِتَتْ النَّكْرَةُ في هذا الرَّبْعِ، وكانت نسبة نعت النَّكْرَةُ أكبر من نعت المعرفة؛ وذلك راجع لما تتميز به النَّكْرَةُ من عموم يحتاج إلى التخصيص عن طريق النَّعْتِ.

5- تنوعت جملة النَّعْتِ في هذا الرَّبْعِ من كتاب الله بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية أما الفعلية فقد جاء فعلها مضارعاً حيناً وماضياً أحياناً أخرى، وبذلك تنوعت دلالات النَّعْتِ فيها بتنوع دلالات الأفعال بين الماضي والمضارع، وما هذا التنوع إلا نتيجة حتمية لتنوع السياقات واختلافها.

ووجدنا بعد عملية الإحصاء أنَّ أكثر ما نُعِتَ به هو الجملة الفعلية، وهذا لا يرجع إلى أنَّ النَّعْتِ بها أقوى من الاسمية، ففي الجملة الاسمية من القوة في الدلالة على معنى ثبات النَّعْتِ في المنعوت ما ليس في الفعلية، وإنَّما كان اختيار الفعلية لأنَّها الأنسب لتلك السياقات في حين نجد الأسلوب القرآني يختار النَّعْتِ بالجملة الاسمية دون الفعلية لأنها الأنسب في مقامات معينة أخرى.

6- لقد تنوع النَّعْتِ شبه الجملة، فكان منه الظرف والجار والمجرور؛ وذلك حسب ما تقتضيه سياقات الآيات القرآنية.

7- تعدد النعت في هذا الربع من الذكر الحكيم، وذلك وفق أشكال مختلفة، رتبت فيها هذه النعوت بما يوافق آراء النحاة وترتيبهم في آيات، وخالفته في أخرى، وكان هذا الترتيب مقصودا، إذ أدى إضافة إلى الزيادة من التوضيح والتخصيص إلى أغراض بلاغية ودلالات لا يحققها إلا ترتيب النعوت بذلك الشكل.

8- من الظواهر التي وقفنا عليها في هذا الربع من كتاب الله أن النعت قد حذف في مواضع لدلالة السياق عليه، وكذلك المنعوت.

9- بلغ تواتر التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم بنوعيه إحدى وثلاثين (31) مرة، متنوعا بين التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، وكان الأول أكثر استخداما، أكد فيه الظاهر بالظاهر، كما أكد المضمرة سواء كان متصلا أم مستترا، وأكثر مواضع توكيد الضمير في هذا الربع جاءت مرتبطة بتوكيد الضمير ليجوز العطف عليه.

10- أما التوكيد المعنوي في هذا الربع، فقد استخدم الله سبحانه وتعالى لفظي التوكيد المعنوي (كل، جميع) فقط، كما أن لفظ (جميع) قد استخدم وجاء محافظا على معنى التوكيد إلا أنه لا يعرب توكيدا لاختلال شرط من شروط التوكيد به وهو ارتباطه بضمير يعود على المؤكّد ويطبّقه.

11- إضافة إلى النعت والتوكيد، فقد وظف الخطاب القرآني البدل أيضا، والذي بلغ تعداده ستا وخمسين ومائة (156) بدلا.

وأشكال البدل التي وردت في آيات الربع الأول من القرآن الكريم هي بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل الاشتمال، أما أنواع البدل الأخرى التي أقرّها النحاة؛ أي بدل الإضراب وبدل الغلط وبدل النسيان، فإنّها غير موجودة فيه؛ لأنّها لا تتناسب معه ولا مع قائله (الله سبحانه وتعالى) المنزه عن صفات الغلط والنسيان والإضراب عن كلام بعد اكتشاف خلافه.

12- بالنسبة لبذل كلّ من كلّ في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم، فقد أبدلت المعرفة من المعرفة كما أبدلت النّكرة من النّكرة، وأبدلت المعرفة من النّكرة بعد نعتها في مواضع ودون ذلك في أخرى، وإضافة إلى هذا فقد أبدل الظاهر من المضمّر وأبدلت الجملة من الجملة، واستعمل الله بدل التفصيل في سياقات كثيرة.

13- أبدل على اللفظ كما أبدل على المحل في الرّبّع الأوّل وكان الأوّل أكثر استعمالاً لأنّه الأصل.

14- العطف ونعني به عطف النسق أكثر التوابع استخداماً، إذ بلغ العطف بـ(الواو) وحدها اثنتين وخمسين ومائتين وألف (1252) مرة، وهي أكثر الحروف استعمالاً لأنّها أصل حروف العطف.

وقد عطف بها الاسم على الاسم والفعل على الفعل والاسم على الفعل والجملة على الجملة، كما عطف بها الظاهر واسم الموصول والضمير.

وقد عطفت (الواو) مع الترتيب ودونه، وعطفت اللفظ على مرادفه، وعلى ضده، وعطفت الخاص على العام للإطناب، وعطفت بين النّوع المتعددة مع الإلتباع في مواضع ومع القطع في أخرى، وإضافة إلى هذا فقد اقترنت بحروف هي (لا وإمّا ولكن).

15- إضافة إلى عطف الظاهر في هذا الرّبّع، فقد عطف الضمير، فعطف الضمير المنفصل على الضمير المتصل، كما عطف على ضمير الرفع، وذلك بعد توكيده أو إطالة الكلام بفاصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وعطف على الضمير الذي في محل نصب، فكان هذا العطف مع التوكيد في مواضع ودونه في أخرى. إضافة إلى هذا فقد وافقت الشواهد القرآنية التي عطف فيها على الضمير المجرور في هذا الرّبّع ما ذهب إليه علماء البصرة من وجوب إعادة الجار.

16- عَطَفَت الجُملة الخبَرية على الجُملة الخبَرية، فَعَطَفَت الفَعلية على الفَعلية والاسمية على الاسمية، والشرطية على الشرطية، كما عَطَفَت الإنشائية على الإنشائية، فَعَطَفَ الأمر على الأمر، والنهي على النهي، والنهي على الأمر والاستفهام على الاستفهام. وإضافة إلى هذا فقد عَطَفَ الإنشاء على الخبر، وإن كان البيانون قد رفضوا هذا النوع من العطف، وسارعوا إلى تأويل ما ورد منه.

17- استعملت (الفاء) في الرَّبَع الأوَّل من القرآن الكريم للعطف في ثلاثين ومائة (130) موضع، فجاءت في مقامات تحمل معنى الترتيب والتعقيب خاصة إذا تعلَّق الأمر بالقصص القرآني، وجاءت في مقامات أخرى تحمل معنى السببية إذا عطفت جملة على جملة.

18- عَطَفَ بـ (ثمّ) في تسع وسبعين (79) آية، وكان أكثر استعمالها في القصص القرآني.

19- استعملت (أو) في أربعة وتسعين (94) موضعا، وبمعان مختلفة هي التخيير والإباحة والشك.

20- إضافة إلى حروف العطف السالفة الذكر، فقد وظَّفَ الخطاب القرآني حرف العطف (بل) في سبعة عشر (17) موضعا، وقد دلَّت على إبطال معنى المعطوف عليه وتقرير المعطوف.

21- لم نعثر في الرَّبَع الأوَّل من كتاب الله على استعمال حروف العطف المختلف فيها باستثناء (أم)، وقد وردت متصلة عاطفة مرة واحدة، بينما جاءت منفصلة غير عاطفة ثلاث عشرة مرة.

22- لقد وظَّفَ الخطاب القرآني التوابع في هذا الرَّبَع من كتابه؛ وذلك لأغراض بلاغية مختلفة كالتوضيح والتخصيص والتوضيح والتوكيد والمدح والذم والتقرير

والإطناب، وغيرها من الأغراض التي فرضتها سياقات الآيات، وقد بينّا ذلك كلّه في مواضعه من البحث.

وفي ختام هذا البحث لا يسعني إلا أن أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنهائه، وأسأله سبحانه أن يجعله ولو قطرة في بحر البحوث اللغوية الذي عنيت بمحكم تنزيله. وأختم بقول العماد الأصفهاني: « إنّي رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيرّ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر.»

وحسبي إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، والحمد لله ربّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

كتب الحديث:

- 2- صحيح البخاري (ت 256هـ). دار ابن كثير. دمشق- سوريا. ط: 1. 2002.
- 3- صحيح مسلم (ت 261 هـ). دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 1991.
- 4- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط: 1. 2008.

المعاجم:

- 5- أحمد مختار عمر. المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته. مؤسسة سطور المعرفة. السعودية. ط: 1. 2002.
- 6- الراغب الأصفهاني الحسن بن محمد بن المفضل (ت 425هـ). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دار القلم. سوريا. دت. دط.
- 7- الفراهيدي الخليل بن أحمد (ت 175هـ). العين. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 2003.
- 8- الفيروزأبادي مجد الدين بن يعقوب (ت 817هـ). القاموس المحيط. الهيئة العامة للكتب. مصر. دط. 1979.
- 9- مجمع اللغة العربية. الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. مصر. ط: 4. 2004.
- 10- ابن منظور جمال الدين (ت 711هـ). لسان العرب. دار صادر. بيروت- لبنان. ط: 3. 1994.

الكتب:

- 11- إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة- مصر. ط: 7. 1994.
- 12- إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. مطبعة لجنة التأليف والترجمة. مصر. دط. 1987.
- 13- أحمد سعد مصلوح. الأصول البلاغية في كتاب سيوييه وأثرها في النص البلاغي. مكتبة الآداب. مصر. ط: 2. 2009.
- 14- أحمد عرابي. أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. دط. 2010.
- 15- أحمد بن محمد البنا. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية. بيروت- لبنان والقاهرة- مصر. ط: 1. 1987.
- 16- الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 615هـ). معاني القرآن. تحقيق: هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي. القاهرة- مصر. ط: 1. 1990.
- 17- الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ). شرح الكافية في النحو. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. عالم الكتب. مصر. ط: 1. 2000.
- 18- ابن الأنباري أبو البركات (ت 577هـ). الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك. مراجعة: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة- مصر. ط: 1. 2002.
- 19- أبو البركات الأنباري كمال الدين (ت 577هـ). أسرار العربية. تحقيق: بركات يوسف هبود. دار الأرقم. بيروت- لبنان. ط: 1. 1999.

- 20- الألويسي شهاب الدين (ت 127هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان. دط. دت.
- 21- إنعام فوّال عكاوي. المعجم المفصّل في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 3. 1996.
- 22- أيمن الشوا. الجامع لإعراب جمل القرآن. مكتبة الغزالي. دار الفيحاء. بيروت- لبنان. ط: 1. 2000.
- 23- التفتازاني سعد الدين. مختصر المعاني. دار الفكر. بيروت- لبنان. دط. 2004.
- 24- تمام حسان. البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني). عالم الكتب. القاهرة- مصر. ط: 1. 1993.
- 25- الجرجاني عبد القاهر (ت 474هـ). دلائل الإعجاز. تعليق: محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت- لبنان. ط: 3. 2001.
- 26- ابن الجزري أبو محمد بن محمد دمشقي (ت 833هـ). النشر في القراءات العشر. مراجعة: محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. دط. دت.
- 27- جميل أحمد ظفر. النحو القرآني (قواعد وشواهد). مطابع الصفا. مكة المكرمة. ط: 2. 1998.
- 28- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ):
* الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية. مصر. دط. دت.
* اللمع في العربية. تحقيق: سميح أبو فغلي. دار مجدلاوي. الأردن. دط. دت.
- 29- أبو حيّان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 745هـ):

.....ثبت المصادر والمراجع

* ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد. مراجعة: رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي. القاهرة- مصر. ط:1. 1998.

* البحر المحيط. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ومحمد عوض وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 1993.

31- ابن خالويه (ت370هـ). الحجة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. دار الشروق. بيروت- لبنان. ط:3. 1979.

32- رابح بو معزة. الجملة الوظيفية في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط:1. 2009.

33- الرازي فخر الدين (ت604هـ). تفسير الفخر الرازي(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب). دار الفكر. بيروت - لبنان. ط:1. 1981.

34- الزّجاج أبو إسحاق إبراهيم (ت311هـ). معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت - لبنان. ط:1. 1988.

35- الزّجاجي عبد الرّحمن بن إسحاق (ت337هـ):

* الجمل. تحقيق: ابن أبي شنب. مطبعة كنكسيك. باريس- فرنسا. ط:2. 1957.

* اشتقاق أسماء الله الحسنى. تحقيق: عبد الحسين المبارك. مؤسسة الرسالة.

بيروت- لبنان. ط: 3. 1986.

37- الزّرقاوي محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: فواز أحمد زمري. دار الكتاب العربي. بيروت - لبنان. ط:1. 1995.

38- الزركشي بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم.

مكتبة دار التراث. مصر. ط:3. 1984.

39- الزمخشري جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ):

*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض. مكتبة العبيكان.

السعودية. ط:1. 1998.

*المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: خالد إسماعيل حسان. مراجعة: رمضان

عبد التواب. مكتبة الآداب. القاهرة- مصر. ط:1. 2006.

41- ابن السراج أبو بكر (ت316هـ). الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين

الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان. ط:3. 1996.

42- السكاكي أبو يعقوب (ت 626هـ). مفتاح العلوم. مطبعة دار الرسالة. بغداد-

العراق. ط:1. 1982.

43- سناء حميد البياتي. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم. دار وائل للنشر

والتوزيع. عمان- الأردن. ط:1. 2002.

44- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت 180هـ). الكتاب. تحقيق: عبد السلام

محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة - مصر. ط:3. 1988.

45- السيد أحمد الهاشمي:

*القواعد الأساسية للغة العربية. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:1.

1998.

.....ثبت المصادر والمراجع

*جواهر البلاغة. تعليق: سليمان الصالح. دار المعرفة. بيروت- لبنان. ط:2.
2007.

47- السيوطي جلال الدين (ت 911هـ):

*الأشباه والنظائر في النحو. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط. دت.
*الإتقان في علوم القرآن. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
السعودية. ط. 1426هـ.

*بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. مطبعة
عيسى البابي الحلبي. سوريا. ط:1. 1964.

*معتك الأقران في إعجاز القرآن. ضبط: أحمد شمس الدين. دار الكتب
العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 1988.

*همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم وعبد
السلام محمد هارون. دار الرسالة. بيروت- لبنان. ط. 1992.

52- الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي. البيان في شرح اللمع لابن جني. تحقيق: علاء
الدين حموية. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان- الأردن. ط:1. 2006.

53- الصبّان محمد بن عليّ (ت 1206هـ). حاشية الصبّان على شرح الأشموني على
ألفية ابن مالك. ضبط وتصحيح وتخريج الشواهد: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب
العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 2002.

.....ثبت المصادر والمراجع

54-الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. تونس. ط. 1984.

55-الطّبري محمد بن جرير (ت 310هـ). تفسير الطّبري. تحقيق: محمود محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية. مصر. ط:3. دت.

56-عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية بيانية). دار المعارف. القاهرة -مصر. ط:3. دت.

57-عادل خلف. نحو اللغة العربية. مكتبة الآداب. مصر. ط. 1994.

58-عبّاس حسن. النحو الوافي. دار المعارف. مصر. ط:3. دت.

59-عبد الرّاجحي. التطبيق الصرفي. دار النهضة العربية. بيروت- لبنان. ط. 1984.

60-عبد عبد العزيز قلقيلة. البلاغة الاصطلاحية. دار الفكر العربي. القاهرة- مصر. ط:3. 1993.

61-عبد الرّحمن حسن حبنكة. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. دار القلم والدار الشامية. دمشق وبيروت. ط:1. 1996.

62-عبد السّلام السّيد حامد. الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى). دار غريب. القاهرة- مصر. ط. 2002.

63-عبد السّلام محمد هارون. الأساليب الإنشائية في النحو العربي. مكتبة الخانجي. مصر. ط:5. 2001.

64-ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق (ت 541هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. دار الخير. لبنان. ط: 2. 2007.

.....ثبت المصادر والمراجع

65- عبد العزيز عتيق. في البلاغة العربية (علم المعاني). دار النهضة العربية. بيروت- لبنان. دط. 1985.

66- عبد الفتّاح الحموز. القطع نحوياً والمعنى. دار عمار للنشر والتوزيع. عمان- الأردن. ط:1. 2009.

67- عفت الشرقاوي. بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية). دار النهضة العربية. بيروت- لبنان. دط. دت.

68- عبد القادر حسين. فن البلاغة. دار نهضة مصر للطبع والنشر. مصر. دط. دت.

69- عبد اللّطيف شريقي وزبير درّاقى. الإحاطة في علوم البلاغة. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. دط. 2004.

70- عبد المتعال الصعيديّ:

* البلاغة العالية. تقديم ومراجعة: عبد القادر حسن. مكتبة الآداب. القاهرة- مصر. ط:3. 2002.

* بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب. مصر. دط. 1999.

72- عبد الله أحمد جاد الكريم. المعنى والنحو. مكتبة الآداب. السعودية. ط:1. 2002.

73- ابن عصفور الإشبيليّ أبو الحسن علي بن مؤمن (ت 669هـ). شرح جمل الزّجّاجي. تحقيق: صاحب أبو جناح. دم. دط. دت.

74- ابن عقيل عبد الله (ت 769هـ). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. دار إحياء التراث العربي. بيروت- لبنان. ط:1. دت.

.....ثبت المصادر والمراجع

75- عمر عبد الهادي عتيق. ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم بالتركيب والرسم والإيقاع. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط:1. 2010.

76- عليّ بن سليمان الحيدرة اليمنيّ (ت 599هـ). كشف المشكل في النحو. تحقيق: هادي عطية مطر الهلالي. دار عمار. عمان- الأردن. ط:1. 2002.

77- العكبري أبو البقاء (ت616هـ). التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: سعد كريم الفقي. دار اليقين. مصر. ط:1. 2001.

78- ابن فارس أحمد (ت390هـ). الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العربية في كلامها. تعليق : أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 1997.

79- فاضل صالح السمرائي:

* الجملة العربية والمعنى. دار ابن حزم. بيروت- لبنان. ط: 1. 2000.

* الجملة العربية تأليفها و أقسامها. دار الفكر. عمان- الأردن. ط:2. 2007.

81- الفاكهي عبد الله بن أحمد. شرح كتاب الحدود في النحو. تحقيق: المتولي رمضان أحمد العميري. مكتبة وهبة. القاهرة- مصر. ط:2. 1993.

82- الفراء أبو زكريا يحيى بن زيّاد (ت 207هـ). معاني القرآن. عالم الكتب. بيروت- لبنان. ط:3. 1983.

83- فضل حسين عبّاس. البلاغة العربية فنونها وأفانينها (علم المعاني). دار النفائس. عمان - الأردن. ط: 12. 2009.

84- فهد بن عبد الرّحمن بن سليمان الرومي. دراسات في علوم القرآن الكريم. مركز الدراسات القرآنية. السعودية. ط:14. 2005.

.....ثبت المصادر والمراجع

85-فهد خليل زايد. التّوابع بين الألفية والواقع. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع. عمان-الأردن. ط:1. 2003.

86-قاسم محمد سلامة الشّبّول. أسلوب النّعت في القرآن الكريم. عالم الكتب الحديث. الأردن. ط:1. 2010.

87-القرطبيّ محمد بن أحمد (ت 671هـ). الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبيّن لما تضمنه من السنّة وآيات الفرقان. تحقيق: عبد الله بن المحسن التركيّ ومحمد رضوان عرقسوسي. مؤسسة الرسالة. لبنان. ط:1. 2006.

88-القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرّحمن. شرح التلخيص في علوم البلاغة. دار الجيل. بيروت-لبنان. ط: 2. 1982.

89-ابن كثير إسماعيل بن عمر (ت 774هـ). تفسير القرآن العظيم. دار ابن حزم. ط: 1. 2000.

90-كريم حسين ناصح الخالدي. نظرية المعنى في الدراسات النحوية. دار صفاء. عمان-الأردن. ط: 1. 2006.

91-ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد (ت 672هـ):

* ألفية ابن مالك في النحو والصرف. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط: 1. 2000.

*شرح الكافية الشافية. تحقيق: عليّ محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط: 1. 2000.

93-المبرد أبو العبّاس محمد بن يزيد(ت 285هـ). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. مطابع الأهرام. مصر. ط:3. 1994.

.....ثبت المصادر والمراجع

94- ابن مجاهد أبو بكر أحمد (ت 324هـ). كتاب السبعة في القراءات. تحقيق: شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط: 3. دت.

95- محمد أحمد نحلة. في البلاغة العربية (علم المعاني). دار المعرفة. مصر. دط. 2002.

96- محمد أسعد النادري. نحو اللغة العربية. المكتبة العصرية. لبنان. ط: 2. 1997.

97- المكودي أبو زيد عبد الرحمن (ت 807هـ). شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو. ضبط وتخريج الشواهد: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 1996.

98- محمد عبد الخالق عضيمة. دراسات لأسلوب القرآن. دار الحديث. مصر دط. دت.

99- محيي الدين الدرويش. إعراب القرآن وبيانه. دار اليمامة، دار ابن كثير، دار الإرشاد. سوريا، لبنان. ط: 7. 1999.

100- المرادي الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط: 1. 1992.

101- مصطفى غلاييني. جامع الدروس العربية. المكتبة العصرية. لبنان. ط: 1. 1993.

102- النحاس أبو جعفر (ت 338هـ). معاني القرآن الكريم. تحقيق: محمد علي الصابوني. مركز إحياء التراث الإسلامي. السعودية. ط: 1. 1988.

103- هادي نهر. شرح اللحة البدرية في علم العربية لابن هشام. دار اليازوري. الأردن. دط. 2014.

104- ابن هشام عبد الله (ت 761هـ):

.....ثبت المصادر والمراجع

*أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. المكتبة العصرية. بيروت- لبنان. دط.
دت.

*شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تقديم: إميل بديع يعقوب. دار
الكتب العلمية. بيروت - لبنان. ط:2. 2004.

* شرح قطر الندى وبل الصدى. المكتبة العصرية. لبنان. دط. 2004.

*مغني اللبيب عن كتب الأعراب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار
الكتاب العربي. بيروت- لبنان. دط. دت.

108- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ). الصناعتين الكتابة
والشعر. تحقيق: عليّ محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر
العربي. بيروت - لبنان. ط:2. دت.

109- وليد عبد المجيد إبراهيم. في البلاغة العربية (علم المعاني). مؤسسة الوراق.
عمان- الأردن. ط:1. 2000.

110- ابن يعيش موفق الدين (ت 643هـ). شرح المفصل للزمخشري. تقديم: إميل بديع
يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط:1. 2001.

الدواوين الشعرية:

111- ديوان النابغة الذبياني. شرح: عباس عبد الستار. دار الكتب العلمية. بيروت-
لبنان. ط:3. 1996.

112- شعر الأخطل. تحقيق: فخر الدين قباوة. دار الفكر. سوريا. ط:4. 1996.

.....ثبت المصادر والمراجع

113-شرح ديوان امرئ القيس. تحقيق: حسن السندوبي. دار إحياء علوم الدين.

بيروت- لبنان. ط:1. 1990.


114-شرح ديوان الفرزدق. ضبط: إيليا الحاوي. دار الكتاب. لبنان. ط:1. 1983.

الرسائل الجامعية:

115-أحمد غرس الله. المشكلات اللغوية في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

أطروحة دكتوراه دولة. إشراف: السعيد هادف. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية. قسنطينة - الجزائر. 2005-2006.

الفهارس 

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	1	108
﴿هُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿6﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	6-7	223/210/208/199
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	7	282/88

سورة البقرة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿2﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	2-3	78/77
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ...﴾	6	367
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ...﴾	7	276 /71
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	10	71
﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾	17	323
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾	19	119
﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿24﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	24-25	338 /262 /93
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾	31	350 /176
﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	32	162
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾	34	311

167/143/128 295/294	35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾
342	-36	﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿36﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾
181	38	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾
331	40	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾
40	48	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾
232	49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾
371	60	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾
278 /83	61	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾
284	68	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾
89	69	﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾
355	74	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
290	77	﴿أُولَآءِ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾
161	85	﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾
361	88	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾
350	92	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾
283	98	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾
287 /238	102	﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾

279	119	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
272	125	﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
239	126	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
303 / 273	133	﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
354	135	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
369	140	﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾
150	-149	﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ
	150	لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿149﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
278	157	﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾
184	161	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
274 / 92 / 51	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
181	165	﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾
285	177	﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ...﴾
372	184	﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

315	188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
326	189	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾
105	213	﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾
326	215	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾
326 /244	217	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾
326	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾
326	220	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾
326	222	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾
171	228	﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...﴾
246	232	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾
286	234	﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾
354	236	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾
283 /61	238	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾
313 /250	245	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
295/294/167	249	﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾
50	250	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
152	253	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾

100	254	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْفِ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾
247	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
50	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
355 / 351	259	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ...﴾
96	261	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
335	286	﴿رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾

سورة آل عمران

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	7	118
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	9	101
﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾	15	103
﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	25	101
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ...﴾	26	325
﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	36	299 / 54
﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾	37	72
﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾	38	73

269	43	﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾
210	45	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾
350	59	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
86	62	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾
83	64	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
184	87	﴿وَأُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
240 / 227 / 220	-96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾
.242	97	﴿96﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾
97	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾
178	119	﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾
327	120	﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾
78	131	﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
122	133	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ...﴾
280	134	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾
354 / 98	144	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾
324	146	﴿وَكَايُنُ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
216 / 212 / 179	154	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾
.233		

355	-157	﴿وَلَنْ نُقَاتِلَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَّمِّمَ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿157﴾ وَلَنْ مُتَّمِّمٌ أَوْ قَاتِلٌ لِيَالِي اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴿
106	163	﴿هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
120	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
290	186	﴿لَتَبْلُؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾
154 /153	188	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
226	195	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾
316	200	﴿...اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

سورة النساء

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	1	304/303 /83 305
﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾	9	333
﴿... يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾	13	56
﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	19	314
﴿...أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ ﴿20﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ	-20	337

	21	﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾
329	27	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾
104	29	﴿... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾
337	36	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
339 / 129 / 128	46	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾
3369	-51	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ...﴾ ﴿51﴾ ... أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾
89	56	﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾
91	75	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾
69	78	﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾
355	86	﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾
102	90	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾
65	92	﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾
156	94	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
217	-95	﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿95﴾
	96	﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
369	109	﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾
357	111	﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ...﴾
357 / 279	112	﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ...﴾

74	117	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾
292	131	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾
132	-138	﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ 138 ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
	139	الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
129 / ب	142	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾
62	145	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾
130	159	﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾
126	160	﴿فَيَبْظُلْمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾
273 / 270 / 269	163	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
		وَعِيسَىٰ وَيُؤُسُفَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾
80	171	﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾
53	172	﴿لَنْ يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾
238	176	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ...﴾

سورة المائدة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	2	336
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ	6	281
وَلِيُثَبِّتَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	15	67
﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	21	113
﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ	22	328
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾		

294 /243 /167	24	﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾
250	31	﴿أَعَزَّتْ أُنْ أَكُون مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾
182	32	﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ...﴾
83	48	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
121	54	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾
361	64	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
68	66	﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾
373	69	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
240	71	﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
291	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾
49	84	﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾
79	88	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾
354 /353	89	﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾
47	92	﴿أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

222	95	﴿... فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ...﴾
213	97	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾
287	100	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾
291	104	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾
87	106	﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
33	107	﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾
303	110	﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾
303	111	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾
104	112	﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾
228 / 225	114	﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِيَانَا وَأَخْرِنَا وَأَيَّةً مِنْكَ﴾
299 / 165 / 164	116	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
165 / 163	117	﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾
165	118	﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
56	119	﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
74	121	﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

سورة الأنعام

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾	2	350 / 69
﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾	12	225
﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	13	60
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	18	329
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾	38	95
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾	50	287
﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾	56	330
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	59	294 / 167
﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾	62	86
﴿يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ﴾	64	303
﴿وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾	66	125
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	74	214
﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾	91	295 / 294 / 166
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ...﴾ 95 ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾	-95 96	318 / 58
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا...﴾ 97 ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾	-97 98	95
﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ ...﴾	108	344

85	125	﴿... يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾
87	133	﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾
115	138	﴿وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ ...﴾
294 / 185	148	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾
185	149	﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
298	151	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾
123	155	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾
131	158	﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَّا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾
248	161	﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيمًا ...﴾

سورة الأعراف

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	11	349
﴿اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾	195	368

سورة التوبة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	118	348

سورة هود

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ﴾	45	341
﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	46	125
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ﴾	98	260

سورة يوسف

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾	18	84
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾	86	278

سورة إبراهيم

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ﴾	1	198
﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	10	130

سورة الكهف

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾	20	307 / 304
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	30	183 / 177

سورة النحل

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾	19	141
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾	51	82 / ب
﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾	81	372
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	98	55
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾	116	197

سورة الإسراء

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾	13	95
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾	31	298
﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾	40	287

سورة الكهف

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾	1	234
﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾	19	353
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾	50	312

سورة الأنبياء

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	16	15

سورة الحج

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ...﴾	5	345
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصَبَّحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾	63	261

سورة المؤمنون

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾	14	345
﴿يَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾	35	234
﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ 62 ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾	-62 63	359
﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾	70	359

سورة النور

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾	61	353

سورة الفرقان

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿لَنَحْيِيَّ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُسْفِيَهُ﴾	49	260
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾	-68 69	229 /5

سورة الشعراء

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾	119	269
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿132﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿133﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	-132 134	231

سورة القصص

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿إِنَّا رَأَوُهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	7	271
﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾	15	342
﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾	20	64

سورة العنكبوت

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَلَنَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ﴾	12	333

سورة سبأ

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾	3	131
﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	24	353
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾	37	281

سورة السجدة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	13	183

سورة الأحزاب

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾	40	281
﴿وَلَا يَحْزَنَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَتْهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾	51	189

سورة الصافات

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾	48	127
﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾	165	163

سورة الزمر

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	6	348

سورة غافر

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾	28	114
﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحمَلُونَ﴾	80	303

سورة فصلت

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾	11	303

سورة الشورى

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ 52 ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾	-52	208
	53	

سورة محمد

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾	36	260

سورة ق

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾	44	131

سورة الذاريات

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ﴾ 26 ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾	-26 27	343

سورة النجم

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ 6 ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾	7-6	300

سورة القمر

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾	3	310
﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾	12	7

سورة الواقعة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	76	130

سورة الحديد

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	3	107
﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	18	317

سورة الكهف

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾	7	289

سورة المنافقون

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾	6	366

سورة الطلاق

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾	7	333

سورة القلم

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ 10 ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ 11 ﴿	-10	108
مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ 12 ﴿عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾	13	

سورة الاحاقفة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	13	112 / 82

سورة نوح

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	28	283

سورة الإنسان

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	3	281

سورة النبأ

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿31﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾	-31 32	208

سورة الانفطار

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾	7	240

سورة البروج

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿4﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾	5-4	240

سورة العلق

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿لَنْسَفَعًا بِالْغَاسِقِ ﴿15﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾	-15 16	219

سورة الزلزلة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	1	270

سورة العاديات

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿3﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾	4-3	317

سورة التكاثر

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿3﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	4-3	154

سورة الحمزة

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿1﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾	2-1	32

سورة المسد

الآية	رقمها	صفحتها في البحث
﴿وَأْمُرْ أَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾	4	32

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

صفحة	الحديث النبوي الشريف
203	إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَمَا كُتِبَ لَهُ نِصْفُهَا تَلْتُنَّهَا
371	تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ
333	قَوْمُوا فَلَأُصَلِّ لَكُمْ

فهرس الأبيات الشعرية

صفحتها	الشاعر	القافية
باب الألف المقصورة		
187	بلا نسبة	الأذَى
باب الباء (فصل الباء المكسورة)		
304	بلا نسبة	عَجَب
344	سلمة بن دهل	فَالْأَيْبِ
باب الدال (فصل الدال المكسورة)		
288	الفرزدق	مُحَمَّد
152	حسان بن ثابت	أُعَوِّدُ
باب الراء (فصل الراء المضمومة)		
219	أبو داود الإيادي	غَزَارُ
279	أبو صخر الهذلي	الْأَمْرُ
باب الراء (فصل الراء المفتوحة)		
317	النابغة الذبياني	الْمَعْبِرَا
باب العين (فصل العين المضمومة)		
33	النابغة الذبياني	نَاقِعُ
باب اللام (فصل اللام المفتوحة)		
296	عمرو بن أبي ربيعة	رَمَلَا
باب اللام (فصل اللام المضمومة)		
357	بلا نسبة	سَلَسِلُ

باب اللام (فصل اللام المكسورة)		
363	امرئ القيس	القَوَاعِلِ
هامش 346	امرئ القيس	فَحَوَمَلِ
باب الميم (فصل الميم المضمومة)		
289	الأحوص	السَّلَامُ
152	أبو تمام	البَهَائِمُ
315	الأخطل	عَظِيمُ
باب الياء (فصل الياء المكسورة)		
271	أمية بن أبي الصلت	النَّبِيِّ

فهرس أنصاف الأبيات الشعرية

الصفحة	نصف البيت الشعري
356	جاء الخلافة أو كانت له قدرا
152	إن المنايا لا تطيش سهامها
261	ولقد أمرُ على اللئيم يسبني.....فمضيتُ

فهرس الموضوعات:

- مقّمة.....(أ-ز)
- مدخل: مفهوم التابع..... (19-1)
- أولاً: التابع في اللغة.....02
- ثانياً: التابع في الاصطلاح.....03
- ثالثاً: ترتيب التوابع إذا اجتمعت.....19
- الفصل الأوّل: النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم.....ص(21 - 135)
- المبحث الأوّل: النّعت مفهومه وأنواعه.....(42-23)
- أولاً/ مفهوم النّعت:.....23
- ثانياً/ التّطابق بين النّعت والمنعوت.....28
- ثالثاً/ أنواع النّعت:.....36
- المبحث الثاني: أنماط النّعت واستعمالاته في الرّبّع الأوّل.....(44 - 135)
- أولاً/ أنواع النّعت في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم.....44
- 1- النّعت المفرد.....45
- النمط الأوّل: النّعت الحقيقي.....45

- 45..... الصورة الأولى: النَّعت المشتق
- 46..... الشكل الأوّل: نعت المعرفة.
- 64..... الشكل الثاني: نعت النكرة:
- 76..... الصورة الثانية: النَّعت الجامد المؤول بمشتق:
- 77..... الشكل الأوّل: اسم الموصول:
- 80..... الشكل الثاني: الألفاظ الدالة على العدد.
- 83..... الشكل الثالث: المصدر.
- 87..... الشكل الرابع: اللفظ (ذو).
- 87..... الشكل الخامس: اللفظ (غير).
- 89..... النمط الثاني: النَّعت السببي.
- 92..... 2- النَّعت جملة.
- 92..... الصورة الأولى: ورود النَّعت جملة فعلية.
- 92..... الشكل الأوّل: ورود النَّعت جملة فعلية فعلها مضارع.
- 96..... الشكل الثاني: ورود النَّعت جملة فعلية فعلها ماض.
- 100..... الصورة الثانية: ورود النَّعت جملة اسمية.
- 103..... 3- النَّعت شبه الجملة.

الفهارس.....

103..... الصورة الأولى: ورود النعت جارا ومجرورا.

105..... الصورة الثانية: ورود النعت ظرفا.

107..... ثانيا/ تعدد النعت في الربع الأول من القرآن الكريم.

107..... الصورة الأولى: نعت مفرد يليه نعت مفرد.

114..... الصورة الثانية: نعت مفرد يليه نعت جملة.

115..... الشكل الأول: نعت مفرد يليه نعت جملة فعلية.

118..... الشكل الثاني: نعت مفرد يليه نعت جملة اسمية.

119..... الصورة الثالثة: نعت شبه الجملة يليه نعت جملة.

121..... الصورة الرابعة: تعدد النعت وترتيبه على خلاف ما أورده علماء النحو.

125..... ثالثا/ حذف النعت والمنعوت في الربع الأول من القرآن الكريم.

130..... رابعا/ الفصل بين النعت والمنعوت.

133..... خامسا/ تقدم النعت على المنعوت.

الفصل الثاني: التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم..ص:(137- 190)

المبحث الأول: التوكيد مفهومه وأنواعه.....(139-147)

139..... أولا/ مفهوم التوكيد:

142..... ثانيا /أنواع التوكيد:

الفهارس.....

145..... ثالثاً/ التطابق بين التوكيد والمؤكد

المبحث الثاني: صور التوكيد وأغراض استعماله في الربع الأول.....(149-190)

149..... أولاً/ أنواع التوكيد في الربع الأول من القرآن الكريم:

149..... 1- التوكيد اللفظي:

150..... النمط الأول: توكيد الظاهر

158..... النمط الثاني: توكيد الضمير

162..... الصورة الأولى: توكيد الضمير المتصل

167..... الصورة الثانية: توكيد الضمير المستتر

168..... 2- التوكيد المعنوي:

169..... أ- التوكيد بـ (نفس وعين)

172..... ب- التوكيد بـ (كلا وكلتا)

175..... ج- التوكيد بـ (كلّ وجميع وعامة)

175..... 1/ استعمال (كلّ) في الربع الأول من القرآن الكريم

180..... 2/ استعمال (جميع) في الربع الأول من القرآن الكريم

182..... د- التوكيد بـ (أجمع وأكتع وأبصع وأبتع)

183..... 1/ معانيها واستعمالاتها

186..... 2/ إعرابها

الفهارس.....

187.....ثانيا/ تعدّد التوكيد

188.....ثالثا/ تقدّم التوكيد على المؤكّد و حذفه والفصل بينهما

الفصل الثالث: البديل في الرّبع الأوّل من القرآن الكريم...ص:(192-252)

المبحث الأوّل: البديل مفهومه وأنواعه.....(194-205)

194.....أولا/ مفهوم البديل:

198.....ثانيا/ أنواع البديل:

المبحث الثاني: أنواع البديل وأغراضه في الرّبع الأوّل.....(207-252)

207.....أولا/ بديل كلّ من كلّ

209.....النمط الأوّل: بديل الظاهر من الظاهر

209.....الصورة الأولى: بديل المعرفة من المعرفة

215.....الصورة الثانية: بديل النكرة من النكرة

218.....الصورة الثالثة: بديل المعرفة من النكرة

223.....النمط الثاني: بديل الاسم الظاهر من المضمّر

229.....النمط الثالث: بديل الفعل من الفعل

231.....النمط الرّابع: بديل الجملة من الجملة

234.....النمط الخامس: بديل الفعل من الاسم والاسم من الجملة

الفهارس.....

النمط السادس: بدل التفصيل..... 236

ثانيا/ بدل بعض من كلّ..... 239

ثالثا/ بدل الاشتمال..... 244

رابعا/ البديل على المحل..... 246

خامسا/ البديل من اسم الإشارة..... 249

سادسا/ البديل من المنادى..... 251

الفصل الرابع: العطف في الربع الأول من القرآن الكريم... (254-375)

المبحث الأول: العطف مفهومه وأنواعه..... (256-264)

أولا/ مفهوم العطف:..... 256

ثانيا/ أنواع العطف..... 258

المبحث الثاني: حروف العطف واستخدامها في الربع الأول..... (266-375)

أولا/ العطف بالحروف المتّفق عليها..... 266

1- العطف بـ (الواو)..... 266

أ/ عطف المفرد على المفرد..... 267

النمط الأول: عطف الاسم على الاسم:..... 268

الصورة الأولى: عطف الاسم الظاهر على الاسم الظاهر..... 268

- 1- دلالة (الواو) على مطلق الجمع.....268
 - 2- عطف الشيء على مرادفه بـ (الواو).....278
 - 3- العطف بين الشيء وضده بـ (الواو).....279
 - 4- اقتران (الواو) ببعض الحروف.....281
 - 5- عطف الخاص على العام والعام على الخاص بـ (الواو).....282
 - 6- عطف النعوت المتعددة لمنعوت واحد بـ (الواو).....284
 - 7- عطف العقد على النيف بـ (الواو).....286
 - 8- عطف ما لا يستغنى عنه بـ (الواو).....286
 - 9- عطف ما حقه التثنية والجمع بـ (الواو).....288
 - 10- عطف عامل حذف وبقي معموله على ظاهر يجمعهما معنى واحد...289
 - 11- عطف المقدم على متبوعه للضرورة بـ (الواو).....289
- الصورة الثانية: عطف اسم الموصول على اسم الموصول وعطفه على
الظاهر بـ (الواو).....290
- النمط الثاني: عطف الضمير على الظاهر أو العكس.....292
- المسألة الأولى: عطف الضمير المنفصل على الظاهر.....292
- المسألة الثانية: العطف على ضمير الرفع المتصل.....293
- المسألة الثالثة: العطف على الضمير المجرور.....302
- النمط الثالث: عطف الفعل على الفعل.....309

- 311..... الصورة الأولى: عطف الفعل الماضي على الفعل الماضي
- 312..... الصورة الثانية: عطف الفعل المضارع على الفعل المضارع
- 313..... 1- عطف المضارع المرفوع على المضارع المرفوع
- 314..... 2- عطف المضارع المنصوب على المضارع المنصوب
- 315..... 3- عطف المضارع المجزوم على المضارع المجزوم
- 316..... الصورة الثالثة: عطف فعل الأمر على فعل الأمر
- 317..... النمط الرابع: عطف الفعل على الاسم
- 320..... ب/ عطف الجملة على الجملة
- 323..... 1- عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية
- 323..... النمط الأول: عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية
- 323..... الصورة الأولى: عطف جملة فعلية فعلها ماض على جملة فعلية فعلها ماض
- الصورة الثانية: عطف جملة فعلية فعلها مضارع على جملة فعلية فعلها مضارع
- 325.....
- 327..... النمط الثاني: عطف جملة الشرط على جملة الشرط
- 328..... النمط الثالث: عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية
- 329..... النمط الرابع: عطف الجملة الاسمية على الفعلية والعكس
- 331..... 2/ عطف الجملة الإنشائية على الجملة الإنشائية

- 331..... النمط الأول: عطف الأمر على الأمر
- 335..... النمط الثاني: عطف النهي على النهي
- 336..... النمط الثالث: عطف الأمر على النهي أو العكس
- 337..... 3/ عطف الخبر على الإنشاء
- 340..... 2- العطف بـ (الفاء):
- 340..... أ/ دلالة (الفاء) على الترتيب والتعقيب
- 343..... ب/ دلالة (الفاء) على معنى السببية
- 344..... ج/ استعمال (الفاء) في العطف بين الصفات
- 345..... د/ استعمال (الفاء) في موضع حروف عطف أخرى
- 347..... 3- العطف بـ (ثمَّ)
- 352..... 4- العطف بـ (أو)
- 352..... أ/ معاني (أو)
- 356..... ب/ استعمال (أو) في موضع بعض الحروف
- 359..... 5- العطف بـ (بل)
- 362..... 6- العطف بـ (لا)
- 364..... ثانيا/ العطف بالحروف المختلف فيها:
- 364..... 1/ لكنْ

الفهارس.....	365
2/ إمّا.....	366
3/ أمّ.....	366
أ- (أمّ) المتصلة.....	368
ب- (أمّ) المنفصلة.....	369
4/ حتى.....	370
5/ ليس، وأيّ، وهلّا، وإلّا، وأين، ولولا، ومتى ، وكيف.....	371
رابعاً: أحكام متعلّقة بالعطف.....	(382-377)
خاتمة.....	(395-384)
ثبت المصادر والمراجع.....	(423-397)
الفهارس.....	397
فهرس الآيات القرآنية.....	421
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....	422
فهرس الأبيات الشعرية.....	424
فهرس الموضوعات.....	(438-436)
ملخصات البحث.....	



ملخص البحث:

إنّ هذا البحث والموسوم بـ " التوابع في الرّبّع الأوّل من القرآن الكريم - دراسة نحوية بلاغية- " هو نتيجة تساؤلنا الدائم حول الدلالات التي تضيفها الزيادات الموجودة في الجملة العربية، والتي يطلق عليها درس النحوي مصطلح (فضلة)، بينما يسميها علماء البيان (القيود)، ومنها التوابع.

وقد أوجبت طبيعة الموضوع العمل ضمن أربعة فصول، سبقت بمقدمة ومدخل نظري، ليختم العمل بخاتمة ضمت أهم نتائج هذا البحث.

ولأنّ العمل التطبيقي هو صميم هذا البحث، فقد جمعنا في كلّ فصل بين مبحثين الأوّل نظري، والثاني تطبيقي سلطنا فيه الضوء، وبحثنا عن الأغراض البلاغية لاستخدام كلّ تابع من التوابع (النّعت، والتوكيد، والبدل، والعطف).

فوجدنا بعد الإحصاء والتحليل الذي قمنا به وعلى ضوء آراء علماء النحو والبلاغة أنّ التوابع استخدمت بجميع أنواعها في الرّبّع الأوّل من كتاب الله، وكان هذا الاستخدام متفاوت النسب، مقصودا لذاته في كثير من السياقات، وعلى الوجه الذي ورد عليه في الآية، ولا يمكن للمعنى أن يتمّ على الوجه المراد إلا به.

الكلمات المفتاحية: التوابع، الأغراض البلاغية، الدلالات.

Study abstract:

This study, entitled “**Expansions in the first quarter of the Holy Coran**” – grammatical and rhetorical study -, is the result of our permanent wondering about connotations given by additions existing in the Arabic sentence, called by the grammatical course (the Rest), but called by rhetoricians (Restrictions), among which **expansions**

The nature of the study imposed to work in four chapters, preceded by a preface and a theoretical introduction, and it ended by a conclusion containing the main results of this study.

And because the practical work is the basis of this study, so we gathered two titles in every chapter; the first is theoretical and the second is practical, in which we highlighted and researched the rhetoric tools to use every expansion (adjective, accentuation, allocation and coordination)

After statistics and analysis that we made and according to grammarians rhetoricians opinions, we found that all kinds of expansions was used in the first quarter of the Holy Coran, and this use was with different rates, designating itself in several contexts et as it is mentioned in the verse, and the mining can't be completed in the aimed way without it.

Key words: Expansions, rhetoric tools, connotations

Résumé de la recherche :

La présente recherche intitulée : **les expansions dans le premier quart du Coran Sacré**– une étude grammaticale et rhétorique- et c'est la conséquence de notre questionnement permanent à propos des connotations apportées par les additions existant dans la phrase arabe, dont la leçon grammaticale lui donne le terme (Reste), alors que les rhétoriciens (les restrictions), parmi lesquelles les expansions.

La nature du thème a imposé que l'on travaille en quatre chapitres, précédés par une préface et introduction théorique, pour terminer le travail par une conclusion contenant les résultats les plus importants de cette recherche.

Comme le travail pratique est la base de cette recherche, nous avons rassemblé dans chaque chapitre deux titres ; le premier est théorique et le deuxième est pratique, où nous avons mix en exergue et nous avons recherché les outils rhétoriques pour utiliser chaque expansion (l'adjectif, l'accentuation, l'allocation et la coordination)

Nous avons trouvé, après les statistiques et l'analyse que nous avons faites, et d'après les avis des autres rhétoriciens et grammairiens, que tous les genres d'expansion ont été utilisés dans le premier quart du Coran Sacré, et cette utilisation était de taux différents, s'indiquant eux même dans plusieurs contextes et de la façon dont il figure dans le verset et le sens ne peut être complet de la façon voulue que par cette utilisation.

Mots clés : Expansions, outils rhétoriques, connotations..